أعلام العرب

١٣٩

محب الدين الخطيب
ودوره في الحركة العربية
١٩٠٦ - ١٩٢٠

د. محمد عبد الرحمن برج

محب الدين الخطيب

ودوره فى الحركة العربية
١٩٠٦ - ١٩٢٠

د. محمد عبد الرحمن برج

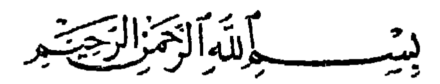


الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

الاخراج الفنى

جرجس ممتاز



هذه دراسة عن شخصية من الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى الحركة العربية منذ بدايتها وظلت بصماتها واضحة على هذه الحركة فى أدوارها المختلفة ..

وأشعر أن هذه الدراسة تأتى استكمالا لما قمت به من أبحاث لبعض الذين تدين لهم الحركة العربية بالشىء الكثير ، وفى مقدمتهم ساطع الحصرى ، وعبد الرحمن الكواكبى وعزيز المصرى . لقد كان لى شرف التعرف على محب الدين الخطيب منذ أكثر من ثلاثين عاما حين كان ابنه قصى زميلا لى فى الدراســـة بكلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠) وعشت بعد ذلك بين أوراقه ومذكراته وفى مكتبته أجمع مادة هذا الكتاب الذى أرجو أن يسد فراغا فى مكتبتنا العربية ، وأن يسهم فى القاء الضوء على دور محب الدين الخطيب فى الحركة العربية ..

ولم اعتمد فى هذه الدراسة على أوراق محب الدين الخطيب فقط رغم أنها كلها وثائق غير منشورة ٠ كان لابد من الرجوع الى المصـــادر المختلفة وفى مقدمتها الوثائق البريطانية وقد ساعدتنى كثيرا فى القاء الضوء على جوانب مختلفة ومنها حادثة اعتقاله فى البصرة عندما أرسله رشيد رضا ومعه عبد العزيز العتيقى موفدين من قبل جمعية الجامعة العربية فى محاولة للاتصال بزعماء الخليج وفى مقدمتهم ابن السعود ٠٠

وقد قسمت هذا البحث الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : يتناول عصـــره ونشأته الأولى والهدف منها توضيح الظروف التى نشأ فيها محب الدين الخطيب وبيان المؤثرات التى أثرت فى تكوين شخصيته فى مراحلها الأولى ٠

ثم تناولت بعد ذلك فى الفصل الثانى دوره فى الحركة العربية حتى اعلان المشروطية الثانية ١٩٠٨ ذلك أنه كأحد الرواد العرب كان دوره بعد اعلان المشروطية وتبنى الاتحاديين لسياسة التتريك مختلفا عن دوره قبلها وذلك سوف يجده القارىء واضحا فى الفصل الثالث الذى تناولت فيه دوره فى الجمعيات العربية (١٩٠٨ ــ ١٩١٤) ثم كان الحديث عن حادثة اعتقاله فى البصرة فى الفصل الرابع ٠

وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى وقامت الثورة التى قادها الشريف حسين سافر محب الدين الخطيب من القاهرة الى الحجاز حيث قام بدور بارز هناك فمن ادارته لصحيفة « القبلة » الى استشارة الشريف له فى العديد من الأمور ٠ ومن ذلك ما وجدته بين أوراقه بتاريخ ١٩١٧/٣/٤ يقول :

دعانى الملك الى القصر أنا والشيخ كامل (القصاب) وآخرون فلما استقر بنا المقام قال الملك هناك من أخبر قاضى القضاة ان لديه معروضات بخصوص عزيز (المصرى) فأظهر الملك تألمه وقال : اننا لم نملأ عين الرجل وقد ظهر أننا غير متفقين فى الرأى وهناك أشياء كثيرة سوف تعرفونها ٠ ولما قال أحد الحاضرين اننا نخشى من

تعلق الضباط به أجابه الملك من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فالنهضة باقية وان ذهب عزيز ·· فمن كان جاء لأجل شخص عزيز فلا حاجة لنا به ·· ومن جاء لأجل العرب ونهضتهم فلاتزال أمامه واجباته ·

وأشار الشريف الى راى عزيز في السياسة المزدوجة ويقصد بها الاتصال بالأتراك الى جانب الاتصال بالانجليز والى أن عزيزا كان متكبرا ··

وقد عقب الخطيب على ذلك بقوله انني صرحت له (للشريف) أنا والشيخ كامل باعتقادنا ورأينا فى عزيز وضعف سياسته وان خطته أضرت بنا وسفره مفيد لنا · وقد أفادتني دراسة أوراقه في هذه الفترة الالمام بالنزعة الاقليمية والتعصب الذى بدا واضحا آنذاك بين بعض الحجازين من جانب والسوريين والمصريين والعراقيين الذين يعملون مع الشريف من جانب آخر · كذلك سوف يلمس القارئ دور الخطيب فى اصدار العملة التى قرر الشريف سكها وفى اختبار علم مملكته وغير ذلك من الأمور التى كان للخطيب دور فيها حتى غادر الحجاز سنة ١٩١٩ وقد تناولت ذلك فى الفصل الخامس من هذا الكتاب ·

ثم كانت الدراسة لدوره مع الحكومة العربية السورية واصداره لصحيفة العاصمة ودوره فى تأسيس اللجنة الوطنية العليا مع زميله كامل القصاب والتى تصدت لفيصل بعد اتفاقه مع كلمنصو ··

وانتهت الحكومة العربية فى دمشق على ماهو معروف بعد يوم ميسلون ووصف الخطيب لأحداث هذه الفترة مهم كشخص عاصر هذه الأحداث عن قرب ووقف عليها وكان له دوره فيها فقد قام بتوزيع السلاح الذى أخفته عنده جمعية العربية الفتاة والتى كانت الجمعية قد حصلت عليه من ياسين الهاشمى قبل اعتقال الانجليز له ·· ويتوارى الخطيب ويتنكر فى زى بائع جمال ويرحل من دمشق مع قافلة عبر ساحل طبرية وصفد حتى يصل الى يافا فيستخرج جواز

سفر باسم مستعار (عبد الله أبو الفتح) ويسافر منها الى القاهرة بالقطار ..

وهناك يستقر مابقى من عمره يعمل فى تحرير الأهرام ويصدر مجلة الزهراء الشهرية ومجلة الفتح الأسبوعية ويؤسس جمعية الشبان المسلمين مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين من زملائه .

ولم يتوقف دوره عند هذا الحد .. فقد وجدت فى أوراقه مكاتبات عديدة بينه وبين حركات التحرير التونسية والجزائرية والمغربية ورحبت صحيفة الفتح بنشر أخبار حركات التحرير فى كل أرجاء الوطن العربى وتصدى الاستعمار لها فمنع دخولها فى بعض البلاد العربية ..

لقد وجدت بين أوراقه التماسا قدمه علماء حمص ووجهاؤها وشبابها الى رئيس الحكومة السورية لطفى الحفار يلتمسون السماح بدخول صحيفة الفتح . ويذكر مقدموها دور الخطيب وأنه كان من أوائل العاملين على خدمة القضية العربية فى شتى مراحلها . « جئنا نحن علماء وطلاب وتجار وشباب مدينة حمص نلتمس من دولتكم العمل على السماح لصحيفة الفتح بالدخول الى سوريا .

وظل محب الدين الخطيب يعطى لأمته العربية ما وسعه الجهد حتى وافاه الأجل المحتوم فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، أرجو أن يجد القارىء فى هذا البحث جهدا يرضى عنه واذا كان هناك بعض النقص فان الكمال لله وحده والله الموفق ..

المؤلف

الفصـــل الأول

نشأة محب الدين الخطيب الأولى

نشـــأ محب الدين الخطيب فى بلاد الشـــــــام فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حيث ولد فى دمشق فى آخر يوليو ١٨٨٦ وكان والده الشيخ ابو الفتح الخطيب (١٨٣٤ ـ ١٨٩٧) من علماء دمشق ومدرسيها وأئمتها وخطبائها وكان أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق منذ تأسيسها (١٨٧٩) الى يوم وفاته · وأما جده فهو الشيخ عبد القادر الخطيب (١٨٠٨ ـ ١٨٧١) فكان من كبار علماء دمشق · اشتهرت الأسرة فى دمشق بأنها بيت علم وخطابة وتدريس ··

وقد تحدث الخطيب عن الجو الذى نشأ فيه وهو يقدم لكتاب زميله فى مرحلة شبابه الدكتور صلاح الدين القاسمى والذى أسماه باسم « صفحات من تاريخ النهضة العربية فى أوائل القرن العشرين » قال : « ان هذا الكتاب رجع به الى أسعد أيام حياته الى بدء نشأته ثم الى ريعان شبابه الى مرحلة دراسته الثانوية يوم لم يكن للدولة

العثمانية في مدينة دمشق الا مدرسة ثانوية واحدة كان عنوانها الرسمى (المكتب الاعدادى) وكان الدمشقيون يسمونها مكتب عنبر ·
وعنبر هذا ثرى اسرائيلى من أصحاب الملايين بنى لنفسه دارا في دمشق ثم صـــارت هذه الدار من أملاك الدولة فجعلتها مدرســة (ثانوية)»[١] زامل الخطيب فى هذه المدرسة صــلاح القاســـمى وعارف الشهابى وصالح قنباز كما كان من أصدقائها خارجها فى هذه الفترة لطفى الحفار ورشدى الحكيم وغيرهم ··

وكانت الدراسة باللغة التركية ، بل ان علم النحو للغة العربية وصرفها كان يدرس من كتاب باللغة التركية يسمى (المشذب) قررته نظارة المعارف العثمانية لمدارس الأناضول والروم ايلى · فكان مفروضا على مدارس الحكومة في الولايات العربية كذلك أن تستعمله فى تعليم أبناء العرب النحو الخاص بلغتهم وصرفها ·· ويقول الخطيب بل كان معلم العربية فى مدرستنا شيخا تركيا مسنا أرسلوه الينا ليعلمنا العربية ·· وكانت آمال النشء العربى فى هذه المدرسة وفى كل مدرسة للدولة العثمانية في البلاد العربية أن يحذقوا لغة الترك تكلما وانشاء وأدبا ليتولوا بعد ذلك وظائف الدولة فى بلادهم والبلاد العثمانية الأخرى وليعيشوا فى ظل القومية التركية مثقفين بالثقافة التركية متقدمين فى خدمتها . منفذين لخططها الادارية ، وسياستها الفردية ، التى عرف بها زمن سلطته الخليفة العثمانى عبد الحميد الثانى أما العربية فلا تكاد تعلم يومئذ الا فى مدارس التبشير المسيحى ، والمدارس الطائفية غير الاسلامية ، بأساليب ركيكة ومنطق غير سليم هكذا كانت الحال فى العواصم العربية دمشق ، بيروت . القدس ، بغداد . الموصل ، البصـــرة . ومكة ، والمدينة وصـــنعاء ·

كانت العروبة – على حد قول الخطيب – يومئذ عنوانا لمدلول نسيه العرب منذ ألف سنة ، وتنكروا للمورد الكريم الذى صنعها الله

---

(١) صلاح الدين القاسمى آثاره مقدمة بقلم محب الدين الخطيب .

منه ليقوم أهلها برسالة الانسانية العليا فتعود بهم الى أهداف الحق والخير ·

كانت بلاد الشام فى الفترة التى نشأ فيها محب موئلا للبعثات التبشيرية الفرنسية اليسوعية والبروتستانتية الأمريكية والتى كانت المنافسة بينهما فى فتح المدارس والكليات قائمة فى بيروت والقدس ·

ويمثل محب الدين الخطيب جيل الشباب العربى الذى لم ينهل من مدارس التبشير وهو الجيل الذى وجد فى شخصية طاهر الجزائرى نموذجا يقتدى يؤخذ العلم منه ··

شهدت دمشق فى الفترة التى ولد فيها محب الدين الخطيب زيادة فى عدد المدارس والمعلمين كما كان لوجود مدحت باشا حاكما على دمشق فى الفترة القريبة السابقة على مولده دوره الذى لا ينكر فى نهضة دمشق ·

اذا كان لمدحت دوره فى حركة الاصلاح التى شهدتها الدولة العثمانية ، واعلان المشروطية الأولى ١٨٧٦) ، فان دوره فى البلاد العربية لا يمكن انكاره · فكما كان له دوره فى بغداد، عندما تولى أمرها فى ٣٠ ابريل ١٨٦٩ من استتباب للأمن واستقرار له وقيام العديد من المشروعات العمرانية وانشاء أول مطبعة وجريدة الزوراء كان له دوره فى دمشق ·

جاء مدحت الى دمشق سنة ١٨٧٨ ومازال فى أذهان الناس فتنة ١٨٦٠ التى أرجعها مدحت الى الجهل الذى انتشر بين أهلها · ومما يؤثر عنه قوله : وان المسلمين فى بلاد الشام قد فشا بينهم الجهل ، ومدارس الافرنج تتقدم يوما بعد يوم تقدما ملموسا وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن ، فكنت أفكر فى أمر تعليم أبناء المسلمين واصلاح مدارسنا(٢) ·

---

(٢) أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث صفحة ٥٥ ، محمد انيس : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر صفحة ١٣٥ ·

وشكل مدحت الجمعيات في ســـوريا وجمع الاعانات وفتح المدارس · كما انشأ مدرسة للصنائع وأخرى للفنون ، وملجأ للأيتام · وأصلح المساجد وجعلها مدارس ووضع عقوبة لولى أمر الطفل اذا بلغ ابنه السادسة ولم يرسله الى المدرسة واستعان بأموال الأوقاف فى أمور التعليم · فتأسست فى عهده جمعية المقاصد الخيرية لانشاء المدارس وتمكنت من افتتاح خمس وثلاثين مدرسة · وارتفع عدد الطلاب الى خمسة آلاف طالب بينما زاد عدد الطالبات الى ألفين بحيث ضمت مدارس دمشق خمس طلاب الشام وسدس طالباتها (٣) ·

كانت هناك شخصية عربية من وراء مدحت تحثه وتقنعه أن الخطر كل الخطر أن ينهل الشباب الاسلامى من مدارس الارساليات التبشيرية ، تلك هى شخصية الشيخ طاهر الجزائرى · ولد الشيخ طاهر فى دمشق سنة ١٨٥٦ · حين جاء أبوه صالح الجزائرى مع من جاءوا الى المشرق العربى بعد مجىء الأمير عبد القادر الجزائرى اليها · واصبح ضليعا فى العلوم العربية والدينية مجيدا للغة التركية عارفا بالفارسية الى جانب المامه بالعلوم العصرية والرياضية (٤) ·

وسمع مدحت بطاهر الجزائرى عند مجيئه واليا على دمشق الذى حدثه عن ضرورة العناية باللغة العربية وآدابها وعبر عن استيائه من أن اللغة العربية أصبحت لا تجد موئلا لها الا فى مدارس الارساليات الأجنبية من بروتستانتية وكاثوليكية وأوضح الشـــيخ طاهر لمدحت خطورة هذا الأمر كما أقنع الشيخ طاهر مدحت بذلك

نجح فى اقناع بهاء بك رئيس ديوان الولاية وأعد الشـــيخ طاهر مشروعا لانشاء جمعية المقاصد الخيرية تكون شبه رسمية تعينها الحكومة بالمال وتخصص لها ابنية وقفية وحكومية وتوجه نشاطها لفتح المدارس وتقيم مطبعة لطبع الكتب · وظل الشيخ طاهر يدافع عن فكرته فى انشاء هذه الجمعية بعد نقل مدحت الى ولاية أزمير

---

(٣) غرايبـــه : سورية فى القرن التاسع عشر صفحة ٥٥ وما بعدها ، برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى صفحة ١٦ ·

(٤) عدنان الخطيب : الشيخ طاهر الجزائرى صفحة ٥١ ·

على عهد واليها الجديد حمدى باشا · فأقنع الوالى الجديد بالفكرة ونجحت الجمعية فى مهمتها ·

ثم استطاع الشيخ طاهر أن يحقق امنية من أعظم امانيه ، وهى جمع الكتب الموقوفة على المساجد فى قبة الملك الظاهر بدمشق فتألفت من تلك الكتب نواة المكتبة الظاهرية التى تتبع المجمع العلمى العربى · وقد جمع فيها الشيخ بضعة آلاف من المخطوطات العربية النفيسة وفيها اليوم عدة غرف للبحث والمطالعة والمخطوطات النادرة· وفى أواخر سنة ١٨٨٢ أصدر السلطان ارادة سنية باستبدال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بمجلس معارف عين له رئيســـا العالم الشريف محمود أفندى حمزة مفتى دمشق وعلاء الدين أفندى أحد علماء دمشق ـ والشيخ طاهر ـ الذى شغل آنذاك منصب مفتش معارف نائبين للرئيس · وتشـــكل من رئيس هذا المجلس ونائبيه وخمسة عشر عضوا آخرين مجلس ادارة يدير شئون المعارف فى دمشق · ثم عادت حكومة السلطان عبد الحميد فألغت مفتشية المعارف وعينت الشيخ طاهر مفتشا لدار الكتب ·

فى ذلك الحين كان يتحلق حول الشيخ طاهر عدد من الشباب العربى الذى لعبوا دورا هاما فى الحركة العربية منهم عبد الحميد الزهراوى ورفيق العظم ومحمد كرد على وفارس الخورى وعبدالرحمن شهبندر وسليم الجزائرى (بن أخ الشيخ طاهر) ·

لكن هذه الدراسة التى كانت تدرس كانت دراسة دينية وأدبية وأما المتخصصون فى العلوم والصنائع المختلفة فقد أصبحوا فى حكم النادر القليل · يقول الأستاذ محمد كرد على : أدركت مدينة دمشق وليس فيها طبيب قانونى ولا صيدلى قانونى ولا حقوقى قانونى ممن درسوا هذه الفروع على الأصول وعرفوا صناعتهم معرفة تامة ، وليس فيها محاسب لأن الأمة عاشت وتريد أن تعيش بلا حساب ، اما العلوم الرياضـــية التى كان يدرســـها أجدادهم مع علوم القرآن والحديث ، فقد غدت عندهم أسماء بلا مسميات(٥) ·

---

(٥) محمد كرد على : أقوالنا وأفعالنا صفحة ١٠٧ ·

تلك هى حال دمشق فى الفترة التى ولد فيها محب الدين الخطيب ..

دخل محب الدين الخطيب المدرسة الابتدائية الأميرية التابعة للدولة العثمانية فى دمشق وكان اسمها باللغة التركية (نمونة ترقى) أى مدرسة الترقى النموذجية وكانت فى نفس البناء الكبيرة الذى تقوم فيه فى الجانب القبلى منه (دار الكتب الظاهرية) التى كان والده يتولى أمانتها وقد حصل منها بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٦ على الشهادة الابتدائية وكان بين العاشره والحادية عشرة من عمره وذلك قبل وفاة والده بسنة واحدة . والحقه والده وهو فى السنة الأخيرة من حياته بالتعليم الثانوية وهى المعروفة باسم مكتب عنبر .

وصار من العسير على محب الدين الخطيب بعد وفاة والده أن يكمل تعليمه لولا معاونة الشيخ طاهر الجزائرى له فى تكليفه بنسخ بعض الكتب مقابل أجر يتقاضاه .

وفى المدرسة التجهيزية (الثانوية كان نظام التعليم فيها سبع سنوات مناهج السنتين الأوليين فيها تثبيت مواد الدراسة الابتدائية السابقة وتقويتها . والسنوات الثلاث التالية لغاية السنة الخامسة بمنزلة الاعدادى أو دراسة الكفاءة على غرار التعليم المصـــــرى والسنتان النهائيتان السادسة والسابعة أشبه بسنتى التوجيهى .. أما العلوم التى كانت تدرس فيها فكانت الجبر والمثلثات والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والفلك ومبادىء الاقتصاد السياسى وعلم الأدب التركى .

كانت لغة التدريس هى التركية حتى اللغة العربية كانت تعلم من كتاب باللغـــة التركية مؤلف للتـــلاميذ الترك بمدارس الدولة العثمانية وكانت اللغة الفارســـية بقواعدها ومطـالعتها من كتاب كلستان واللغة الفرنسية تدرسان الى جانب اللغة التركية .

ولاحظ طاهر الجزائرى أن محب الدين تعوزه الثقافة العربية الاسلامية فأشار عليه ـ وكان بمنزلة أبيه الروحى ـ أن ينتفع من

فضائل عالم ضليع هو الشيخ النويلاتي . وفي مناسبة مرور مائة عام على وفاة الشيخ نشرت صحيفة الفتح في مجلدها الرابع عشر بحثا للشيخ البيطار أثنى فيه محب الدين الخطيب على أستاذه هذا ثناء عاطرا(٧) .

وفي مدرسة عبد الله باشا العظيم بين سوق المدينة في دمشق وسوق السلاح وفي غرفة من الدور الأوسط التقى محب الدين الخطيب بأستاذه الشيخ النويلاتي في مبنى وصفه محب الدين انه كان أحد حصون الدعوة الى الاصلاح في عاصمة بني أمية القديمة ففيه غرفة للشيخ طاهر الجزائري يجتمع فيها مع الشيخ طاهر طائفة من حلقته ومنهم محمد كرد علي والشهيد عبد الحميد الزهراوي وأمثالهما ، وفي الدور الأعلى من هذه المدرسة غرفة للشيخ جمال الدين القاسمي تختلف اليه فيها جماعة من تلاميذ غير الذين يختلفون اليه في منزله الكبير .

لازم محب الدين الخطيب شيخه النويلاتي حيث درس أصول النحو وأجاد قراءة القرآن وكان من شأن ذلك في هذه الفترة المبكرة من حياته أن بدأ تفكيره ينضج وصار يلقح ثقافته الشخصية العربية والاسلامية بما يتلقاه في المدرسة من العلوم الرياضية وبما يضيفه اليها من مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهرية ، ودأب على الاطلاع في غرف للقراءة أسستها جمعية القديس يوحنا الدمشقي الأرثوذكسية في مدخل حي المسيحيين بدمشق حيث كانت تأتيها المجلات الكبرى المصرية وغيرها ولاسيما المقتطف والهلال والضياء وغيرها ثم بما يقتنيه هو شخصيا من الكتب العصرية والاسلامية مما يستورده باعة الكتب في دمشق من القاهرة وبيروت واستنبول وغيرها .. فكانت هذه المطالعات المتواصلة ليل نهار والتفكير فيها سبيلا لتكوين نضوج فكري لديه . ومن أهم ما آمن به محب الدين الخطيب في هذه المرحلة على حد ما دونه في سيرته أن جميع أمم الأرض كانت — في بداوتها وجاهليتها — ضيقة الفكر ضعيفة المدارك .

---

(٧) الفتح المجلد ١٤ صفحة ٥٧٦ .

وكانت لغتها ـ تبعا لذلك ـ بدائية جافية قصيرة قبل استفحال الحضارة الا العرب ولغتهم فى بداوتهم فكانوا واسعى المدارك دقيقى الاحساس ، مرهفى الشعور ، ولغتهم فى عصر البداوة ليس لأمة أخرى فى بداوتها لغة تضارعها فى سعتها ودقتها وتعبيرها عن الطف المشاعر ، ودلالتها على المستوى الانسانى الرفيع الذى كان لأهلها ٠

وساعده اطلاعه على مؤلفات ابن تيميـــــية فى التعرف الى الاسلام من ينابيعه الصافية وفطرته المجردة من البدع والطوارىء ٠ ووقف فى زمن مبكر على مزايا الصحابة والتابعين الذين اضطلعوا وحدهم بحمل أمانات الاسلام ، وتكوين هذا العالم الاســـلامى ، وتعريف الانسانية بالاسلام الأول النقى الذى تتجاوب معه الفطرة الانسانية السامية ٠ ولما رأى أن هذا مما خص به العرب والذين تطبعوا بسجاياهم واندمجوا فى فضائلهم ، تكونت عند محب الدين الخطيب ـ حسب ما دونه فى مذكراته ـ بأن للناطقين بالضاد ومن سار فى قافلتهم من المسلمين والانسانيين رسالة هم المسئولون الأولون عن القيام بها فى كل زمان ومكان ، وأن على من يدرك هذه الحقيقة منهم أن يبادر الى الايمان بهذه الرسالة ودعوة الآخرين الى الايمان بها ٠ وهذه العقيدة ظلت ثابتة فى قلب محب الدين الخطيب حسبما يؤكد ذلك لم يتجدد له بعد ذلك ما يغيرها أو يدخل عليها أى تعديل ٠

ومن هذا المنطلق كان اذا وقع فى يده كتاب جديد ككتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبى ، أو كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ـ أورد الشيخ محمد عبده على هانوتو ـ يقرأه أولا لنفسه فاذا رآه مما يدخل فى معانى الرسالة التى آمن بها يحرص على أن يعيد قراءته مع طالب آخر يختاره من بين زملائه ، وكان يعيد قراءة تلك الكتب مرات متعددة مع هؤلاء الأصدقاء أمثال عارف الشهابى الأخ الأكبر للأمير مصطفى الشهابى وصلاح الدين القاسمى الأخ الأصغر للشيخ جمال الدين القاسمى ونابغة حماه الشهيد صالح قنباز ولطفى الحفار أحد الذين تولوا رياسة الوزارة السورية فيما بعد وابن عمه زكى الخطيب وسيف الدين الخطيب من مؤسسى المنتدى الأدبى فى العاصمة العثمانية وأحد

شهداء مشانق جمال باشا ورشدى الحكيم من كبار رجال وزارة العدل السورية ومن نوابغ الأدب فى دمشق وعثمان مردم الأخ الأكبر لجميل مردم أحد رؤساء سوريا السابقين ٠

وبدأ محب الدين الخطيب يمرن قلمه على الانشـــاء بترجمة بعض المقـــالات العلمية والقطع الأدبيـــة عن اللغة التركية في مجلاتها وكتبها ، وأخذ يرسل بما يترجمه أو ينشئه الى صـــحيفة (ثمرات الفنون) التى كان يحررها فى بيروت الشهيد أحمد حسن طباره فكان فى أول الأمر يوقع على ما يكتبه بحرفى م٠خ فلما أنس القبول ، بل التشجيع على هذه المقالات ، صار يوقع على ما يكتبه باسمه الصريح ٠

وفى مخطوط لمحب الدين الخطيب أوضح فى أوله جهود الشيخ طاهر الجزائرى فى نهضة الشام حتى اشتبهت فيه حكومة الاستانة فأرادت عزله من اشرافه على المعارف فى جميع الديار الشامية ، فلما قيل لها ان الرجل لا يعمل الا للصالح العام والشـــعب مؤمن باخلاصه فاذا عزل كان لذلك وقع سيىء فى الديار الشامية فاحتالت على عزله بالغاء مفتشيات المعارف كلها فى جميع الولايات ليكون عزله كأنه غير مقصود فى الظاهر وبقى سنوات لا مورد له الا من بيع الكتب المخطوطة الموروثة له من والده (وكان والده مفتى المالكية فى دمشـــق) ومما اقتناه هو من النفائس التى لا يعرف شـــرقى ولا مستشرق قدرها كما يعرفها هو ٠ وكان عزت العابد فى طفولته رفيق الشيخ طاهر فى الدراسة فكانا يتناوبان الأولية فيه ، وفى وقت تأسيس تشكيلات المعارف فى سوريا تأسست أيضا تشكيلات العدلية (أى المحاكم المدنية) وكما عين الشيخ طاهر مفتشا للمعارف عين عزت بك العابد مفتشا للعدلية واحتاج الى السفر للأستانة لبعض الأمور واتصل بالمابين واكتشفوا هناك ذكاءه وألمعيته فعينوه الكاتب الثانى للسلطان عبد الحميد ٠ فلما علم عزت العابد (وهو فى المابين) أن رفيق صباه الشيخ طاهر نحى عن مفتشية المعارف وأنه يعيش من بيع كتبه أرسل له مع صديق لهما يقول له اختر أى وظيفة ترضى بها أعينك لها ، فأرسل اليه الشـــيخ طاهر يقول : اذا نفذت كتبى وصرت أبيع ملابسى لا أقبل وظيفة من طريقك لأنك التحقت بالمابين ٠٠

وظل الشيخ طاهر بدون وظيفة حتى سعى اثنان من أبناء الأمير عبد القادر الجزائرى هما الأمير محمد باشا والأمير محيى الدين باشا فى تعيينه فى وظيفة مفتش دور الكتب فى الديار الشامية كلها وفى خلال ذلك زار القدس وأقنع راغب الخالدى بتأسيس المكتبة الخالدية وطبع فهرستها . فلما اشـــتدت المضايقة عليه نزح الى مصـــــر ..

وقبل نزوحه الى مصر كانت تلتف حوله الحلقات : حلقة الشيخ البيطار والقاسمى وحلقة رفيق العظم وكرد على ومحمد على مسلم وحلقة شكرى العسلى وعبد الوهاب المليجى وعبد الرحمن شهبندر . وكذلك كان الخطيب حلقة مؤلفة من الأمير عارف الشهابى وبعض بنى عمه وصلاح الدين القاسمى ولطفى الحفار وأخويه وأبناء مردم عثمان وأخويه وعمهم وبعض بنى العظم صلاح الدين وسامى وآخرين وكل هؤلاء على مراتب مختلفة . وكان الخطيب يلازم الشيخ طاهر فى تنقلاته بين أقصى دمشق وأدناها من الميدان الى سوق ساروجة الى الباب الشرقى ، وكثيرا ما تكون هذه الاجتماعات فى بعض غرف مدرسة عبد الله باشـــا العظم وتختم فى أيام الجمعة بين الظهر والعصر من كل أسبوع . كانت الأحاديث فى هذه الاجتماعات تدور حول مســـائل من العلم تعرض لبعض المجتمعين أثناء مطالعاتهم وبحوثهم فى خلال الأســـبوع فيسأل الواحد منهم الشـــيخ طاهر الجزائرى عنها ، فيجيب على ذلك بجمل موجزة بحكمة يقول عنها الخطيب انه يخيل منها لسامعيها ان هذا الرجل العجيب كأنه كان معاصرا للاجيال السابقة فى ماضى العروبة والاسلام ، ومشاركا فى جميع التيارات الفكرية والمذاهب العلمية التى شغلت أذهان علماء هذه الأمة ، ولو شاء الباحث أن يصل عن طريق البحث والمراجعة الى مثل ما يستفيد من كلمات الشيخ طاهر الجزائرى القليلة المرتجلة عفو الساعة لاحتاج الى شهور يراجع فيها مالم يسمع به ولا باسم مؤلفه من المراجع والنصوص كذلك كان الأستاذ كرد على أو غيره يعرض فى هذا الاجتماع مقالا يكون أعده ليرسله الى مجلة المقتطف أو غيرها ، وفى أثناء تلاوته يسدد الشيخ طاهر بعض الخطوات فى

ذلك المقال أو يعدل فى شيء من الآراء الواردة فيه · وأحيانا كان يدور الحديث فى هذه الاجتماعات حول الأحوال الجارية فى الدولة العثمانية أو فى المحيط الدولى مما تشير اليه الصحف فيعلق عليه الشيخ طاهر بما يكشف عن خفايا الاتجاهات كما لو كان هذا الرجل لا عمل له فى حياته الا دراسة مثل هذه الأمور ·

ويصف الخطيب حلقة الشيخ طاهر بانه قلما يسمح الزمان بمثلها فى بلد واحد ولاسيما اذا كان ذلك البلد فى مثل حالة النوم الذى كانت عليه دمشق مستغرقة فيه فى السنوات العشر الأخيرة من سلطته السلطان عبد الحميد · ويوضح مكانة الشيخ طاهر حتى لدى المستشرقين وغيرهم أنهم كانوا يعرفون قدره ومكانته ·

أما تأثيره على الخطيب فيوضحه بقوله : ومن نعم الله على كاتب هذه السطور أنه عرف الشـــيخ طاهر من طفولته واتخذه أبا — بعد موت والدى الشيخ أبى الفتح الخطيب فى المحرم ١٣١٥ — فعرفت طريقى بتوجيهه ونظرت الى أهدافى بعينيه ، وحررت رسالتى فى الحياة بالذوق والمشرب اللذين اقتبستهما منه(٨) ·

وأهم ما استفاده الخطيب من الشيخ طاهر أنه فى السنوات الأولى من دراسته تعلم حب التثبت من كل شيء ، وعدم التسرع فى الحكم على أمر الا بعد الاحاطة بحقيقته والوقوف على دخيلته ·· وكذلك تعلم منه الوفاء لهذه الأمة ومعرفة أقدار عظمائها والنظر بعين الرضا والحرمة لتراثهم العلمى وجهادهم القومى وتضحيتهم لتكوين كياننا الذى يحتاج منا الى بعثة واعادة الحياة اليه · وكانت نتيجة هذا وذاك الايمان بأن من واجبه أن يعمل على تأليف حلقة من أبناء جيله تخلف حلقة الشيخ طاهر وتواصل مهمتها وتصلح لأن تكون امتدادا لها وتتجنب ما يكون قد لاحظه فى بعضهم من نواحى ضعف فحرص على أن تكون حلقته لها دورها وتأثيرها · كان يختار من زملائه تلاميذ مكتب عنبر أو من خارج هذه المدرسة من يرى منهم القابلية للخير يبث فيهم الحماس لأمتهم والعمل من أجلها ·

---

(٨) مخطوط بعنوان : الجيل الذى عاصر بعث العروبة .

وقص الخطيب فى مخطوطه السابق الاشارة اليه أخبار رفاقه فى حلقته واضطهاد ادارة المدرسة له وتفتيش درجه فوجدت معه قصائد تركية لشـــاعر الترك نامق كمال وكلها تمجيد فى الحرية تتخللها قصائد ومقطوعات أخرى من هذا القبيل وبعد تفتيش المدرس له ووجود كتب ممنوعة التداول فى زمن السلطان عبد الحميد أبلغ ادارة المدرسة فعملت معه تحقيقا وصادرت الكتب والمطبوعات « ولما وجدوا كل هذا فى درج مكتبى عاقبونى بنقص درجاتى فى السلوك ثم جاء الامتحان لأنتقل الى السنة النهائية فتعمدوا أن يبخســـونى فى درجاتى بالامتحان . وحينئذ رأيت أن البقاء فى مكتب عنبر لم يعد يطاق فعزمت على الانتقال الى مدرسة بيروت وفيها قضيت السنة الأخيرة وأخذت شهادتى الثانوية » .

وبانتقال محب الدين الخطيب من مدرسة دمشق الى مدرسة بيروت انتقل معه كثيرون من نوابغ تلاميذ مدرسة دمشق الثانوية ومنهم جميع الأمراء الشهابيين من أبناء وادى النيل) حاصـــبيا وراشيا) وقد حصـــل محب الدين على هذه الشـــهادة بتاريخ ١٤/٦/١٩٠٥ .

أبحر محب الدين الخطيب بعدها على باخرة روســـية الى الأستانة لاكمال تعليمه هناك وتقابل فى هذه الباخرة بعبد الكريم قاسم الخليل حيث نزلا سويا فى الآستانة فى شارع طاووق بازارى من حى جنبرلى طاش . ووصل بعد ذلك الأمير عارف الذى اقام مع محب الدين الى أن هيأ لنفسه مكانا للاقامة .

وعند وصول محب الدين الى الآســـتانة التحق بكليتين معا الحقوق والآداب . ويبرر ذلك بأنه ليس الغرض منه الاكثار من العلم بقدر ما هو الاكثار من الآفاق التى يغشاها ليكثر من الاخوان الذين يصطفيهم ويعقد الروابط الفكرية معهم .

الفصـــل الثـــانى

دور محب الدين الخطيب فى الحركة العربية حتى اعلان المشروطية الثانية

كان مجىء محب الدين الخطيب الى عاصمة الدولة العثمانية فى أواخر ١٩٠٥ ليلتحق بالتعليم فيها بداية لمرحلة هامة وجديدة فى حياته ٠

فقد هاله عند وصوله الى هذه البيئة الجديدة أن جميع أبناء العرب من ســـوريين وفلســطينيين وعراقيين وحجازيين وغيرهم ـ يجهلون قواعد لغتهم واملاءها فضلا عن آدابها وثقافتها ويتكلمون حتى فيما بينهم باللغة التركية ـ كان هذا الشباب العربى فى هذه المرحلة أن يحذق الكلام والكتابة باللغة التركية ويندمج فى أهلها ثم يكون مستعبدا للوظيفة التى يرجو أن يحصل على العيش من طريقها (١) ٠

---

(١) مخطوط لمحب الدين الخطيب : سيرة جيل ٠

شغلت قضية التعليم باللغة العربية ذهن محب الدين الخطيب فقد كان يؤمن أن من يتعلم العلم بلغة غيره يصعب عليه أن يفيد أبناءجنسه بغير تلك اللغة وتستحيل عليه أن يبث فيهم من روح علمه بلغة قومه ٠ وكان محمد كرد على فى هذا الوقت قد انتقل من دمشق الى مصر والتحق بقلم تحرير جريدة الظاهر التى كان يصدرها محمد أبو شادى المحامى ثم بقلم تحرير المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف٠ ثم أخذ يستعد لاصدار مجلة المقتبس الشهرية فطلب منه محب الدين أن يزاقيه بجميع ما ينتهى منقراءته من الصحف المصرية وما يصل اليه من صحف سوريا والمهجر أى من الصحف التى يصدرها السوريون خارج وطنهم وخاصة فى الأمريكتين ٠

كان الهدف من ذلك أن يستعين بها محب الدين على تحويل من يتصل بهم من شباب العرب فى استنبول من وجوه التركية الى عربية ٠٠ وأن يحبب اليهم دراسة الأدب العربى ٠

فجعل محمد كرد على يرسل الى محب الدين الخطيب مع بريد كل باخرة تقوم من الاسكندرية الى استنبول طردا كبيرا من الصحف بعنوان فرع البريد الفرنسى فى (غلطة) وهو الحى الافرنجى من استنبول ٠

وكان الشبان الشهابيون وغيرهم من الذين كانوا على صلة بمحب الدين فى دمشق وبيروت والذين تعرف بهم للمرة الأولى وهو فىطريقه الى الاستانة قبل عبد الكريم الخليل أو الذين تعرف بهم هناك فى عاصمة الدولة مثل فايز العظم من فرع أسرة العظم فى حماه وشكرى الجندى الذى صار فيما بعد من كبار رجال القضاة فى سوريا ومظهر رسلان الذى صار بعد ذلك رئيس وزارة فى الاردن وغيرهم يحضرون للاطلاع على الصحف والمطبوعات التى لا عهد لهم بمثلها من قبل ٠

ومع الأيام السريعة المتوالية استطاع محب الدين أن يتخير من هؤلاء الشباب طائفة أقنعها أن من الخير لها أن تتعلم قواعد اللغة

العربية وأن تقرأ أو تحفظ قطعا بليغة من الأدب العربي · واتفق مع صديقه القديم الأمير عارف الشهابي وهو أديب شـــاعر على أن يقتســـما هؤلاء الشباب الراغبين في تقوية ملكتهم باللغة العربية فيتولى الأمير عارف تعليم حلقة من الشباب الساكنين على مقربة منه · ويتولى محب الدين تعليم حلقة أخرى أكبر من هؤلاء ·

ورسم محب الدين خطة الدراســـة في الحلقتين بأن يتم تعليم قاعدة واحدة من قواعد اللغة العربية نظريا ثم تطبق عمليا مدة طويلة بالقراءة والانشــــاء ولا ينتقل منها الى قاعدة أخرى الا بعد اتقان استعمال القاعدة الأولى واعتياد اللسان على التزام الصواب في استعمالها · ومع تفهم القاعدة والتمرين على استعمالها يحفظ المتعلم بضعة أبيات من بليغ الشعر العصري أو القديم · ويشترط أن تكون الأبيات المختارة للحفظ والقطع المختارة للقراءة ذات مرمى توجيهي توقظ في نفس الطالب مشاعر الاتصـــال بقوميته العربية وماضيه الاسلامي ، والارتياح الى السجايا والأخلاق التي ترتفع بمســـتواه الى التربية التي تؤهل الجيل لأن يكون من أهل الحق والخير(٢) ·

ويذكر محب الدين الخطيب أن الشباب العربي في عاصمة الدولة العثمانية الذي تعلم بهذه الطريقة شعر يوما بعد يوم بعظمة قوميته العربية وبجلال الاسلام وتضافرهما وفرض على من يقصر في الدرس أو يتخلف عن حضوره في الموعد المحدد أتاوات مالية خفيفة فتح لها صندوق خاص وتولى أمانته شكري الجندي وكان التعلم مجانا ·

وبعد وقت قريب أو بالتحديد في يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٠٦ كاشف محب الدين الخطيب المتازين من شباب الحلقتين (حلقة الأمير عارف الشهابي وحلقته) أن هذا العمل الذي نحن فيه نهضة وأنها نهضة مباركة ان شاء الله واقترح أن يسمى المشتركون فيه حلقتهم ــ بل حلقتيهم ــ باسم جمعية النهضة العربية ·

---

(٢) مخطوط بعنوان : الجيل الذي عاصر بعث العروبة ·

وفي مخطوط محب الدين يقول : ذكرت لكم ما رأيت عليه شبابنا فى الأستانة كلهم متتركون ، وكلهم يرون السعادة فى آن يصطبغوا بصبغة حكومتهم فيكونوا موظفين ناجحين ، وكثيرون منهم يخجلون من عروبتهم ، بل اذا اجتمع العربى بالعربى يتخاطبان بالتركية بقمت بمحاولة تأسيس جمعية النهضة العربية واختارونى لرئاستها فى الاستانة(٣) .

وفى حديث للأستاذ الخطيب مع سعيد الأفغانى عندما اجتمع به فى مارس ١٩٦٣ قال له انه عند وصوله الى استنبول ألفى أكثر الطلاب العرب يتتركون غير شاعرين بعروبتهم قط وجدهم يتكلمون التركية ويتعلمونها ويكتبونها ويتباهون كلما تقدموا فيها خطوة وهم يجهلون لغتهم الا بعض الجمل السوقية الرديئة الى نصفها مخلوط بالكلمات الغربية . أما تاريخ أمتهم وجغـــرافية بلادهم وســـجل حضارتهم — فشىء لم يسمعوا به قط ووجد اكثر العراقيين المتعلمين يتراسلون بالتركية(٤) ..

امن محب الدين أن تعلم اللغة العربية بداية لتعزيز الشعور القومى فى نفوس الشباب العربى . وهذا واضح تماما فى البحوث التى القيت فى جمعية النهضة العربية . ففى بحث له بعنوان التعليم بالعربية يقول أول مايراد من اصلاح التعليم هو آن يكون أولا بالعربية اذا كانت المدارس مشيدة فى بلاد يقطنها الناطقون بالضاد ممن انحدروا من أصلاب العرب اذ ان غاية التعليم ارشاد الأمة الى مافيه صلاحها واصلاحها ولا يتم ذلك الا اذا توفرت على الأسباب التى من شأنها أن تاخذ بناصر اللغة العربية والعمل على اشاعتها فيما بينهم جهد الطاقة ليستتب لهم التفاهم بلغة سوف تعود الى نضرتها الأولى اذا أصلحت طريقة التعليم(٥) .

---

(٣) المرجع السابق .
(٤) مجلة دعوة الحق نوفمبر ١٩٧٠ .
(٥) القاسمى : آثاره ص ٤٦ .

ويتفق محب الدين الخطيب في هذا الاتجاه مع ساطع الحصري ومع رجال المدرسة الألمانية وفي مقدمتهم هردر وفيخته على أن اللغة القومية هي بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه وتنتقل بواسطته أفكار الشعب ، وأن قلب الشعب ينبض في لغته(٦) . كان محب الدين اذا يرى أن بداية النهضة العرصية هي تعلم اللغة العربية وآدابها .

ولما كان الشباب العربي في الأستانة يكثر من التردد على المقاهي ولا تجذبه مطالعة الصحف العربية خطر ببال محب الدين أن يكون للشباب العربي في استنبول مقهى خاص بهم يفضلونه على غيره وتسهل الاجتماع بهم فيه . وبعد المداولة والتشاور مع أعضاء الجمعية ولاسيما شكري الجندي أمين صندوقها ـ وقع الاختيار على احدى المقاهي في أحد الشوارع الرئيسية في الأستانة على أن تكون ملتقى للشباب العربي ودبت الحيوية والحركة في المقهى وصارت اسطوانات كبار المغنيين والموسيقيين العرب في ذلك الحين يتردد صداها العالي في أربعة شوارع .

وهكذا استطاع محب الدين الخطيب أن يجذب الشباب العربي على الاقبال على تمضية أوقات فراغهم في هذا المقهى بدلا من تمضيته في المقاهي الأخرى وأخذ أعضاء الجمعية يزدادون .

ولم تكن فكرة المنتدى الأدبي الذي سيؤسس في الأستانة بعد ذلك سنة ١٩٠٩ الا استكمالا لهذه الفكرة التي بدأها الخطيب في فترة سابقة . فقد كانت مشكلة الطلبة العرب في الأستانة أنهم في حاجة الى مكان يلتفون فيه ويبيت فيه من يحضر الى عاصمة الدولة من خارجها(٧) .

ومضى محب الدين الخطيب في العمل على جذب أكبر عدد من الشباب العربي الى جمعيته . ولم أجد في أوراق الخطيب ما يدل على أن هذه الجمعية عند تأسيسها كان لها نظام داخلي أو شروط

---

(٦) محمد برج : ساطع الحصري ص ١٤٤ .

(٧) مصطفى الشهابي : القومية العربية ص ٦٩ .

للعضـــوية فكانت مجرد تجمع (ملتقى أكثر منه جمعية نظامية مؤسسة على غرار الجمعيات الأخرى . ولكن وجدت بيانا عنده يوضح فيه منابع الواردات للجمعية فجعل كل عضو يدفع نصـــف قرش تركى يوميا ومن لم يحضر الدرس عليه سبعة أرباع القرش وأما من لم يحفظه فعليه أن يدفع قرشا . وسمى هذا المنبع للجمعية واجبا .. أما المنبع الثانى فيسمى استحقاقا أى ما يستحقه العضو من الجمعية ثم هناك منبع الهدايا ووجدت بخطه كلمة أن صندوق الجمعية يقبل الهدايا .

وكانت النتيجة الأولى لهذا النشاط الجديد ازدياد عدد الملتفين حول مؤسس النهضة والشعور بالحاجة الى لقاء منهم فى حفل موسع لتبادل المشـــاعر والأفكار الجديدة والآمال المتفتحة . ودار البحث عن مكان يمكن ان يتام فيه هذا الحفل بعيدا عن عيون المابين المبثوثة فى كل مكان . وقيل لهم ان فى جزيرة قريبة من الأستانة اسمها بيوك أضنة حديقة واسعة يملكها أحمد باشا الزهير من أعيان البصرة وفى الامكان اقامة هذا الحفل فى أرجائها الواسعة البعيدة عن العيون والآذان . وبذلك يكون قيام أول حفل لأول جمعية عربية فى العاصمة العثمانية على أرض عربية توصى بالمعانى التى لا يعبر عنها جو آخر .

وفى صباح الثلاثاء (١٣ يوليو ١٩٠٧) كانت الباخرة القادمة من استنبول الى بيوك أضنة تحمل من الركاب أضعاف العدد الذى اعتادت أن تحمل الى هذه الجزيرة فى الأوقات الأخرى . واجتمع شباب العرب فى هذه الحديقة التى يملكها أحمد الزهير يمرحون ويسرحون ثم انتظموا فى حلقة واسعة توسطها محب الدين الخطيب وألقى عليهم خطبة « بعنوان واجباتنا » حتى اذا انتهى من القائها تقدم عارف الشهابى فألقى قصيدة عنوانها « نحن والأغيار » .

ونتج عن هذا النشاط لمحب الدين الخطيب أن نظارة الضبطية شعرت بنشاطه الغير عادى فضربت عليه نطاق رقابتها . ولما أمسك رجالها بالخيوط التى تتصل بهذه الحركة رجعت بهم كلها الى مصدر واحد وهو غرفة محب الدين الخطيب . وفيما كان محب الدين فى

حلقة تدريس العربية بغرفته بعد عصر أحد الأيام اذ طرق باب الغرفة أحد كبار موظفي نظارة الضبطية يومئذ واسمه فريد باشا · وفوجىء مندوب الضبطية بمحب الدين الخطيب أمامه ولم يكن يعلم ذلك فقد كان الأمر الذى تلقاه أن طائفة من شباب العرب لهم نشاط تجهله الحكومة وطلبت الحكومة العثمانية من فريد باشا البحث عن الحقيقة ·

يذكر محب الدين فى مخطوطه « سيرة جيل » أن فريد باشا طلب الاختلاء به وسأله عمن هم موجودون معه · فقال له محب انهم أصحابه وزملاءه فى الدراسة · وسأله عن الكتب الموجودة فقيل له انها صحف وكتب لغتها العربية للتمكن من تعلم اللغة العربية وأسر فريد باشا للخطيب أنهم مراقبون من قبل نظارة الضبطية منذ أسابيع ولما قويت الشبهة فيهم ندبته الحكومة للقبض عليهم والذهاب بهم للتحقيق · وأن عساكر الشرطة ينتظرون منه الأمر للقبض عليهم · وقال له مندوب الضبطية انه بحكم معرفته بأبناء عمه صلاح الدين وزكى وسيف الين الخطيب لن يقبض عليه لكنه قد يأتى مندوب أخر فيعتقله ونصحه بحرق الأوراق الموجودة عنده ومنع الاجتماعات مع زملائه(٨) ·

دعا محب الدين الخطيب عقب ذلك اخوانه وقص عليهم ما دار من حديث بينه وبين مندوب نظارة الضبطية فذكر الشديد عبد الكريم الخليل ان له أصدقاء ايرانيين يقيمون فى عاصمة الدولة سيودع عندهم كتب محب الدين الخطيب ويتأسف الخطيب كثيرا أن ذلك الصندوق بقى عند ذلك الايرانى ولم يعثر عليه بعد ذلك رغم ما كان فيها من نفائس الكتب والمصادر العربية ·

وقع هذا كله عندما كان محب‌الدين فى نهاية السنة الثانية الدراسية بالحقوق وكان لاتساع نشاطه الخارجى ما حال بينه وبين مواصلة الدراسة فى الآداب والحقوق معا فاكتفى بالدراسة فى الأخيرة دون الأولى ·

---

(٨) انظر كذلك مخطوطه بعنوان : الجيل الذى عاصر بعث العروبة .

ومع هذه الاحتياطات والاشتغال بالمذاكرة لدخول الامتحان ، فان المراقبة ظلت متواصلة واتسع نطاقها فشمل منازل كثيرين ممن كانوا يترددون على غرفتى محب الدين الخطيب وعارف الشهابى . وتم الامتحان بنجاح محب الدين وانتقاله الى السنة الثالثة وكانت الخطة أن يتفرغ فى العطلة الصيفية لمواصـــلة العمـل فى جمعية النهضة العربية لولا أن يقظة البوليس الحميدى ونشاطه حملت محب الدين أن يستجيب لنصيحة اخوانه وزملائه فى استنبول ليتركها فى العطلة الصيفية الى دمشق .

عاد محب الدين الى دمشق ليجد أستاذه ورائده الشيخ طاهر الجزائرى قد غادرها الى مصر موئل الأحرار العرب الذين ضاقت بهم المعيشة فى ظل جو الاستبداد الذى فرضه السلطان عبد الحميد الثانى وانتشار التجسـس والتضـييق على الصحافة .. وكما فر الكواكبى من قبل هربا من هذا الاستبداد وآثر الاقامة فى مصر ، خرج الشيخ طاهر اليها كما ذهب من السوريين كثير من الذين ضاقت بهم الحياة فى هذا الجو الذى ســـاد الدولة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد . ذهب رفيق العظم ومحمد كرد على وكانا من أعز أصدقاء محب الدين الخطيب ليقيما مع غيرهم من السوريين فى مصـــر .

والمعروف أن هؤلاء السوريين الذين جاءوا الى مصر كان لهم دورهم ونشـــاطهم سواء فى مجال الصحافة والادب أو فى مجال العمل والتصدى للاستبداد الحميدى أو فى مناواته سياسة التتريك على عهد الاتحاديين . ومن هؤلاء رشيد رضا الذى قدم الى مصر فى ٣ يناير ١٨٩٨ فى باخرة رســـت به فى الاســـكندرية فى ذلك التاريخ(٩) .

كان محب الدين الخطيب قد كتب قبل مجيئه الى سوريا الى اثنين من خلصائه هما صلاح الدين القاسمى ولطفى الحفار ينبئهما

---

(٩) رشيد رضـا : رسالة دكتوراه أحمد الشرباصى .

عن تأليف جمعية النهضة العربية فى استنبول يدعوهما الى الالتحاق بها ٠ وأشار على كل منهما أن يرى أحدهما كتابه للآخر فاجتمع هذان وتذاكرا مليا وقر رأيهما فى الختام على الالتحاق بالمركز الأول فى القسطنطينية وقاما بتأسيس فرع للجمعية مؤلف من خمسة أعضاء ٠٠ فكانوا يجتمعون ليلتين من كل أسبوع ويتبرع كل منهم بمبلغ زهيد من المال يحفظ فى صندوق لحساب هذه الجمعية(١٠) ٠

رأى محب الدين الخطيب أن هناك فائدة أخرى من وراء سفره الى دمشق فالى جانب الأخذ بماأشار به أصحابه من البعد عن مراقبة رجال الضبطية فى العاصمة العثمانية له أن يتعهد فرع جمعية النهضة العربية فى دمشق بالنماء خصوصا وعلى حد ما دونه محب الدين فى أوراقه ـ أنه علم أنه فى غيبته قد انضم الى بعض المصاعب التى يلقاها المنتسبون الى النهضة العربية فى استنبول ظهور لغط من بعض الذين فى قلوبهم مرض وعلى رأسهم اثنان : مظهر رسلان الذى صار فيما بعد رئيس وزارة الاردن ، وتامر حمادة من ابناء أعيان الهرمل ٠ وفيما كان محب الدين فى دمشق فى صيف (١٩٠٧) تلقى رسالة من الأمير عارف الشهابى فى استنبول يصف له الحالة هناك واللغط الذى ازداد حول الجمعية وأعضائها ، وطلب اليه أن يواصل لقاءه فى دمشق بعد انتهاء العطلة المدرسية فيستريح فى الوطن لمدة سنة الى أن تهدأ الحال فى استنبول وتنقطع الرقابة على الجمعية وأعضائها والملتفين حولهم ٠

انتهز محب الدين الخطيب فرصة مجيئه الى دمشق وقر رأيه على نقل المركز العام للجمعية من استنبول الى دمشق(١١) ٠

أخذ محب الدين الخطيب ورفاقه على عاتقهم فى هذه الجمعية تعريف شباب العرب المثقفين لعروبتهم ودعوتهم الى التعاون فى اصلاح المجتمع العثمانى الذى كان يتوقف على اصلاحه صلاح

---

(١٠) القاسمى : ص ٦

(١١) سيرة جيل مخطوط ٠

المجتمع العربى . وقرر المركز العام للجمعية انشاء مكتبة صغيرة في دمشق واقتناء الصحف والمجلات العلمية وأعد مكانا فى دار عثمان مردم وبدأ طبع المصنفات العصرية تمشيا مع مبادئها والى جانب نشاط محب الدين الخطيب فى دعم جمعية النهضة العربية في دمشق حرص على حضور حلقات أتباع الشيخ طاهر الجزائرى التى أخذت تعقد برغم أن الشيخ طاهر قد غادرهم الى مصر . وكانت هذه الحلقات تعقد بعد الظهر يوم الجمعة من كل أسبوع فى منزل رفيق العظم مع أنه هو الآخر قد غادر دمشق الى مصر كما سبق القول .

وفي أوراق محب الدين أنه بينما هو فى أحد هذه الاجتماعات فى يوم جمعة كان من المجتمعين القائمقام أركان رحب سـليم بك الجزائرى وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك المليجى وفارس بك الخورى وآخرون . وفى نهاية الجلسة نهض فارس الخورى وكان يشغل في ذلك الحين وظيفة الترجمان الأول للقنصـلية البريطانية العامة نى دمشق وقال لسليم الجزائرى أن قنصل الانجليز بالحديدة محتاج الى شـاب عربى مسلم يكون فى منصـب الترجمان له . ويشترط فيه أن يحسن مع لغته العربية ـ اللغة التركية ويكون له المام بالقوانين العثمانية وشئون القضاء ، لأن الوظيفة قضائية ويحضر فيها الترجمان جلسات المحاكم التى يكون فيها أحد تبعة القنصلية طرفا فى القضية والمهم أن يكون من أهل الأستانة وله المام ثقافى ، ولا علاقة لعمله بشىء من أمور السياسة لاسيما وأن القنصـلية نفسها مهمتها ادارية وتعنى بشئون التجارة وغير دبلوماسية .

وقال فارس الخورى لسليم الجزائرى أنه يعلم أن كثيرا من أبناء الجالية الجزائرية فى دمشق كانت الحكومة العثمانية قد أباحت لهم الدراسة مجانا فى دار الشفقة التى أسسها فى استنبول . وفى المتخرجين الجزائريين من هذه المدرسة من تتوفر منهم هذه المزايا المطلوبة . وسأله أن يرشح له أحدهم لشغل هذا المنصب فوعده سليم الجزائرى أن يبحث له عمن تتوفر فيه هذه المزايا ويخبره فى الاسبوع القادم .

ويذكر الخطيب أنه كان قريبا من كل من فارس الخورى وسليم الجزائرى فسمع هذا الحديث فاتجه الى فارس وسأله عما اذا كان يصلح هو (الخطيب) لهذا العمل فتعجب فارس الخورى اذ كيف يكون الخطيب طالبا فى السنة الثالثة بكلية الحقوق وزملاؤه ينتظرون انتهاءه من الدراسة بعد سنتين وهو موضع رجائهم فيترك الدراسة ٠

وأبدى الخطيب رغبة قوية فى التعرف على اليمن « لأنه وطن من أوطاننا واتصالنا به منقطع وأنا أحب أن أعرفه عن قرب ٠٠ » ٠

ثم أطلع الخطيب فارس الخورى على كتاب عارف الشهابى وكان من حاصبيا من وادى التيم قال له : انهم يطلبون منى أن لا أعود الى استنبول لمدة سنة على الأقل وانى اذا قضيت فى اليمن هذه السنة التى ستضيع على كل حال من مدة دراستى فلن أخسر شيئا ٠ واذا صار الجو فى استنبول صالحا لعودتى أستقيل حالا من هذا العمل الجديد ولا يكون قبولى لهذه الوظيفة فى الحديدة قد غير شيئا من مجرى حياتى الدراسية وما بعدها ٠ وقرأ فارس كتاب الشهابى وقال الخطيب انه كان يطمع لوظيفة الحديدة فيمن هو أقل من الخطيب ولكن مادامت ظروفه هكذا فسوف يسعى له فى الحاقه فى هذا العمل « وأنت حيثما تكون لا تستطيع الا أن تكون فى خدمة قوميتك والنصح لها ومع ذلك راجع فكرك ، فالأمر جاءك الآن على حين فجأة ، فاذا انشرح له صدرك بعد التروى والتدبير وصممت على ماأنت تراه الآن فأخبرنى وأنا أتمم ذلك ان شاء الله»(١٢) ٠

وتم الأمر وجاءت الموافقة من قنصل الحديدة بتعيين محب الدين الخطيب ترجمانا أول عنده ٠ وتعين وقت السفر فى نوفمبر ١٩٠٧ فرسم محب الدين خطته أن يقضى شهر أكتوبر فى مصر الى جانب شيخه وأبيه الروحى الشيخ طاهر الجزائرى وصديقه محمد كرد على ثم ليكون ــ على حد قوله ــ على مقربة من مركز النهضة الأدبية

---

(١٢) المصدر السابق الاشارة اليه ٠

والعربية وليتصل ــ على قدر الامكان بأركانها وأعلامها ويسافر من مصر الى الحديدة فى أول نوفمبر ٠

ويروى محب الدين فىأوراقه المخطوطة أنه قضى الأسابيع القليلة الباقية على سفره من دمشق الى القاهرة التى سيسافر منها الى الحديدة فى انهاض المركز العام لجمعية النهضة العربية ٠ ولم اجد بين أوراق محب الدين الخطيب ما يوضح أن هذه الجمعية كان لها نشاط سياسى فهى من هذه الناحية لا تختلف عن الجمعيات العربية الأخرى التى تشكلت فى فترات سابقة على الزمن الذى أنشئت فيه جمعية النهضة العربية من حيث مدارسه آداب العرب وتاريخهم ٠ ومن المعروف أن فكرة الجمعيات الأدبية فكرة حديثة بدأت فى أحضان التبشير وبتشجيع منهم مثل جمعية الآداب والعلوم التى كان البستانى واليازجى من رواد أنشائها حين تقدما باقتراح الى الارسالية الأمريكية لتأسيس جمعية علمية ونجحا فى سنة ١٨٤٢ فى حملها على تشكيل لجنة لتنفيذ الاقتراح ٠ ثم كان أن برزت الى الوجود هذه الجمعية فى يناير سنة ١٨٤٧ وكان مقرها بيروت ٠ ونتيجة للمنافسة بين الارساليات الأجنبية ظهرت جمعية الشرق أسسها اليسوعيون سنة ١٨٥٠ فلما حلت ظهرت بعدهما الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٥٧ التى كان مقرها الرئيسى بيروت والتى لم يقتصر نشاطها على بلاد الشام فضمت بين أعضائها عددا من المصريين المقيمين فى دمشق وبعض الأدباء المقيمين فى الأستانة٠ واختلفت هذه الجمعية عن سابقتيها بأنها ضمت مسلمين ومسيحيين عرب على السواء وكان لابراهيم اليازجى باع طويل حيث مضى يكمل رسالة أبيه فى بعث الأدب العربى والعناية بالتراث العربى ٠

لكن أهم ما امتازت به جمعية النهضة العربية التى أسسها الخطيب أنها ضمت الشباب العربى الذى نفر من التبشير ومدارسه وأراد أن يعمق جذور القومية العربية على أسس اسلامية ومن أجل هذا كان رائدهم الشيخ طاهر الجزائرى ٠ وكانت نصيحة محب الدين الخطيب لزملائه فى الجمعية عندما التقى بهم فى دمشق وحسبما يذكره فى أوراقه أن يستعينوا فى تعليم الشباب اللغة العربية

بأستاذه النويلاتى · وفى الدراسات التى نشرها الخطيب بعد ذلك فى مجلة الفتح عن هذا الشيخ ما يوضح أنه كان ينهج نهج السلف الصالحين حين كان يرجع فى فهم الآيات الى أفضل كتب التفسير وأهداها كتفسير الطبرى والحافظ بن كثير وعندهما ممن يفسر القرآن الكريم بكلام لا ينطق عن الهوى واشتهر بالمواعظ والحكم التى نقلها عند تلاميذه واستفادوا منها فائدة كبرى ، زاهدا فى الدنيا بكل مباهجها ، أعطى العلم كل ذرة فيه وتفرغ لفهمه والانتفاع به ونشره بلا شوائب على الناس(١٣) · وقد تأثر الخطيب بهذا الشيخ السلفى كثيرا فى فهمه وحياته ·

ومضى يجتمع باخوانه فى دمشق فى منزل عثمان مردم وأخيه الأصغر جميل مردم فى حى المارستان جنوبى سوق الحميدية ، وفى المنزل الآخر لآل مردم فى طريق الصالحية · ويذكر الخطيب أن الجلسات كانت تمتد بهم فى بعض الليالى فيبيت فى أحد هذين المنزلين الى اليوم التالى · غادر الخطيب دمشق يوم الاربعاء ٢٦ أكتوبر ١٩٠٧ متجها الى بيروت وظل يذكر كيف أمضى آخر أيامه فى دمشق فى منزله فى حى القيمرية يعج بالمودعين من اخوانه وأصحابه فى مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر والأمير أحمد الشهابى ولطفى الحفار ورشدى الحكيم وزكى الخطيب وصلاح القاسمى وسامى العظم وغيرهم ·

وفى بيروت زار عضوى الجمعية عثمان مردم وجميل مردم ·· كما اتيحت له زيارة الكلية الأمريكية حيث استمتع بقضاء وقت طيب فى مكتبة الكلية وجدد صلته فى بيروت ببعض معارفه(١٤) ·

وغادر محب الدين الخطيب بيروت الى مصر على ظهر احدى البواخر الفرنسية مساء الاثنين ٢١ أكتوبر ١٩٠٧ وهى باخرة من

---

(١٣) محمد بهجة البيطار بحث عن الشيخ احمد النويلاتى ــ الفتح المجلد الرابع عشرة س ٥٧٦ نقلا عن احمد السيد الكومى : آثار الخطيب الاسلامية ·

(١٤) سيرة جيل ــ مخطوط ·

بواخر شـــركة المســاجرى ماريدم كانت تتم رحلاتها بانتظام بين بورسعيد وبيروت وبوصـــوله بورســعيد ركب منها القطار الى القاهرة ·

ولزيارة محب الدين للقاهرة أهمية خاصة فى مراحل حياته · ففيها كما يذكر سعد كل السعادة بلقائه بمحمد كرد على الذى أرسل شقيقه لانتظاره فى محطة سكة حديد القاهرة · ونزل ضيفا عليه فى منزل كان يسكنه فى أول شارع الشيخ ريحان · وما أن سمع الشيخ طاهر بقدومه حتى حضر اليه مرحبا مهنئا تلميذه بسلامة الوصول وذهب معه لزيارة رفيق العظم · والتقى أعضــاء جمعية النهضة العربية الموجودون فى القاهرة مثلما كانوا يلتقون فى دمشق ودار الحديث عن جمعية النهضة وأهدافها وآمال محب الدين الخطيب فيها · وكان محمد كرد على قد نشر فى مجلة المقتطف سلسلة فصول بعنوان (عمران دمشق) فعرض محب الدين على كرد على أن يتولى جمعية النهضة جمع هذه الفصول وطبعها فى كتاب مستقل ·

ومن أهم ما حرص عليه الخطيب أثناء وجوده بالقاهرة قضاؤه وقتا كبيرا بدار الكتب المصرية للالمام بما تحتويه من كتب ومراجع وذلك فى الوقت الذى كان صديقه كرد على مشغولا بعمله فى جريدة المؤيد التى كان يصدرها الشيخ على يوسف · وكان يزور القاهرة فى وقت وجود الخطيب بها أحد كبار أعيان مسلمى روسيا اسمه اسماعيل بك عنبرنسكى.وقد جاء الى مصر للدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى فيها لدراسة أحوال المسلمين عموما ومسلمى روسيا على وجه الخصوص وحضر هذا الرجل لزيارة رفيق العظم مستعينا به فى هذا المجال ويتعرف عليه الخطيب ويقص على اخوانه انه كان يهدف من وراء زيارته لدار الكتب أن يبحث بالدرجة الأولى على رسالة لابن المقفع كان قد سمع انها محفوظة مخطوطة فى هذه الدار وكان يتوقع أنه بعثورد عليها سوف يكون لها أثر كبير فى تاريخ نقل علم المنطق الى العربية · ولكنه ببحثه فى مفردات قسم المجاميع فى هذه الدار لم يعثر لها على شىء · ونظم محمد كرد على دعوة لعدد من الشخصيات فى فندق الكونتنتال للاستماع الى محاضرة

يلقيها هذا الرجل الروســـى بعنوان (داء المسلمين ودواؤهم) وعن أحوال مسلمي روسيا مستهدفا الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى لهذا الغرض · ويذكر الخطيب فى أوراقه أن الرجل ألقى المحاضرة باللغة التركية حيث كانت تتم ترجمتها فقرة فقرة وتضـــاف اليها تفاصيل واستطرادات فرعية وهو الأمر الذى أضعف من تأثيرها على السامعين وان كان الجميع ارتاحوا لما علموا ما عليه من مسلمى روسيا من النشاط الاقتصادى ويقول الخطيب فى مذكراته « عسى أن يكون المؤتمر الذى دعى اليه هذا الرجل أكثر اهتماما بموضوع داء المسلمين ودائهم ويكون الالمام فيه بمستوى المســـلمين الخلقى والفكرى هو الأساس الذى تقوم عليه النهضة الاقتصادية فتكون هى احدى نتائج تقدمه وارتقائه لأن الاقتصاد اذا لم يقم على أساس من الأخلاق والتربية الاجتماعية قد يكون مشوبا خيره بشــره بل قد يطغى » ·

ويوضح الخطيب استياء رجال الحزب الوطنى فى مصر من ميل هذا الرجل الروسى الىالتعاون مع الشيخ على يوسف صاحب المؤيد واختصاصه بالدعوة الىسماع خطبته وذلك لماكان بين رجال الحزب الوطنى فى مصر والشيخ على يوسف من عداء وجفاء كما يذكر أنه حصلت مشادة فى منزل رفيق العظم حول اللجنة التى يراد تأليفها لعقد المؤتمر وهو الأمر الذى عرقل الدعوة اليه وتعرف هذا الرجل (اسماعيل عصبرنسكى) بالشيخ طاهر الجزائرى وهو أمر كان يعلق عليه الرجل أهمية خاصة لمكانة الشيخ طاهر ودوره الكبير بين العلماء المسلمين فى ذلك الحين ·

وانقضت الأيام التى حددها محب الدين لاقامته فى القاهرة بسرعة الأمر الذى حال بين تمكنه من تلبية دعوة مصطفى صادق الرافعى الأديب المعروف للتعرف الى محب الدين ·

ومنأهم ما قام به الخطيب فى القاهرة تعرفه الى الأعضاء المؤسسيين لجمعية الشورى العثمانية · تعرف الخطيب الى رشيد رضا عن طريق زميل له فى جمعية النهضة العربية وهو رفيق العظم الذى شغل وظيفة أمين صـــندوق جمعية الشـــورى وحقى العظم

سكرتيرها(١٥) · ولم أجد ما يدل على أن محب الدين الخطيب كانت بينه وبين رشيد رضا صلة قبل مجيء الخطيب الى القاهرة · لكن الأمر الذى لا شك فيه أن الخطيب سمع الكثير عن رشيد رضا وعن جهاده فى مجال النهضة الاسلامية وأصبح رشيد ينادى الخطيب بعد ذلك بكلمة ياولدى كما هو واضح فى الرسائل التى وجدتها متبادلة بينهما خاصة فى فترة اعتقال الخطيب فى البصرة ·

لم يكن لدى الشباب العربى فى هذه الفترة اتجاه الى تجميع النشاط فى جمعية واحدة رانما تعددت الجمعيات · وكان من المألوف أن يكون الواحد عضو فى أكثر من جمعية وسيظل ذلك أحد سمات الحركة العربية سواء قبل اعلان المشروطية أو بعدها ·

فرفيق العظم وحقى بن عمه أعضاء فى جمعية النهضة العربية وفى الوقت نفسه أعضاء مؤسسيين فى جمعين الشورى العثمانية · وكذلك الحال بالنسبة لمحب الدين الخطيب الذى كان الى جانب رئاسته لجمعية النهضة العربية مندوبا عن جمعية الشورى العثمانية فى اليمن أوكل اليه عند سفره كما يقول فى مذكراته تأسيس الفرع الرابع عشر لهذه الجمعية هناك ·

جاء الخطيب الى القاهرة فعلم بتأسيس جمعية الشورى العثمانية والتى قال عنها رشيد رضا أنها قامت لأجل جمع كلمة العثمانيين على استبدال حكومة لشورى بحكومة المستبدين فعلمنا أن جمعية الاتحاد والترقى خاصة بالمسلمين وأن العثمانيين مادموا متفرقين شيعا ومنقطعين مللا وأمما فكلمتهم هى السفلى وكلمة الاستبداد هى العليا فتألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم ·

ويذكر الشيخ رشيد رضا فى مجلة المنار أنه ازاء اشتداد ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها من أول هذا القرن الهجرى نفر المتحدثون منها فى الدين واللغة والجنس نفورا أشد من شعور

---

(١٥) رفيق العظم — آثاره بقلم رشيد رضا — المقدمة .

المتحدين معها فى الدين فقط كالعرب والاكراد • فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى فى تلافى الخطر الذى ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادى المدمر للهالك والمهلك للأمم واعادة مجلس «المبعوثان» والعمل بالقانون الأساسى • ولكن السلطان تتبع أعوانه أثر هذه الجمعية ففرق شملها قبل أن تبدأ بعمل ما مظهرين فساد أخلاق بعض أعضائها الذين صاروا أعوانا للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين عن سائرهم ، هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بألا تدرأ الخطر ولا تنال الظفر •

ويذكر رشيد رضا أن كثيرا من عقلاء العثمانيين فكروا فى وجوب السعى فى تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها ومازال هذا الفكر يتقلب فى الأطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية) •

تأسست جمعية الشورى العثمانية حسب قول رشيد رضا من أفراد من الترك والعرب والأرمن والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف أجناسها ومللها فى السعى لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هى الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذى هو ظهر الاستبداد والتفرق الذى هو نصير الاستعباد وكان ممن اشترك فى تأليفها معنا رجال من سائر الشعوب العثمانية الكبرى وفى مقدمتهم الترك والجركس والأرمن ، وكان من أعضائها المؤسسين الضابط صائب بك الذى كان حاجبا لصاحب الدولة أحمد مختار باشا الغازى ومندوبها لجمعية الاتحاد والترقى بمصر • ثم ترك خدمة المندوب العثمانى السامى ايثارا للسياسة التى تغضب السلطان عليه ومنهم الدكتور عبد الله جودت بك المشهور أحد مؤسسى جمعية الاتحاد والترقى أول أمره وكان هو السكرتير التركى لها وكان الفقيد أمين صندوقها وابن خاله حقى بك سكرتيرها العربى وكاتب هذه السطور ورئيس مجلس ادارتها •

كان تأسيس هذه الجمعية موافقا لرأى صاحب الدولة احمد مختار باشا الغازى المندوب العثمانى السامى بمصر « فيقول رشيد رضا وأنا الذى استشرته فى ذلك طلبت منه أن يمنحها رعايته ويأذن لنجله محمود باشا بان يكون الرئيس العام او رئيس شرف لها فمدها بمساعدته فقال ، ان الاصلاح لا يأتى من الأعلى ومن رجال الدولة وانما يأتى من وســط الأمة ومن الطبقات الدنيا فيها وأخبرنى أن السلطان علم بوجود الجمعية وهو يرسل البرقيات اليه تترى فى السؤال عنها وعن مؤسسيها ويسميها جمعية افسادية وانه تجاهلها فى جوابه أولا ثم كتب اليه بأنه لا افساد منها ثم لا ضرر منها فانها مؤلفة من بعض أهل العلم وأبناء الأسر الوجيهة المخلصة للدولة(١٦) ٠

صار لجمعية الشورى وقت وصول الخطيب الى القاهرة ثلاثة عشر فرعا فى ولايات الدولة العثمانية وفى البلاد الأجنبية وكانت تطبع المنشورات باللغتين العربية والتركية ثم أصدرت فى فبراير ١٩٠٧ جريدة باسمها الشورى العثمانية فتولت الجمعية نشر ماتريده فيها واستغنت بذلك عن المنشورات ٠ وكان رفيق العظم يحرر القسم العربى منها وابن عمه حقى العظم يحرر القسم التركى الذى كان ترجمة لما يكتبه رفيق العظم أو رشيد رضا أو غيره من أعضائها فى القسم العربى ٠ كما يذكر رشيد رضا ان هذه الصحيفة كانت تصدر ربما بعض المقالات باللغة الفرنسية ٠

انضم محب الدين الخطيب الى عضــوية جمعية الشــورى العثمانية واحاطه رشيد رضا بمبادئها التى أعلنت على صفحات المنار والتى دعا العثمانيين الى المسارعة بدخول الجمعية أفواجا ولتعضيدها بآرائهم وأموالهم ٠ وأعجب الخطيب بمبادئها وقال ان الدعوة الى الحكم النيابى ومبادىء الشورى والعمل للتخلص من الحكم الفردى كل ذلك مما نعتقد فيه الخير ٠ فمبدأ الشورى هو مبدأ الديموقراطية بالمضمون الذى حدده الاسلام وقيل أن طبيعة الجمعية وتكوينها كجمعية عثمانية تضم العثمانيين من مسلمين وغير مسلمين

---

(١٦) المنار م ١٢ جـ ١ ص ١٢ ٠

ونسعى لكى تقيم لها نروعا فى البلاد العثمانية وفى غيرها من البلاد التى يقيم فيها العثمانيون فهى جمعية غير طائفية وغير عنصـــرية وانها تؤمن باتباع الأساليب المشروعة فى الوصول الى هدفها فهى لذلك جمعية علنية ٠٠

وكتب له رشيد رضا تفويضا أن يتخير لجمعية الشورى من العثمانيين الرجال الصالحين ذلك أن جمعية الشـــورى كانت تفتح عضويتها حسب قانونها أمام كل عثمانى عاقل محب لوطنه على ان يكون حميد السيرة واشترطت ان تحل الأرقام بدلا من الأسماء فى تعريف الأعضاء ومخاطبتهم والكتابة اليهم ٠

غادر الخطيب القاهرة فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ متوجهـــا الى السويس ومنها ركب البحر الى عدن ومنها استقل باخرة أخرى الى الحديدة ٠ وهناك علم أن القنصل والقنصلية انتقلا الى جزيرة قمران فى البحر الأحمر لان بها المحجر الصحى وقد وصل اليها على نفس هذه الباخرة الهندية وكان انتقال القنصـــلية الى هذه الجزيرة لتيسير مهمة مرور بواخر الحجاج الهنود فى ذلك الوقت ٠ وأخبره القنصل أن الاقامة فى هذه الجزيرة سوف تمتد طوال شهر ديسمبر وأياما من السنة الجديدة كذلك وكان هذا القنصل واسمه الدكتور ٠ ج٠هـ٠ ريتشارد من مواليد الهند من اب انجليزى وام آسيويةكان برتبة نائب قنصل لكنه يشـــغل هذه الوظيفة لأنه الانجليزى الوحيد فى القنصلية يجيد العربية مثلما يجيد الانجليزية وارتاح اليه الخطيب ووثق القنصل به ٠

ويحتفظ الخطيب بالصحف والمجلات التى كان محمد كرد على يوافيه بها سواء التى كانت تصدر فى مصر أو صحف المهاجرين السوريين فى امريكا أو الصحف السورية وفى جزيرة قمران تعرف برئيس كتاب المحجر طاهر بك رجب وكان من أبناء الحديدة وصار فيما بعد نائبا فى مجلس المبعوثان عنها فأدخله الخطيب عضوا فى جمعيتى النهضة العربية والشورى العثمانية ٠

وعاد الخطيب الى الحديدة عندما عادت القنصلية اليها فى

٧ يناير ١٩٠٨ حين انتهى موسم الحجر الصحى لحجاج الشرق القادمين لأداء الفريضة · وأصبحت مهمته هناك هى الحضور الى المحاكم عندما تكون فيها لأحد رعايا القنصلية قضية ليطمئن على سـير العدالة فيها وهو يجلس مع رجال المحكمة ولا رأى له فيما يقولونه ويتداولون فيه · كما نيطت به مهمة الكتابة باللغة العربية من القنصلية الى الجهات الرسمية وفى ذلك تمكين له من متابعة القضايا فى مراحلها ورعاية القنصلية فى الحديدة وسائر ولاية اليمن الى آخر حدود عسير كما كانت هذه القنصـلية البريطانية ترعى شئون اليونانيين فى اليمن لأن حكومة اليونان لم يكن لها قنصل اليمن آنذاك ··

وهناك فى اليمن زاول الخطيب نشاطه فى خدمة القضـية العربية · كان بالحديدة الفرقة الرابعة عشرة من الجيش العثمانى السابع ، وتلك كانت فرصة ذهبية أمامه لجذب أكبر عدد منهم الى الانضمام الى جمعية النهضة العربية أو جمعية الشورى العثمانية يقول الخطيب : « تعرفت بطائفة من الموظفين والضـباط والأتراك والعرب وبأعيان الحديدة الذين فيهم قابلية لمحبة التقدم والنهوض والاصلاح ،فمن كان منهم عربيا نزاعا الى الخير صار عضوا فى جمعية النهضة العربية ومن كان من الضباط والموظفين ينزع الى الحرية والاصلاح صار فى جمعية الشورى العثمانية(١٧) ·

وهذا القول لمحب الدين الخطيب يؤكد أن دور جمعية النهضة العربية لم يكن دورا سـياسيا وانما كان دور التثقيف والتعليم والنهوض بمستوى أبناء الأمة العربية أدبيا واجتماعيا وعلميا ·
ففى مخطوط له كتبه من جـزيرة قمـران (اليمن) ليلة الجمعة ٦ ديسمبر ١٩٠٧ الى زملائه أعضاء جمعية النهضة العربية يلمس الباحث ما يحسه الخطيب من حاجته الى نهضة لأمته العربية وبعث لها ··

يرى الخطيب ضرورة انشاء أمة جديدة فاضلة ــ تتطلب المنفعة

---

(١٧) سيرة جيل ــ مخطوط ·

المشتركة وتحب الدأب على العمل والاعتماد على النفس ـ ويرى أن الطريق الى ذلك المدارس والصحافة والطباعة والتمثيل والجمعيات والخطابة والشركات المادية ولا سبيل للارتقاء الا بهذه الأدوات ٠

ثم هو يدعو زملاءه الى الاجتماع والاتحاد لأن قوة الفرد ليست كقوة الجمع وأن من الاتحاد قوة أعظم من قوة الانفراد ٠

ثم يناقش فى تقريره سوء أحوال المدارس فى أمته وضعف العربية فى « مدارسنا » تعلمون ماهى مدارسنا نحن ليس لنا مدارس، ان ما فى بلادنا من هذه المعامل هى اما لخورى أو لشيخ أو لسائس أو لادارى وكلهم غيرنا لأنهم يأخذوننا الى غير الكعبة التى نحن ذاهبون اليها ٠٠

صحافتنا آه ماذا أقول عن صحافتنا ، أنتم تعلمون صحافة سوريا وأقول لكم عن صحافة وادى النيل ان محورها الأساسي (المنفعة الشخصية) وكفى لهذه الصفحات القليلة التي أكتبها كلمة كهذه في وصف صحافة مصر ، أحزاب متباينة ومشاغبات وليس في أعمدتها مع ذلك ما يفيد فائدة تمسك وتلمس بالأيدى ٠

وبكل أسف أذكر أنه ليس للمجلات فى القطر المصرى رواج ٠

ويتناول بعد ذلك محب الدين الخطيب الخطة التى يجب على الجمعية أن تتبعها وهى مطالعة الكتب والقاء الخطب ٠ ويدعوهم الى أن يفكر كل عضو فى أن يفكر كثيرا ويكتب بذلك الى جمعية النهضة العربية ويرسلونه له وسوف يقوم باستخراج قانون من ذلك كله يعرض على زملائه لترون فيه رأيكم دائما أحببت أن ترسل إلى هذه الأوراق لأن عندى يكون كل شيء أسهل وأأمن ٠ ويخبر زملاءه أنه أثناء وجوده فى القاهرة بحث مع صلاح العظم حالة الطباعة والصحافة والعلم فيها وقدر أنه بعد ثلاث أعوام سنؤسس شركة مساهمة تبتدى برأس مال ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف جنيه مصرى تكون مائة سهم ثمن كل سهم ثلاثون جنيها ٠٠ لابتياع مطبعة من الطراز الأول مثل مطبعة المؤيد واصطناع حروف مثل حروف مطبعة المعارف فى القاهرة واسم المطبعة (مطبعة النهضة العربية) ٠

ثم هو يقترح على زملائه اصدار جريدة بنصف قطع الجرائد العربية نصفها على ورق بسيط كورق المؤيد والنصف الثانى على ورق جيد مثل ورق الهلال مثلا ويكون للمقالات والقصائد والأقوال والاخبار الخالدة · ويعرض على أعضاء الجمعية أن تكون هذه الجريدة يومية وسيكون اسمها النهضة العربية ونمدها أنا وجميع من يقدم القطر المصرى من جمعيتنا والأحسن أن تصدر فى القاهرة والجريدة سياسية مصورة ·

والى جانب ذلك يخطط الخطيب لاصدار مجلة علمية اجتماعية على رأس كل شهر عربى يتولى تحريرها صلاح الدين القاسمى ويشاركه فيها الباقون وخصوصا زكى الخطيب وتدعى (العلم والاجتماع) وتكون مصورة · والى جانب ذلك يرى اصدار مجلة ادبية تنشر فى منتصف كل شهر عربى تكون فى عشر ملازم يتولى تحريرها عارف الشهابى ويعينه عليها صلاح القاسمى ورشدى والباقون تدعى (الادبيات) وتكون مصورة ·

ويمضى الخطيب فى مقترحاته الى ضرورة اصدار كتاب كل سنة يدعى تقويم النهضة السنوى يكون على مثال ما يصدر فى البلاد الأوروبية وطبع روزنامة فى كل عام يسمى تقويم النهضة اليومى ويكون متفقا على مثال تقويم المشرق الى جانب ذلك يرى ضرورة اصدار قاموس مصور يكون قسمين قسم لغوى وقسم للاعلام على غرار قاموس لاروسى وتأسيس مكتبة تسمى مكتبة النهضة العربية تباع فيها مطبوعات الجمعية وتأسيس غرف قراءة عمومية تكون فيها مكتبة مهمة وتوضع فيها أهم الجرائد والمجلات ، العربية والأفرنجية(١٨) ·

أما دور جمعية الشورى التى تألفت من أعضاء عرب وأتراك فكان دورا سياسيا دور التماس الاصلاح من الدولة العثمانية عن طريق اقناعها باتباع مبدأ الشورى والتخلى عن السياسة الاستبدادية التى كانت عليها أيام السلطان عبد الحميد ·

---

(١٨) ارجع الى نص التقرير فى ملاحق البحث ملحق رقم (١) ·

فبالرجوع الى ماكتبه الخطيب فى نوفمبر ١٩٠٨ نجده يؤكد انه وجميع من استعان بهم وتعاون معهم من رجالات العرب وشبابهم لم يخطر على بالهم الانفصال عن الدولة العثمانية لأن الاستقلال عن الدولة وهى ضـــعيفة مريضة أمر مكروه ولكن لعلمنا أن تمرن الشعوب على أخلاق السيادة يحتاج الى وقت فكان من مصــلحة العرب فى الدولة العثمانية أن تعترف لهم الدولة بلغتهم فى الادارة والتعليم فى البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية وأن لا تبلغ بها الحماقة الى حد ان يكون التعليم فى بلادهم بلغة أجنبية عنهم والى حد أن تكون لغتهم محرما عليها أن تكون لغة الادارة والقضاء فى صميم الوطن العربى ٠ ومن العجيب أن تنكر الدولة العثمانية على عرب الحجاز والعراق وسوريا ما اعترف به الانجليز لمصر والسودان من حقها فى أن تكون لغتهما العربية لغة التعليم والتقاضى والتعامل فى مرافق الحكومة ومصالحها الرسمية ٠

مضى الخطيب فى الحديدة يجذب ضباط الجيش والمثقفين الى جمعية النهضة العربية التى يرأسها أو الى جمعية الشورى العثمانية ٠٠ وعلم أن قائد مركز الحديدة هو البكباشى شوقى بك المؤيد من أسرة العظم وأنه مشهور بالنزاهة والاســتقامة والسيرة الممتازة فانعقدت بينهو بين محب الدين صداقة وثيقة زادها وثوقا صداقته السابقة لرفيق العظم وابن عمه حقى العظم وصداقته قبل ذلك لشبان هذه الأسرة فى دمشق ٠

وكاشف الخطيب صـــديقه قائد مركز الحديدة بأمر جمعية الشورى العثمانية وأنه مندوب من قبلها لتأسيس فرع لها فى اليمن ولما اطلع قائد المركز (شوقى المؤيد) على قانونها وعلى جريدتها التى تصدرها فى القاهرة بالتركية والعربية وعلم أن من أهم أركانها رفيق وحقى من آل العظم طلب الانضمام اليها ٠ وأرشد محب الدين الى طائفة من الضباط الأحرار الذين جاءوا الى اليمن مبعوثين كنوع من العقوبة لهم على نزوعهم الى الحرية وكراهيتهم للحكم الفردى وميلهم الى الحياة النيابية ٠ وهكذا استطاع الخطيب ان يؤسس فى اليمن كما أراد وكما نيط به الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى

العثمانية • وصار كلما انتقل عمل ضابط منهم من الحديدة الى صنعاء أو غيرها من داخلية اليمن يدعو فى منطقة عمله الجديد من يتوسم فيهم الخير من زملائه الضباط الى الانضمام الى جمعية الشورى •

والى جانب نجاح الخطيب فى كسب عدد من الضباط العرب الى جمعية الشورى العثمانية استطاع أن يجذب الى هذه الجمعية عدد من كبار موظفى اليمن ذلك آنه باتصال عمله بالمحاكم انعقدت الصلة بينه وبين أحمد فؤاد بك مصطفى زاده رئيس محكمة التجارة وصارا زميلين يكاد أن لا يفترقان وكذلك بينه وبين القاضى الشرعى •• وكانت المحكمة الشرعية هناك تنظر بالاضافة الى القضايا الشرعية القضايا المدنية كلها • والمعروف أن الزيدية فى اليمن كان الخلاف شديدا بينها وبين العثمانيين السنيين وعجزت الدولة العثمانية عن تشديد قبضتها عن اليمن وبالتالى عن تطبيق التنظيمات العثمانية بينها التى كانت تهدف الى انشاء محاكم مدنية تختص بالقضايا المدنية وأن يترك للمحاكم الشرعية القضايا الشرعبة وحدها(١٩) •

وكانت مكانة القاضى الشرعى فى اليمن فى الوقت الذى عمل فيه الخطيب فيها مكانة كبيرة خصوصا وأنه كان ينظر القضايا المدنية والشرعية على حد سواء •• وتمكن محب الدين من استمالته اليه وحبب اليه الخطيب كتب ابن تيمية وأرسل الى مصر يطلب اليه كتب الشيخ محمد عبده • والى جانب استمالة الخطيب لرئيس المحكمة الشرعية نجح فى استمالة صالح بك قتلان وكان دمشقى الأصل ويشغل وظيفة مدير عام لجميع مرافق البريد والتلغراف فى منطقة الحديدة وما يتبعها ، ويحسن لغات كثيرة شرقية وغربية وكان لعلاقته الوثيقة بمحب الدين أهمية كبيرة فى حياة محب الدين الخطيب بعد ذلك •

كذلك تعرف الخطيب بكثير من تجار الحديدة المتازين وأعيانها وفى مقدمتهم الشيخ صالح شاذلى والشيخ صالح رجب وشقيقه

---

(١٩) مخطوط بقلم الجيل الذى عاصر بعث العروبة •

طاهر رجب الذى سبقت لمحب الخطيب التعرف به فى جزيرة قمران واختار الخطيب مقهى كبير فى الخلاء بعيدا عن مبانى الحديدة ومديره هندى بارع كثير الاعوان فكان محب الدين كلما وجد متسعا من الوقت فيلتقى بأصدقائه فى هذا المقهى أو فى منازلهم خصوصا صالح شاذلى ومن يلوذ به ٠

ومضت الأشهر الأولى من ١٩٠٨ على هذه الوتيرة يسعى الخطيب الى كسب أعضاء جدد لجمعية النهضة العربية أو جمعية الشورى العثمانية ويكاتب اخوانه فى دمشق واستنبول والقاهرة متعهدا جمعية النهضة العربية على وجه الخصوص ولاسيما مركزها الجديد فى دمشق مع مكاتبة جمعية الشورى العثمانية بواسطة رفيق العظم وابن عمه حقى ٠

ولاتزال فى أوراق الخطيب الكثير من هذه الرسائل الخاصة بجمعية الشورى وجهاد أعضائها للتخلص من الحكم الفردى والحصول على الحياة النيابية ٠

ويرى القارىء فى ملحق هذا البحث صورا للمراسلات التى دارت بينه وبين رفيق العظم ومن هذه الرسائل يخرج الباحث بحرص رفيق على السرية فى هذه المراسلات لأن جمعيته جمعية تعمل فى المحيط السياسى فهو يقول للخطيب فى رسالة منه فى ١٨ مايو ١٩٠٨ لكن انقبض صدرى من أنكم لم تخبرونى عن وصول آخر كتاب ارسلته اليكم بالعنوان الثانى الذى كتبتموه لنا وهو عنوان الدكتور الذى فى عدن مع أنى أرسلته من مدة شهر أو يزيد وفيه مالا يجوز اطلاع احد غيركم عليه فالرجا أن تسألوا ذلك الدكتور عن الكتاب فقد كدرنى جدا أنكم لم تخبرونى بوصوله ٠ وانى التمس منكم تأليف فرع للجمعية عندكم يرتبط بنا رأسا وفيه كلام طويل يسيؤنى أن يراه غيركم مع أنى لم أكتف بكتابة العنوان لوحده بل أضفت ومنه الى محب الدين ٠

يكثر رفيق العظم فى رسائله من الرموز للأشخاص بحروف مثل قوله للأخ ع بك ولكل أنصار الحق ٠٠

وفي رسالة بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٠٨ « سرني أن وقع اختياركم على الأخ الفاضل الدكتور (ح) ويوضح له قيمة الاشتراك وهو يشير على الخطيب أن جعل قيمة الاشتراك ريال مجيدى أمر كثير وليس على الداخل أن يدفع الا ثلاثة قروش .. وينبهه الى مسألة الكتمان . أماكيفية الدخول فهى كما ذكرتموها الآن الداخل لا ينبغي له معرفة أحد من الجمعية الا من فوقه أو من تحته أى الذى أدخله والذى دخل بواسطته ثم ان لكل من يؤسس شعبة أن يكون رئيسها الا اذا تنازل عنها لغيرها ولذا فأنتم الآن ١/١٤ فشعبتكم هي الشعبة ١٤ وكل داخل توضع نمرته الخصوصية من فوق ونمرة شعبته من تحت .

وامعانا فى السرية ينبه رفيق العظم زميله الخطيب ان عقاب من يخون الجمعية الموت والشعبة هى التى تكلف باجراء العقاب على من يخون أما بالاقتراع أو بانشاء فرع لكل شعبة من الفدائيين (الأنارشست) تكلف بأمثال هذه الأعمال .

ويشير العظم على رفيقه أن يكثر من ادخال الفدائيين فى جمعيته ويرى أن هؤلاء عادة يكونون من الطبقة النازلة (يقصد الطبقة الدنيا) وأكثرهم على ما أعتقد يعتادون الصدق فهم أهل للثقة أكثر من الطبقة العالية ..

وحين يسأله الخطيب أن يبيح له بأسماء مؤسسى جمعية الشورى يقول له « سألتمونى عن بعض أسماء المؤسسيين واذا كنا جميعا تحت سماء الحرية فلا أضن به عليكم وهو الداعى (رفيق العظم) وابن عمى حقى بك والسيد رشيد رضا والسيد عبد الحميد الزهراوى وأحمد بك صائب صاحب جريدة (سنجق) والدكتور عبد الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) والدكتور شبلى شميل الفيلسوف المشهور وصحافى رومى وشخصان أرمنيان . لكن اشغال الجمعية وأسرارها وجريدتها وكل ما يتعلق بها قائم فى الحقيقة على كاهلى وكاهل حقى بك فانا أحرر القسم العربى من الجريدة وهو يحرر القسم التركى والمكاتبات العربية على ويعود العظم الى تنبهه الى السرية ، أحب أن أوصيكم بالاحتياط الشديد وأن لها أيدى

الأشرار من زبانية الحكومة تصل الى شيء من آثار الجمعية عند أحد منكم لأن الحكومة في غاية التيقظ خصوصا بجمعية الشورى العثمانية التى تحقق عندها أن ليس فيها من تبتاع ضميره فقط وقد طاردت القائمين بأعمال الجمعية فى الآستانة حتى الجأت شخصين منهم الى الفرار بأنفسهما منذ ١٥ يوم الى مرسيليا وأحدهما الذى كان يكاتب الجريدة من الأستانة فخسرت الجمعية بفراره ركنا كبيرا لذا نرجوكم الاحتياط الشديد اذ يهمنا جدا ســـلامة أفراد الجمعية وبقائهم فى تركيا ومتى خرج أحدهم منها عدمته البلاد ولا تستفيد منه الجمعية فى الخارج ٠

وتقوم ثورة الاتحاد والترقى ويبادر رفيق العظم بالكتابة الى صديقه محب الدين فى ١٧ يوليو ١٩٠٨ ويرى الباحث من رسائله فى هذه الفترة مدى فرحه وما يأمله من خير ٠ أكتب اليك ونار الثورة تشتعل فى مقدونيا والفيلق الأول والثانى فى عصيان ٠ وشمس باشا وغيره من أشياع الاستبداد قتلى تناجى أرواحهم خازن الجحيم تحت اديم الأرض فى الروملل والآستانة ويلدزها فى أضطراب ٠ والرديف فى أزمير يجمع لأجل مقاتلة اخوان الجنود فى مقدونيا والمنشورات تطبع الآن لتلصق بعد ستة أيام على الجدران فى أزمير لتنبه الرديف وضـــباطه الى اليه يسأتون ٠٠ ويقول له الهمة الهمة وفى ملحق الرسالة يقول له الثورة عسكرية محض فى الدرجة الثانية الأهالى والمأمورين والضباط أعلنوا مطالبهم كلها وهى شيء واحد (مجلس المبعوثان)(٢٠) ٠

---

(٢٠) ارجع الى ملاحق البحث ٠

الفصــل الثـالث

دوره فى الجمعيات العربية
١٩٠٨ ــ ١٩١٤

لم أجد بين أوراق محب الدين الخطيب ما يثبت أنه كان عضوا فى جمعية الاتحاد والترقى قبل اعلان المشروطية · فمن المعروف أن هذه الجمعية ضمت عددا من العرب السياسيين والعسكريين الذين لعبوا دورا هاما فيها فى مقاومة السلطان عبد الحميد وفى العمل على اجباره على اعلان الدستور ، من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر خليل غانم الذى كان عضوا عن بيروت فى مجلس المبعوثان الأول (١٨٧٦) ·

ثم هناك من العسكريين العرب الذين كان لهم دورهم البارز فى جماعة الاتحاد والترقى عزيز المصرى وسليم الجزائرى · لكننى وجدت فى مذكراته التى خطها ابتهاجه باعلان الدستور · وكان الخطيب فى ذلك شأنه شأن كل الشباب العربى الذى سعد باعلان المشروطية الثانية (١٩٠٨) فقد قوبل اعلان الدستور بابتهاج بالغ

فى مختلف اتحاد الدولة العثمانية ففى طرابلس (الشام) اشترك الأتراك والعرب فى اقامة صلاة الشكر لله على اعلان هذا الدستور ٠ وفى مدينة الاسكندرية ألقيت الخطب الحماسية فى احتفالات كبرى لهذه المناسبة وجاء اليوم الذى التام فيه شعب الامة العثمانية وتألفت أعضـــاؤها وتآخت أجـزاؤها وفى مذكرات له مخطوطة عن هذه الأحداث (يوليو ١٩٠٨) يصف كيف اندلعت فى جبال رسنة من ولاية مناستير ثورة أنور ونيازى الضابطين فى الجيش العثمانى مع بقية ضباط وقوات فرقتهم يطالبون السلطان عبد الحميد بالحكم النيابى واعلان الدستور الذى كان قد ألغاه فى بداية حكمه وصارت وكالات الأنباء - روتر وهافاس وغيرهما تذيع عن ذلك فى أطراف الأرض ويمنع نشـــرها فى البلاد العثمانية ٠ ولما كان المدير العام للبريد والبرق فى الحديدة صديقا له وعضوا فى جمعية الشورى العثمانية فانه كان يرسل له أخبار الثورة التى تتناقلها أسلاك البرق ومنه تنتقل الى قائد مركز الحديدة البكباشى شوقى بك المؤيد رئيس الفرع الرابع عشر للجمعية (الشورى العثمانية) والى الممتازين من ضباط الفرقة الرابعة عشرة من الفيلق السابع الداخلية فى الجمعية والمتلهفين على قايم الحكم النيابى فى الدولة العثمانية ٠ ولم يكتف المدير العـــام للبريد والبرق بهذه المعاونة بل صار يبيح استعمال ما تحت سلطته من أسلاك البرق فى المخابرة مع أعضاء جمعية الشورى العثمانية بطريقة سرية خاصة بلا أجر وتسمح عندهم سر منسى أى مكالمات ادارية للخدمة الرسمية ٠

ويوضح الخطيب أن ولاية اليمن وكان على رأسها المشير أحمد فيضى باشا الذى كان قائد الفيلق السابع وفى الوقت نفسه الحاكم الادارى فى اليمن كله - فكانت تتجاهل كل ماوقع فى الدولة وكأنه لم يكن ٠ فأوعز الخطيب فى جمعية الشورى العثمانية الى بعض الأهالى بأن يرسلوا برقيات الشكوى من تصرف المشير فيضى باشا وأعوانه لأنهم من أنصار الحكم السابق ، فلم يكن لذلك أى تأثير فى المراجع العليا. وحينئذ زار محب الدين شوقى بك المؤيد قائد المركز ورئيس الجمعية وقال له : يخيل الى أن رجال الحكم الجديد يريدون أن يحرموا اليمن - وربما غيرها ايضا من البلاد العربية كالحجاز

من الحكم النيابي ليكون للدولة في عهدهم مســـتعمرات كما للدول الأوربية مستعمرات(١) .

واتفق معه على أن يضع المسئولين أمام الأمر الواقع فيعلنون قيـــام الثورة في احتفال كبير وجمع محب الدين الخطيب اخوانه الضـــباط واتفق معهم على أن تطلق في ساعة العصـــر من مركز الاستحكام مدافع كمدافع العيد حتى يسمعها عارف حكمت باشـــا وغيره بلا سابق علم منهم وأن يحضر صواريخ ومشاعل الزينة باكمل وأبهى مايعمل منها في احتفالات السرور والانبهاج وأن تعلن عطلة مصالح الحكومة في اليوم التالي . ويجتمع الناس في ساحة واسعة تلقى فيها الخطب بالتركية والعربية عن اعلان الحكم النيابي وعودة الحكم بالدستور والاستعداد لانتخاب من ينوب عن الآمة في مجلس المبعوثان (النواب) في استنبول وأن نبلغ ذلك كله على لسان البرق سرا الى ضباط صنعاء وسائر البلاد الأخرى من أمهات مدن اليمن .

ولما انتشرت في صـــنعاء تفاصل ماجرى فيال حديدة نظم أعضاء جمعية الشورى هناك صفوفهم وفعلوا هناك مثل الذي تم في الحديدة .

وكانت مفاجأة لمحب الدين نفسه أن وصلت اليه بعد اسبوعين جريدة عربية كان يصدرها في استنبول ابراهيم سليم النجار وفيها نص الخطبة التي القاها محب الدين في الحفـل المشـــار اليه في

---

(١) في مخطوط للخطيب بعنوان الجيل الذي عاصر بعث العروبة يقول ثم علمنا سرا أن الآستانة اقتنعت بفكرة عدم اشراك اليمن والحجـاز في الحياة النيابيـة والانتخابات لمجلس المبعوثان وأنهم يريدون أن يتخذوا من البـلاد العربية الثانية مستعمرات يكون نظـام الحكم فيهـا غير نظام الحكم في الولايات المتحضرة .

وحينئذ رأيت نفسي أمام واجب جديد فاندفعت فيه . وذلك اني اتفقت مع أعضـاء الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى العثمانيـة على أن نقلبه الى جمعية الاتحـاد والترقي وأن نقيم لهذه الجمعية ناديا لائقـا ».

الجديدة . وتوالت رسائل جمعية الشورى العثمانية فى القاهرة الى محب الدين فى تمجيد ما وفقه الله اليه فى هذه المنطقة ومما ذكر فى هذه الرسائل ان المراسلة دائرة بين جمعية الشورى العثمانية بمصر وجمعية الاتحاد والترقى فى استنبول لالحاق الأولى بالثانية فتكون فروع جمعية الشورى العثمانية كلها فروعا لجمعية الاتحاد والترقى التى صار بيدها زمام الأمر فى السلطنة العثمانية .

أرسل له رفيق العظم فى ٥ أغسطس ١٩٠٨(٢) يقول له أن رسالته (محب الخطيب) وصلته يوم ٢٤ الماضى (يوليو) وهو اليوم الذى عيد به العثمانيون فى انحاء تركيا عيد الدستور الذى صدر فى ذلك اليوم اعلانه من قبل السلطان ويقول له أن عزت باشا فر وقد ألح الأحرار بانزله من الباخرة الانكليزية مارية فلم يفلحوا أما بقية الجواسيس والحاشية فلم ينج منهم سوى سليم ملحمة وأما الباقون فباقون وسيحاكمون .. وأخبره رفيق العظم فى نفس الرسالة أنه متوجه الى الشام بغرض يتعلق بأمورنا وأمور الانتخابات .. ويختم رسالته بقوله فلتحيى الحرية والمساواة وليحيى الجيش .

ومن دراسة رسائل رفيق العظم فى هذه الفترة توضح كيف استقبل العرب العهد الجديد بكل التفاؤل والدعوة الى تآلف القلوب بين أبناء الأمة العثمانية ، فهو يكتب الى محب الدين فى ٩ سبتمبر ١٩٠٨ يقول : وكنت عرفتكم عن عزمى على السفر الى سورية بآخر كتاب أرسلته اليكم لأنى رأيت السفر ضروريا لأخبار انهت الى فسافرت طائفا فى بيروت ودمشق وبعلبك وحمص وحماه وحيثما حللت كنت ألقى الخطب فى وجوب التآلف بين القلوب وتفسير معنى الحرية ووجوب المحافظة على الدستور بالنفس والمال .. وأنى لا أصف لكم مقدار شكرى وسرورى لما بذلتموه والاخوان الكرام من الهمة فى ازهاق باطل المستبدين والمجاهرة بالحق فى وقت كانت اليمن محتاجة الى من يصدع بالحق فجزاكم الله خير الجزاء .

---

(٢) انظر ملاحق البحث .

ويطلب منه رفيق العمـــل على التخلص من الموظفين والحكام الفاسدين الذين كانوا عون الحكومة السابقة وفى مقدمتهم فيضى باشا الذى كان الخطيب قد اسر الى زميله بسوء سيرته وفى رسالة رفيق العظم هذه يخبره أنه كتب الى جمعية الاتحاد والترقى فى الأستانة بهذا الخصوص (عزل فيضى باشا من قيادة الجيش فى اليمن) ولابد من نتيجة حسنة ان شاء الله ثم تمضى الرسالة فيقول له رفيق :

جمعية الاتحاد والترقى قديمة كما تعلمون وأنا عضو قديم منذ تأسست أى من ١٣ سنة ولما رأينا العمل الآن قد تم على يدها وأنها أخذت تبث مبادئهـــا فى الولايات بانتظام جمعا للكلمة على كفالة مستقبل الدستور تراءى لنا أن نضم جمعيتنا الى جمعيتها كما انضم البرنس صباح الدين اليها بجمعيته . الا أنه بلغت أنها لم تقبل افرادا من جمعيته او أفراد جمعيته لأسباب لم تزل مجهولة عندنا . ومع هذا فقد رأى حقى بك بسفره الى الأستانة هذه المرة ميلا من الجمعية الى ضم جمعيتنا اليهم خوفا من الانشقاق . لذا فقد كتبنا لهم لهذا الخصوص . وقد رأينا أن نستأذن الشعب التابعة لجمعيتنا فكتبنا اليكم منتظرين سرعة الجواب . وربما ترسل جمعية الاتحاد والترقى دعاة الى اليمن كما أرسلت الى بقية الولايات فافهموا الأعضـــاء بالجمعية انه لا يجوز دخول شخص منهم فى جمعية الاتحاد والترقى ابدا مالم يكن فرعنا فيها قدما بنفسه ومركزه مصر . ومتى تم الاتفاق بيننا وبين الجمعية المركزية بالأستانة يخبركم عن ذلك وعن كيفية الدخول وصيغة اليمين والا فلانزال جمعية قائمة بنفسها ..

وما ان علم الخطيب بأن جمعية الشورى العثمانية تفكر فى أن تكون فروعهـــا فروعا لجمعية الاتحاد والترقى حتى رأى أن يكون فرع الجمعية فى اليمن هو البادى بذلك . وعملا بمبدأ تعجيل الأمر الواقع أعلن الفرع الرابع عشـــر لجمعية الشـــورى العثمانية فى الحديدة أنه أصبح فرعا لجمعية الاتحاد والترقى واتخذ له ناديا فى أعلى كازينو البلدية القائم على مرفأ الحديدة .

ومن المعروف أن جمعية الشورى العثمانية رفضت قبل أعلان الدستور ان تدمج فى جمعية الاتحاد والترقى فيذكر رشيد رضا انه جاءه مندوب عن الاتحاد والترقى وقابله مبلغا اياه رغبة جمعية الاتحاد والترقى دمج جمعية الشورى معها فأبى رشيد رضا هذا الطلب وقال لمندوب الاتحاد والترقى : ان تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفا • واننا نرى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق عناصرهم على المطالبة بالدستور •

لكن نجاح حركة الاتحاد والترقى فى اجبار السلطان عبد الحميد على العمل بالدستور أثار عواطف العرب وجعل جمعية الشورى العثمانية تسعى الى أن تكون فروعها فروعا للاتحاد والترقى ولعل هذا أيضا من باب التقرب من السلطة الجديدة التى آمل الجميع فيها الخير بعد عهد الاستبداد الحميدى •

أعلن الخطيب فى الحديدة أن فرع جمعية الشورى العثمانية بها أصبح فرعا لجمعية الاتحاد والترقى التى آمل العرب من وراء توليها السلطة الخير الكثير •.وانتعشت آمال الخطيب كثيرا فاتجه يعمل ما وسعه العمل • لاحظ أن فى بعض غرف أعلى الكازينو الذى اتخذه ناديا لجمعية الشورى التى أصبحت فرعا لجمعية الاتحاد والترقى ـ مدرسة أميرية على حد قوله ابتدائية لكنها أقل من كتاب فى مواد دراستها وعدد تلاميذها أقل من ثلاثين(٣) ناظرها شبه عامى تخرج من مدرسة العشائر فى استنبول « فجمعت اخوانى المتعلمين من موظفين وضباط واتفقت معهم على أن نستولى المدرسة ونضع لها منهجا أرقى وأن تتولى التعليم فيها مجانا » •

ثم زار محب الدين الخطيب اخوانه من التجار وطلب منهم أن يتعاونوا على التبرع ـ باقمشة خفيفة من نوع معين تصلح لمثل الحديدة فى زمن الصيف فتفصل منها بدلات لكل تلميذ وأن يتبرع لهم بالملابس المختلفة والأحذية • ثم عمل لهم محب الدين أناشيد

---

(٣) مخطوط محب الخطيب : الجيل الذى عاصر بعث العروبة •

تناسب الحياة الجديدة · « وعملنا أناشـــيد فى الحرية والحياة الدستورية صار ينشدها الطلبة فى خروجهم من المدرسة الى الرياضة البدنية وفى عودتهم وهم بالملابس الجديدة التى اشتريناها لهم ·· وفى شهر واحد صار عدد التلاميذ أكثر من ثلثمائة » ·

ويذكر الخطيب أن الدروس فى هذه المدرسة كانت تلقى بمناهج أرقى مما كانوا يتلقونه من قبل بحســـب درجة قابلية التـــلاميذ واستعدادهم · وفى أوراق محب الدين رسائل من أعيان القوم ومن كبار الضباط يرجون قبول أبنائهم فى سلك هذا التعليم الجديد ·

ومضت الآمال تداعب محب الدين الخطيب فى أن يبذل من الجهد ماوسعه فى الاسهام فى نهضة هذا الاقليم الذى يعمل فيه · فأحس بحاجته الى مطبعة وصحافة تنهض بالمستوى الفكرى والثقافى ·· ففاوض اخوانه من العسكريين والمدنيين والأعيان والتجار فى أن تؤسس شركة لذلك باسهم قيمة السهم الواحد جنيه استرلينى فوافقوا على ذلك وعلى أن يكون اسم المطبعة (مطبعة جزيرة العرب وعلى أن يصدر منها صحيفة باسم (جزيرة العرب) أيضا وكتبت قائمة أولى باسماء الراغبين فى الاكتتاب · وبلغت الحمية ببعضهم أن اكتتبوا بمقادير من الأسهم تبرعا لا بقصد الاســـتفادة من عائد · وكتبت رسائل الى بعض سفارات وقنصليات الدولة العثمانية فى البلاد الأوروبية التى ترفت بصناعة آلات الطباعة مثل فيينا وبرلين وليبزج وأشباهها لتطلب من مصانع الطباعة فيها ارسال كتالوجاتها الى الحديدة لانتقاء ما يوافق الحال فيها من ذلك · وبالفعل وصلت الكتالوجات ·

ومن بين أوراق محب الدين الخطيب وجدت رسالة ارسلها من الحديدة الى فرع القسطنطينية لجمعية النهضـــة العربية بتاريخ الجمعية ١٧ رجب ١٣٢٦ يبدى قلقه لعدم وصول رسائل اليه عن أخبار جمعية النهضـــة العربية ، « التى أسسناها فى دمشـــق والقسطنطينية ومجلات أخرى منذ سنين · تلك الجمعية التى انخفض صوتها قليلا قبل أشهر » ·

ويذكر أنه عزم على انشاء جريدة أسبوعية فى الحديدة وجلب مطبعة لها واذا توقفت لذلك اسمى الجريدة والمطبعة والمكتبة التى يباع فيها الكتب باسم (جزيرة العرب) ..

ويذكر الخطيب فى نفس الرسالة أنه ينتظر (هدوء المسائل فى القسطنطينية) لأخذ امتياز لاصدار - جريدة تتناول أحوال الجزيرة عنها والحجاز وحضرموت ومسقط ونجد والعراق وغير ذلك . ويطلب موافاته بارسال القانون الذى نظم جمعية النهضة العربية ..

لكن شيئا من ذلك لم يتحقق ذلك أن الخطيب تلقى من دمشق رسائل تلح عليه بضرورة العودة الى هناك لاصدار صحيفة باسم النهضة العربية ولم يكن هناك من يستطيع أن يمضى بمشروع المطبعة فى الحديدة فتوقفت الفكرة ..

وجاءته رسالة من رفيق العظم فى ٢٩ أكتوبر ١٩٠٨ يلمح فيها الباحث بدء احساس العرب بالألم من تصرف الاتحاديين .

فيقول له رفيق العظم « فالجماعة (جماعة الاتحاد والترقى) لايهمها الا المركز الرئيسى فى مناستر وتهمل بقية المراكز وهو أمر باعث على تحرك حزب الاستبداد فى الولايات الأخرى ... أخبار الدولة تسوء كل محب لها ومع ذلك فرجاؤنا جميعا أن لا تكون حرب بينها وبين الاعداء لأن انكلترا واقفة وقوف السد فى وجه أوروبا وهى منة لها لا ينساها العثمانيون قط بقطع النظر عما تخدم به مصلحتها فى المحافظة على كيان الدولة » .

ويعتب عليه رفيق تعجله فى تأليف شعبة الاتحاد والترقى « ولكن تعجلتم ولعله الخير ان شاء الله[٤] .

ويبدو أن الخطيب كان قد أشار على رفيق العظم بترك عمله والاشتغال بالصحافة فيشير عليه العظم بانه اذا أصر على هذا الرأى

---

(٤) أنظر ملاحق البحث .

أن تكون خدمة الخطيب قاسرة على اليمن فقط « لأنها فى حاجة شديدة الى ذلك والى مثلكم » ٠

ويتبع رفيق العظم ذلك برسالة أخرى يبلغه أنه كتب الى سلانيك تقريرا مطولا عن أحوال شعب اليمن وعن حادثة دمشق التى حدثت فى آخر رمضـــــان ويشـــير رفيق بذلك الى حــــادثة الاعتداء على رشيد رضا أثناء زيارته لها والمعروفة بفتنة رمضان حيث اعتدى عليه فى المسجد الأموى ٠ وقد أفاض الشيخ رشيد رضا فى وصف هذه الحادثة فى مجلة المنار وعللها بأنها كانت مدبرة من الاتحاديين لأسباب تتعلق بانتخابات المبعوثين وأن الحكومة بدأت تتدخل فى حرية الانتخـــابات لذا امتعض وجهاء البلدة من جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها(٥) ٠

وفى نفس رسالة رفيق العظم الى الخطيب كتب له حقى العظم فى طرفها يرجوه أن تكون مراسلاته بعد ذلك باللغة التركية لارسالها كماهو الى الجمعية فى سلانيك لأنه ربما لا يوجد من يعرف اللغة العربية وتحول مشغوليات الجمعية فى القاهرة عن أعمال الترجمة ٠

وقبل أن يغادر الخطيب اليمن كان له دوره فى وقت الحرب الدائرة بين الامام يحيى والدولة العثمانية ٠

مع اعلان المشـــروطية كان الامام يحيى فى حالة حـرب مع الدولة(٦) ٠ فرأت جمعية الشورى العثمانية التى تحول فرعها فى الحديدة الى فرع لجمعية الاتحاد والترقى أن تقوم بعمل وصـــفه الخطيب بأنه عمل عظيم لليمن والدولة العثمانية معا ٠ فكتبت الى الامام يحيى كتابا بخط محب الدين وانشائه تعرض عليه اقتراحا بأن تتولى الجمعية الكتابة الى استنبول والمراجع العليا بأن الامام يحيى لم يكن يحارب الدولة دائما بل كان يحارب الظلم الذى حاربته

---

(٥) رشيد رضـــا : المنار م ١١ ٢٢ يناير ١٩٠٩ وما بعدها ٠

(٦) محمد انيس : الدولة العثمانيـــة والشرق العربى ص ٢١٧ ٠ وكذلك أمين الريحـــانى : ملوك العرب جـ ١ ص ١٤٥ نقلا عن حراز الدولة العثمانيـــة وشبه جزيرة العرب ص ٨٨ ٠

جمعية الاتحـــاد والترقى وثارت من أجل ازالته • وكتب الخطيب للامام يحيى أن تتولى جمعية الشورى العثمانية الكتابة للمراجع العليا أن الامام مستعد للتفاهم مع الدولة على الصلح والتعاون بشرط أن يعترف له فى اليمن بمثل المركز الذى لشـــريف مكة فى الحجاز ، وأن يكون الامام هو المرجع فى اليمن فى الشئون الدينية كتعيين ائمة المساجد وخطبائها والقضاة الشرعيين وشئون الأوقاف، وللدولة سائر الشئون السياسية والادارية والعسكرية والمالية ويقول للامام فى هذا الكتاب : أن عندك ثلاثمائة أسير من جيش الدولة لا يكلفونك مئونتهم ولوازمهم وهم عبء عليك فلو وافقت على تسليمهم لفرقة الحديدة فانها ترسل الى الحدود قوة بموسيقاها تتسلمهم من رجالك باحتفال رسمى وتعيدهم الى ثكنات الجيش فى الحديدة ويكون ذلك عربونا لنجاح هذه الفكرة • فتكتب الجمعية (جمعية الشورى التى حملت اســـم فرع جمعية الاتحاد والترقى باليمن) والفرقة العسكرية الى استنبول بأن الامام أطلق سراح الأسرى الذين عنده وأنه غير محارب للدولة • ولكنه كان يحارب الظلم ، وهو مستعد للتفاهم على طريقة صالحة لحكم اليمن • فكان ذلك وسيلة ناجحة لازالة جميع الاختلافات السابقة • ووافق الامام على الاقتراح ، وتم تسليم الثلاثمائة من الأسرى لفرقة الحديدة ، وبقى الامام فى مكانه انتظارا لما تعمله المراجع العثمانية العليا لتحقيق بقاء الخطة وذهبت المكاتبات من الحديدة ـ ومثلها من ممثلى الجمعية فى صنعاء ـ الى المراجع العليا بذلك ، وكان هذا هو السبب الأول ـ على حد قول الخطيب ـ الذى جعل الدولة العثمانية ترسل الفريق أحمد عزت باشا الى اليمن ومعه عزيز المصرى حيث وقع الصلح بين الدولة العثمانية والامام يحيى وهو الاتفاق الذى عرف باتفاق دعان نسبة الى القرية الصغيرة التى تحمل هذا الاسم فوق قمة جبل شـــمال غرب مدينة عمران • وقد تضمن هذا الاتفاق أن ينتخب الامام (يحيى) لمذهب الزيدية وتبلغ ولاية صنعاء بذلك وهذه تخير الأستانة لتصدق على ذلك ويخلى الامام سبيل ماعنده من رهائن من أهالى صنعاء وما جاورها وحراز وعمران(٧) •

---

(٧) حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ٨٨ .

ولما أزمع محب الدين الخطيب قطع علاقته بالحديدة للعودة الى دمشق كتب الى الامام يحيى كتابا يودعه به وذكر له شيئا من أعمال جمعية النهضة العربية والشورى العثمانية التى حولت عنوانها الى الاتحاد والترقى ٠

يقول الخطيب « وبعد بضعة أشهر من اعلان الدستور ألح على اخوانى فى دمشق بضرورة عودتى اليهم وقالوا ان الاتحاد والترقى تضغط عليهم فى أن جمعيتهم (جمعية النهضة العربية) فى دمشق اتفقوا على تسميتها (جمعية النهضـــة الســـورية) وبسبب ذلك فارقت اليمن وعدت الى دمشق وقبل سفرى من الحديدة كتبت الى الامام يحيى كتابا أودعه فيه ـ وكان هو يعلم من رجال سريين أن كل هذه المساعى صادرة عنى وأن اخوانى الذين معى يوافقوننى عليها لثقتهم بى ولأننى لا أعمل الا ما فيه الخير ٠ فكتب الامام جوابا على رسالتى برسالة بليغة عظيمة ما أظن أنه كتب مثلها الى انسان آخر طول حياته وهى عندى بأصلها الى الآن وتاريخها شهر ذى القعدة سنة ١٣٢٦ هـ ٠

وقد أثنى الامام يحيى فى رسالته الى الخطيب عنيه ثناء كثيرا ونمنى له التوفيق فيما عزم عليه من السفر الى سوريا لاصدار جريدة النهضة العربية ٠

وهكذا قرر محب الدين الخطيب مغادرة اليمن وبين أوراقه صورة لشهادة أعطاها له قنصل انجلترا فى الحديدة ٠ وكتب محب الدين أن الشهادة الأصلية ضاعت منه عند اعتقاله فى البصرة بعد أن أخذها القنصل الانجليزى هناك (كوكس) ولم يردها له ٠ وفى هذه الشهادة اعتراف من القنصل بأمانة الخطيب والثقة فيه وفى اجادته لعمله ترجمانا فى القنصلية وأنه اضطر الى ترك عمله بسبب انحراف فى صحته ٠

وفى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ ترك محب الدين مياه الحديدة متوجها الى الاسكندرية ومنها الى دمشق ٠ وكانت النية ـ حسبما يقول فى أوراقه ـ أن يعمل على تجديد نشاط جمعية النهضة العربية وأن

يصدر فى دمشق أما باسم الجمعية أو باسمه الخاص - صحيفة باسم (النهضة العربية) وهو الاسم الذى أحبه الخطيب وعاش يحلم أن يتحقق • وكان يأمل أن يكون ذلك فى داخل نطاق الدستور العثمانى وقوانينه على أساس أن يتمتع العرب بالنظام الدستورى •
وفى الوقت نفسه يتعرفون الى عروبتهم ويحبون مآثرها ويتخلقون بأخلاق السيادة والحكم فى ظل الرابطة العثمانية متبعين سنن سلفهم الأول ، وعاملين بأنظمة التى توصل البشر الى حسناتها فى العصور الأخيرة •

عاد الخطيب الى سوريا فرأى أن بعض السوريين الأحرار الذين كانوا يقيمون فى مصر فرارا من السلطان عبد الحميد قد عادوا الى بلدهم استبشارا بأن ينعموا فى ظل الحكم الجديد بما حرموا منه فى عهد هذا السلطان • عاد محمد كرد على الى دمشق ليصدر صحيفة المقتبس اليومية وكان يصدرها من قبل فى القاهرة أثناء اقامته بها •

وبالرجوع الى أعداد المقتبس التى أخذت تصدر فى دمشق بعد اعلان الدستور وعودة كرد على اليها يجد الباحث فيها روح التفاؤل الكبيرة التى غمرت الشباب العربى باعلان المشروطية وبدء عهد جديد • ورددت الصحيفة الفضل الكبير للقاهرة فى استضافتها السوريين الذين هجروا وطنهم فرارا مما كان يعانيه(٨) •

وصل محب الدين الى الشام فرأى أن الدولة تأبى أن تعترف بعنوان جمعية النهضة العربية لأن كلمة العربية غير مرغوب فيها من رجال الاتحاد والترقى الذين ال اليهم امر السلطة • وفى أوراق الخطيب رسالة من صلاح الدين القاسمى اليه يقول له ان الحكومة المحلية فى هذه المنطقة قاومت الجمعية مرارا وأنها ما فتئت تناهضها فكانت تحاول ألا تجيز قانونها والجمعية ما برحت تعمل إلحكومة

---

(٨) ارجع الى أعداد المقتبس ١١ يوليو ١٩٠٩ وصلاح الدين القاسمى : آثاره •

على اجازته ليكون لها حق البقاء والعمل حتى وفقت الى ذلك فى يوم نعده مبدأ حياتها • وقد أجيز القانون وطبع ونحن نقدم اليكم نسخة منه فى البريد رجاء أن يكون للجمعية منكم خير مؤازر ونصير ••

فقد تمت موافقة حكومة الاتحاد والترقى على قانون الجمعية بعد مراحل مختلفة • ففى أول الأمر وعقب وصول الخطيب الى دمشق اجتمع مع زملائه واختاروا هيئة ادارية برئاسته لجمعيتهم التى أسموها جمعية النهضة العربية وعهد الى رضا مردم أن يكون نائبا للرئيس ورشدى الحكيم محاسبا • واختير جمال الحفار أمينا للصندوق وزكى الخطيب كاتبا وأعد المجتمعون مشروع قانون لها لتقديمه الى الحكومة لاجازته • وواضح أن المشروع الذى اقترحوه لجمعيتهم شبيه بمشروع جمعية الاخاء العربى العثمانى التى افتتحت رسميا فى اليوم الثانى من سبتمبر ١٩٠٨ • فقد كان هدف مؤسسى جمعية الاخاء ومن الاسم الذى جعلوه لجمعيتهم هو العمل على تحقيق التعاون بين العرب والتآخى بين العنصر العربى والعثمانى • وأعلنت جمعية الاخاء العربى العثمانى فى افتتاحها الرسمى عن تأييدها لخطة جمعية الاتحاد والترقى وأنها ستعاونها فى سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسى وجمع كلمة الملل فى الدولة العثمانية دون تفريق فى الجنس والمذهب(٩) •

كذلك وضع الخطيب مع زملائه مشروعا لجمعيتهم تضمن أن تسمى الجمعية أولا الى مايؤول الى ترقية العثمانيين عموما والعرب خصوصا • ثانيا تكون الرابطة العثمانية بين الشعوب المختلفة التى تتألف منها هذه الأمة • ثالثا التعاون بين أعضاء الجمعية ومناصرة بعضهم بعضا فى المصالح الأدبية والمادية • رابعا بذل الجهد المستطاع والوسائل المشروعة فى سبيل تأييد الشورى فى الدولة العثمانية والمحافظة على مبدأ المشروطية بأكمله درجاته وأعدلها • خامسا : مقاومة كل سعى أو حركة تقضى الى التفريق بين عناصر

---

(٩) محمد برج : دراسة فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر ص ١١٧ •

العثمانيين أو الى ايهان الرابطة العثمانية · سادسا : اجراء الوسائط الممكنة لنشر العلم بين العرب وجمع كلمتهم تحت الراية العثمانية ·

لكن الحكومة العثمانية لم توافق على مشروع القانون الذى اقترحه أعضاء جمعية النهضة العربية فقد بدأت النعرة التورانية تسودها وتطورت الأمور فى ظل حكم الاتحاد والترقى تطورا سيئا لا فى البلاد العربية فحسب بل فى البلاد التركية أيضا وفى استنبول ذاتها · وصار تعصب الاتحاد والترقى للتركية وللنعرة التورانية مثارا لرد الفعل وانتعاش الرجعية فى استنبول والولايات التركية ، فضلا عن البلاد العربية · ويصف الخطيب هذه الفترة فى أوراقه فيقول : « طمع عبد الحميد أن يعيد سلطة الحكم الفردى ومبادىء الاستبداد كما كانت وأكثر مما كانت ورفع الحملة وعلماء السوء رؤوسهم فى دمشق وسوريا وفســـدت القلوب ، فيما بين الحكام والمحكومين ، فتغيرت الصورة التى فى ذهنى للوطن وأســـاليب النهوض ووقفت أسير الحال أترقب ما يصير اليه الموقف » ·

ولم يكن هذا احساس الخطيب وحده فبالرجوع الى مذكرات رشيد رضا يجد الباحث أنه قد صار لديه نفس الاحساس والخوف من اندفاع جماعة الاتحاد والترقى فى الطـريق الذى ســـار فيه المستبدون من رجال السلطان عبد الحميد(١٠) ·

كانت الصورة التى تكونت لدى رشيد رضا هى نفس الصورة التى تجمعت لدى صديقه محب الدين الخطيب عند عودته الى دمشق وما رآه من فوضى ويصف الخطيب ذلك فى مذكراته فيقول : كانت الصحافة فى تلك الأشهر ـ عقب اعلان الدستور ـ فوضى ، والرأى العام فى بلبلة واضطراب بسبب تعسف سياسة الاتحاد والترقى ، وعدم الاستقرار فى ادارات الحكومة · ويقول الخطيب كان كل من شاء يصدر جريدة كمايشاء فالصحافة فى ذلك الوقت لا رابط لها لأنه لم يصدر بعد قانون ينظمها ·

وبينما كان الخطيب فى زيارة لدار جريدة المقتبس اليومية التى

---

(١٠) ارجع مجلة المنـار سنة ١٩٠٨.

كان يصدرها في دمشق صديقه محمد كرد علي ، طلب منه صديقه بسبب تأهبه للذهاب الى أرض زراعية أن يشرف على مواد الجريدة التي أعدت وأن يكمل إعداد ما نقص من موادها لتطبع في مساء اليوم ويصـــدر العدد ويوزع في صباح الغد وبذلك يتمكن كردعلي من التوجه الى القرية مطمئنا ولما انتهى الخطيب من ذلك وقف وهو في ادارة الجـــريدة على أخبار كثيرة مثيرة منها هجوم الدروز على جيرانهم من أهل حوران في بصرى وسفك الدماء بين الجانبين ، فاتجه الخطيب الى اصدار جريدة تنقد الأوضاع الحاضرة في سوريا بأسلوب فكاهي • فقد جاء من قص على الخطيب أن الوالي ناظم باشا لبى دعوة أحد الأعيان الى ليلة ممتعة يقضيها في قرية لصاحب الدعوة ، ثم حضر الى ادارة الجريدة أحد الأمراء الشهابيين من أصدقاء محب القدماء وهو موظف في ادارة المعارف ونقل له أخبارا تستحق النقد عن مدير المعارف حسين عوني بك الذي كان له يد في اضطهاد الخطيب عندما كان طالبا في مدرسة دمشق الثانوية وكان بسبب ذلك أن انتقل الخطيب الى مدرسة بيروت • وقف الخطيب على هذه المساوىء وعلى غيرها مما كان شائعا ومما كان مخفيا عن اذان الناس فلبى دعوة عمال جريدة المقتبس وكتب لهم عددا فكاهيا انتقاديا واختار اسما له هو (طار الخرج) كان الخطيب يكتب مواد العدد والعمال يعملون في همة لاصدار جريدتهم وما أن نزلت الى السوق حتى بيعت كل أعدادها •

تنبهت السلطات الحكومية لأمر هذه الصـــحيفة التي تنقد الأوضاع في سوريا وأخذت في البحث عن كاتبها وطابعها ، وحضر الى منزل الخطيب ابن عم له من المشايخ ولم يكن من عادته أن يزوره فحاول أن يعرف منه من هو كاتب تلك الجريدة • فأدركت أن الشبهة متجهة اليه وأن ناظم باشا هو الذي أرسل ابن عمه ليعرف مبلغ علاقته بهذا الأمر ثم حضر الى منزله صلاح الدين القاسمي وبعده جميل مردم واخرون من أعضاء جمعية النهضة العربية (أو النهضة السورية) وطلبوا منه أن يسافر حالا من دمشق • فذهب الى بيروت وفي بيروت لاحقه الطلب بالكتابة الى حكومتها من حكومة دمشق •

فأرسلت الجمعية من دمشق الى أحد أعضائها وهو أحمد أيأسي من كبار تجار بيروت برقية بتوقيع جميل مردم ـ لأنه أصغر الأعضاء سنا ـ والقانون يخفف مؤاخذته لصغره ـ بأن يسافر محب الدين حالا الى الحديدة أو استنبول ٠ ولم يكن من الميسور السفر الى الحديدة بعد الاستقالة من العمل فيها وقطع كل علاقه بها ٠ لذلك سافر محب الدين فى احدى البواخر الى الآستانة ٠

وفى الآستانة استأنف حضور الدروس فى الحقوق التى قيد اسمه فيها مرة ثانية فى الصف الثالث ٠

ولعل من أهم مايفيد الباحث من أوراق الخطيب فى هذه الفترة مشاهدته للحركة المضادة أو الحركة الرجعية التى شهدتها الاستانة سنة ١٩٠٩ ، حين استفحل أمر الفتنة الرجعية التى كان يديرها السلطان (عبد الحميد) وأعوانه فى استنبول وصار لها أنصـــار أقوياء فى الجيش وفى الشعب ولاسيما بين طلاب العلم الدينى ٠٠ وتحت ضغط جماعة الاتحاد والترقى طرد عزت باشا وكان من أكبر المقربين للسلطان ثم اتهمت هذه الجماعة سعيد باشا المعروف بسعيد كوجوك بأنه انتهك الدستور باصراره ان يحتفظ الســلطان بتعيين وزيرى الحربية والبحرية فاستقال سعيد وجاء كامل باشا المعروف بميوله التحريرية ٠٠ واذا كانت قد بدأت حركة تطهير فى الادارة لكافة العناصر التى عرفت بولائها للســـلطان عبد الحميد فان الاتحاديين قد سيطروا على الانتخابات ضمانا لفوز مرشحيهم ٠٠ فمن المعروف أنه عقب اعلان المشروطية فى العاشر من يوليو ١٩٠٨ صدر قرارا فى نفس الشهر (٢٤ يوليو) يدعو الى انتخابات مجلس « المبعوثان » ٠ حرص الاتحاديون خلال هذه الانتخابات على فرض مرشحيهم على كثير من الولايات العـــربية بالرغم من أن القانون الاساسى العثمانى الذى صدر سنة ١٨٧٦ قد تضمن فى مادته الثانية والسبعين أنه من الواجب على المنتخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالى دائرة الولاية التى هم منها الا أن الاتحاديين أهملوا هذه المادة ولم يتقيدوا بها ، وفرضوا مرشحين أتراكا من غير أهالى الولايات على عدد من البلاد العربية ٠ وقصة الضجة الكبيرة التى حدثت بين

الغرب فى حوران والكرك بسبب مجيء مرشحين أتراك اليهما معروفة ‥ وشهد مجلس «المبعوثان» صراعا بين الاتحاديين يحاولون زعزعة مركز كامل باشا وبين النواب المعارضـــين لهم يؤيدونه ويتبادلون الاتهامات معهم ٠ واتهمهم كامل باشا بمحاولة خلع السلطان واتهموه بمحاولة انقلاب لا دستورى حينما أراد ابعاد بعض وحدات الجيش الموالية لهذه الجماعة عن استنبول فرفض رئيس أركان الجيش طلبه ‥ عندئذ أقال كامل باشا وزير الحربية لأنه شايع الاتحاديين ووضع الجنرال ناظم باشا مكانه فاحتج الاتحاديون عليه بشدة وانهالت عليه برقيات الاحتجاج من وحدات الجيش المؤيدة للاتحاديين وتعرض لحملة صحفية عنيفة حتى اسقطوه(١١) ٠

سقط كامل باشا فى ١٣ فبراير ١٩٠٩ وتولى حسين حلمى باشا مكانه فاشتد خطر أعوان الســلطان وكان معظمهم من رجال الفرقة الأولى المرابطة فى الأستانة ٠ واحتل فريق من الجنود بقيادة أحد الألبانيين البرلمان وقتل ضـــابطان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى فاضطر حلمى باشا الى الاستقالة وخلفه توفيق باشا ‥ كما قتل وزير العمل وجرح وزير الحربية وأصدر عبد الحميد فرمانا بالعفو عن هؤلاء الجنود ٠

يقول الخطيب فى وصــفه لهذه الحركة : ولما وصــلت الى الأستانة كانت ثورة ٣١ مارت بالتقويم الشرقى المعمول به يومئذ فى الدولة العثمانية (١٣ ابريل ١٩٠٩) ضد الاتحاد والترقى ٠ كانت الاتحاد والترقى ساقت على الأستانة من أدرنة وولايات روم ايلى جيشا سموه جيش الحركة بقيادة شـــوكت باشا البغدادى ، وكان على رأس أول كتيبة فيه عزيز على المصرى ٠ وتبادل جيش الحركة رمى القنابل بينه وبين الجيش المنتمى للسلطان عبد الحميد والمحاصر فى ثكنة السليمة وغيرها ٠ وكان معى فى الأستانة عارف الشهابى وصلاح الدين العظم وعبد الكريم الخليل وابن عمى سيف الدين ‥ وكنت ساكنا فى ضاحية بيقوز على البسفور أنا وابن عمى سيف

---

(١١) برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمـانى ص ١٢٠ دار الهنا للطباعة سنة ١٩٦٠ ٠

الدين والدكتورا حمد قرى وعونى عبد الهادى وجلال النجارى أحد الذين شنقهم جمال باشا فيما بعد . فكان صلاح الدين العظم يقول لى ان التاريخ يمثل فى الساحات التى تطلق فيها المدافع فكيف يكون التاريخ ماثلا أمامنا ونحن نتوارى عنه ومازالت قوة جيش الحركة تطلق قذائف مدافعها على ثكنة سلمية ومن فيها من الحميديين حتى هدمتها على رءوسهم كنت أذهب مع صلاح الدين العظم نتفرج على هذا المشـــهد وعلى هذه المنـــاقق التى تنطلق فيها المدافع وأزيز الرصاص(١٢) .

وفى مقال للخطيب موقع عليه بأول حروفه (م) عن الوفد السورى الذى جاء يهنىء السلطان محمد رشاد يقول : هذا الوفد حاول السـلطان عبد الحميد والمتشـــائمون من الحياة النيابية أن يتخلصوا من النظام الدستورى . أنشبوا الفتنة على الدستور يوم ٢٢ ربيع الأول ١٣٢٧ (١٣ ابريل ١٩٠٩) زحف جيش الثورة من الولايات العثمانية فى أوروبا الى العاصمة بقيادة محمود شوكت باشا .. كان كاتب هذه السطور فى القسطنطينية وشـــاهد هذه الأحداث . سقط عبد الحميد واعتقل فى قصر الاتينى فى سلانيك ، وبويع أخوه السلطان محمد رشاد وندبت سوريا وفدا من علمائها وأعيانها لتهنئة السلطان الجديد بالحكم الدستورى(١٣) .

ومن أهم ما حققه الخطيب أثناء وجوده فى الآستانة انه اقنع زملاءه بضـــرورة وجود ناد للشباب العربى يجمعهم ويلتقون به فبرزت فكرة النادى العربى ..

سافر الخطيب الىالقاهرة وكذلك لم يذكر اسمه ضمن مؤسسى النادى بينما كان هو أحد المتحمسين للفكرة التى دفعت بالنادى الى حيز الوجود فيما بعد .

---

(١٢) الجيل الذى عاصر بعث العروبة مخطوط لمحب الدين الخطيب .
(١٣) صلاح الدين القاسمى : آثاره مقدمة لمحب الدين الخطيب .

وفي شـــهر سبتمبر ١٩٠٩ أبحر من الأستانة الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة · وفي اسبوع وصوله الى القاهرة تكلم الشيخ طاهر الجزائرى مع أحمد باشا تيمور (نكان لايزال أحمد بك تيمور) في ان يلتحق بقلم تحرير المؤيد ·

وفي فترة قصيرة من عمله بالمؤيد اصبح موضع ثقة الشيخ على يوسف · يذكر الخطيب انه فى الوقت الذى التحق فيه بالمؤيد كانت حالة الشيخ على يوسف المالية مرتبكة فكان يصعب عليه دفع الرواتب فكان الخطيب يطبع فى مطبعة المؤيد بعض الكتب ليخصم اجرها من راتبه ·

وفي سنة ١٩١١ اشترك مع رشيد رضا في فتح مكتبة فتحاها باسم مكتبة المنار لأصحابها رضا وخطيب وقتلان)(١٤) ·

وشـــهدت سنة ١٩١١ الهجوم الايطالى على طرابلس الغرب فرأى الخطيب ان اخلاصه لعمله الصحفى أمر يقضيه ويمليه عليه الواجب القومى فى خدمة بلاده وامته العربية · استأجر مسكنا له قريبا لدار المؤيد فى شارع محمد على وصارت اذا جاءت برقيات مهمة عن أخبار الحرب فى طرابلس يوصى من عمال الصحيفة من يحملها له على وجه السرعة وينظم منها الخبر الذى سرعان ما تجمع حروفه ويسلم الى المطبعة لتصدر به ملاحق لصحيفة المؤيد ·

ويذكر الخطيب ان ذلك كان يتم والشيخ على يوسف فى داره فيسمع نداء الباعة على ملحق المؤيد فيرسل من يشترى له نسخة منه ويطلع عليها كأى قارىء ·

وكثيرا ما كان الشيخ على يوسف فى اليوم التالى لظهور الملحق ينادى محب الدين ويثنى على جهوده واخلاصه لعمله · ثم ازدادت الثقة فى محب الدين الخطيب فصار هو الذى يتخير المواد

---

(١٤) مخطوط للخطيب بعنوان : الجيل الذى عاصر بعث العروبة ·

للنشر واذا لم يوجد شيء يصلح ليكون افتتاحية العدد يتأخر في دار المؤيد بعد المواعيد المقررة ويترجم مقالا تناسب الحال من الصحف التركية كجريدة اقدام لاحمد جودت بك وغيرها ويصـــدر بها عدد المؤيد ·

والدارس لصحيفة المؤيد في الفترة التي عمل فيها الخطيب يجد ان التشجيع الكبير الذى أعطته المؤيد للحركة العربية مرجعه الجهد الكبير الذى بذله الخطيب في هذا المجال في الوقت الذى ازداد غلو الاتحاد والترقى في الدعوة الى الجامعة التورانية والى العصبية التركية ·

لقد رجعت الى أعداد المؤيد في الفترة التى عمل الخطيب فيها محررا فيه (١٥) · فهو يكتب مطالبا بمقاطعة الايطاليين والبضائع الايطالية ويفســـح صـــفحات المؤيد لصـــديقه وزميله رشـــيد رضا الذى كتب منذ الرابع من أكتوبر ١٩١١ (١١ شوال ١٣٢٩) مقالاته بعنوان : المسألة الشرقية واعداء ايطـــاليا على طرابلس الغرب) التى خصص لها الصفحات الأولى للصحيفة(١٦) ·

ومضى الخطيب يصدر ملاحق لصحيفة المؤيد ينشر أخبار الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا ويضمها الى أعداد الصحيفة في اليوم التالى · ينقل عن وكالات الأنباء الأخبار التى تقول يستنتج من جملة تقارير متناقضة استنتاجا كبيرا ان الطليان لم ينزلوا عســاكرهم في طرابلس وأنه لم يحصل من الحرب ســـوى أن ثلاث أو أربع غواصات أسرت أو عطلت على شواطيء بحر الادرياتيك ·

كما ينقل عن تلك الوكالات وعن الصحف الأجنبية مثل الطان وغيرها أخبار تلك الحرب والتى كان القارىء العربى متلهفا لمعرفة آخـــر تطـــوراتها ويفند الأكاذيب التى كانت ترددها بعض هذه الوكالات ·

---

(١٥) أعداد المؤيد من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٤ ·

(١٦) العدد المشار اليه الصفحة الأولى ورقمه ٦٤٨٢ ·

ويمضى الخطيب ينبه العرب الى خطورة مايحاك ضد بلادهم فيكتب تحت عنوان الحملة المدبرة على طرابلس الغرب ·

« ظهر باجلى بيان نص التلغرافات الواردة بتاريخ ٢ الجارى (٢ أكتوبر) أن الدول رفضت التدخل فى الحرب التى أعلنها الايطاليون على الدولة العلية بسبب ما انتحلته من أعذار يدل ظاهرها على شىء من العطف نحو الدولة ويشير باطنها الى أن تلك الحرب انما دبرت بمعرفتهن ولم تعلن بما امتازت به من المفاجأة الا بموافقة وتصديق عليها منهن ·

« فان اجماعيهن على عدم التداخل مخالف بمصالحهن ازاء الدولة العلية وازاء ايطاليا لم يكن الأمر الذى يحصل عفوا ومن غير اتفاق سابق وانما هو نتيجة علمهن بعزم الايطاليين من قبل على احتلال طرابلس وموافقتهن اياها عليه تنفيذا لمبدأ (تبادل المنفعة) الذى وضعته لتقسيم تراث الهلال وادخاله فى حوزة الصليب حتى لا تكون (أمة اسلامية حائزة على استقلالها أو متحضرة لمناظرتهن فى عزة الجانب والحضارة(١٧) ·

ويترجم الخطيب المقالات التى تصدرها الصحف التركية لينشرها فى صحيفته المؤيد فهو يترجم عن جريدة اقدام ما تنشره من أخبار خاص بمطامع ايطاليا فى الاستيلاء على ما أخذته النمسا منها ثم ما حرك فيها المطامع أثر (اهداء مؤتمر برلين للدولة النمسوية البوسنة والهرسك وفتح لها باب التوسع فى الشرق وكان ينبغى للنمسا فى حساب الايطاليين أن تنسحب من ترابهم مادامت مصممة على التقدم الى الشرق) ··· وبعد أن خرجت ايطاليا يدها فارغة من تونس عقدت رجاءها على طرابلس الغرب ·· على أن نصرا عظيما بعناية الله وعزيمة العثمانيين فى الاحتفاظ باستقلالهم سوف يتحقق(١٨) ·

---

(١٧) العدد المشار اليه ص ٣ ·

(١٨) عدد ١٠ اكتوبر ١٣٢٩ ·

ودعا الخطيب فى صيحة المؤيد الى الاكتتاب ونشـــر قائمة المكتتبين والاشادة بالأمير عمر طوسون الذى قاد حملة التبرع لنصرة الاخوة الطرابلسيين فى جهادهم ولم يتوان الخطيب عن اصـــدار الملاحق لصحيفة المؤيد يوافى قراءه بأخبار هذه الحرب فقد كان احيانا يعد ملحقين فى اليوم الواحد يصدرهما معدا اياهما بنفسه ..

واصبحت المؤيد خلال هذه الفترة تشيد بجهاد الطرابلسيين ضد الغزو الايطالى ويهاجم لطفى السيد على صفحات جريدته حين دعا لطفى السيد الى سياسة المنافع لا سياسة العواطف وكان من شان هذا ان قررت الدولة العثمانية السماح للمؤيد بدخول ولايات الدولة وينشر الخطيب ذلك فى ملحق عاجل (قرر مجلس الوكلاء رفع المنع عن المؤيد وان يبلغ ذلك لكل الولاء . ويقول ان الأخبار القادمة من الأستانة تشير بان الراى العام فيها يعتبر المؤيد قوة كبرى من قوى العالم الاسلامى يجب الاستفادة منها على الدوام(١٩) .

واثر ضياع طرابلس الغرب والموقف المخزى الذى وقفته الدولة العثمانية تجاه هذا الاقليم مما ادى الى استيلاء الايطاليين عليه ، راى العرب العثمانيون من أبناء سوريا أن مطلب اللامركزية هو الاساس الذى ينبغى أن يركز عليه العرب . فالعرب كانوا أكثر عناصر الدولة الذين عانوا من تمسك الاتحاديين بمركزية الحكم . كان الخلاف قد نشب بينهم وبين النواب العرب فى مجلس «المبعوثان» حين قدم نواب طرابلس الى المجلس تقريرا مفصلا ذكروا فيه براهين عديدة على تهاون الحكومة فى اعداد وسائل الدفاع عن تلك الولاية الثانية . واستاء العرب مما قامت به الحكومات التركية من سحب لبعض قواتها من طرابلس الغرب لتحارب بها فى اليمن مما ترك هذا الاقليم بدون دفاع جدى امام الغزو الايطالى وساء العرب كذلك انه لو أخذ الاتحاديون باسلوب اللامركزية فى حكم الولايات وتركوا لأهل البلاد القيام بما يصلح شئونهم لما وقعت هذه الكارثة .

---

(١٩) المؤيد ١٦ اكتوبر ١٩١١ .

Corresp. d'Orient 1/2/1913.

وتبع الحرب الطرابلسية نشوب الحرب البلقانية واذعان الدولة العثمانية لطلب الصلح بعد الهزيمة التى حاقت بها ونصيحة الدول العظمى (انجلترا ، فرنسا ، روسيا ، المانيا ، ايطاليا ، النمسا) الى الدولة العثمانية التنازل عن مدينة أدرنة للدول البلقانية وان تكل الى الدول العظمى امر البت فى مصير جزر بحر ايجة(٢٠) .

فى هذه الظروف رأت فرنسا أن تعيد على مسامع الدولة العثمانية قصة نفوذها فى سوريا وما تدعيه من حقوق تاريخية وحمايتها لبعض العناصر المسيحية وسارع رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها بوانكارية الى ارسال المدرعة (جول فيرى) الى مرفأ جونيه فى لبنان .

وخطب فى مجلس الشيوخ الفرنسى قائلا : لا ارى لزوما لان اذكر مجلس الشيوخ أن لنا فى لبنان وسوريا حقوقا تاريخية تقليدية(٢١) .

عندئذ بادر السوريون فى سوريا الى انشاء حزب اللامركزية .

يقول رشيد رضا « ان حزب اللامركزية كان يراد به خدمة الدولة والبلاد العربية معا وكان سبب تأسيسه .. هو ما أنذرت به الحرب البلقانية العثمانية من توقع زوال الدولة . وقد كنا نعتقد أن الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا اذا أصرت على شكل حكومتها المركزية وتحكيم الترك فى جميع شعوب الدولة(٢٢) .

يعتبر ايلى خدورى حزب اللامركزية أهم الأحزاب المدنية التى الفها فى القاهرة المهاجرون السوريون وكان ـ كما يقول خدورى ـ له اتصالات واعضاء فى سوريا(٢٣) .

---

(٢٠) نقلا عن برو : العرب والترك ص ٤٢٤ .

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

(٢٢) رفيق العظم : آثاره المقدمه ص ح بقلم رشيد رضا .

(٢٣) Among the civilian parties the most important was the Decentralization party.

Elie Kedourie : England and the Middle East P. 62.

بدأ التفكير فى انشاء الحزب فى أواخر سنة ١٩١٢ ثم عقدت جلسة بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٣ لاختيار مجلس ادارته ، فيبين أوراق الخطيب دعوة موجهة اليه من رفيق العظم بهذا التاريخ لاختيار أعضاء مجلس ادارة الحزب ٠

وقد تم فى هذا الاجتماع اختيار عمون بك نائبا للرئيس وحقى العظم سكرتير؛ ومحب الدين الخطيب مساعدا للسكرتير ٠ اما أعضاؤه التنفيذيون فهم السيد رشيد رضا وسليم بك عز الدين ونعمان بك ابو شعر واختير للجنة المالية من الأعضاء خليل ابو أيوب، وعزت بك الجندى وداود ابو بركات رئيس تحرير الأهرام ونجيب بك بشرى ٠

وأسرع محب الدين الخطيب بطبع القانون الداخلى للحزب فى مطبعة المنار ٠

وعند الأستاذ الخطيب مكاتبات عديدة يطلب اصحابها الانضمام الى الحزب من السوريين المغتربين فى أمريكا اللاتينية والشمالية ومن أشخاص سوريين فى جهات متفرقة وكانت الصيغة التى يقدمها العضو لطلب الانضمام الى الحزب على النحو التالى :

لمقام رئاسة حزب اللامركزية ٠٠

بصفتى سورى عثمانى اتقدم عن غيرة ووطنية صادقة للانضمام الى حزبكم العامل على ترقية الوطن بتخليصه اياه من التقاليد الادارية القديمة العتيقة ٠

وانى حائز لكل الشروط التى يوجبها القانون الداخلى للحزب كما وانى مستعد للقيام بما يفرض على من الخدمات والمساعدات العائدة على توسيع نطاق سلطة الحزب وانتشاره لذا ترون انى فى انتظار تعليماتكم ٠

وظل الحزب يتسع ويمتد وينتشر ويزيد اعضاؤه ، وفتح الخطيب صفحات المؤيد لنشر أخبار الحزب ودوره واهدافه ٠ وفى

أوراقه مكاتبات جاءت اليه من حقى العظم سكرتير الحزب لنشر أخبار الحزب عن هذا الموضوع أو غيره من موضوعات مثال ذلك كتب اليه حقى العظم فى ٢٩ نوفمبر ١٩١٢ وأرفق برسالته برقية جاءت الحزب من بغداد عن الاصلاح ويلتمس ترجمتها الى العربية من التركية ونشرهما فى المؤيد ولا يضع توقيعا ويقول فى مقدمة ما ينشره أرسل طلاب الاصلاح فى مدينة كذا ..»

وأصبح أعضاء الحزب يتوجسون خشية أن تتصدى سلطات الدولة العثمانية لهم بل كان أعضاء الحزب فى القاهرة يتخوفون من مطاردة الدولة العثمانية لهم وارسال من يقوم ضدهم بعمليات اغتيال .

جاءت لمحب الدين الخطيب رسالة من حقى العظم بتاريخ ٢١ يونيو ١٩١٤ يخبره فيها: أن مدير بوليس الاستانة والذى رتب مكيدة اغتيال شريف باشا فى باريس موجود الآن فى القاهرة بصورة خفية جدا وقد غير اسمه وانه ينتقل كل يوم من فندق الى آخر لاخفاء اثره .. ولا يعلم أحد بوجوده فيها، وتساءل حقى لماذا هذا التخفى وهذا التكتم ؟ « أليس لأن الرجل نوى أن يرتب مكيدة أخرى هنا ؟ وهذه المكيدة لا تكون الا ضد احدنا نحن اللامركزيين لأن المعارضين الأتراك هنا لا يشتغلون الآن بالسياسة ولا قدرة لهم على الاشتغال بها فالايقاع بهم لا فائدة منه بل يضر الاتحاديين اذن المكيدة هى ضدنا ولا ريب .» .

وقد اخبرنا الحكومة وسحبنا تلغراف الى الوكالة البريطانية امس وبلغت المحافظة أيضا اليوم وستكتب الجرائد .

واحتفظ الخطيب بمحاضر مجالس ادارة الحزب فقد كان هو الذى يتولى تدوينها ولديه مئات الوثائق عن هذا الحزب ومكاتباته وقراراته .

اخذ الخطيب على عاتقه أمر الدفاع عن مبادىء الحزب ونشر بياناته والطعن فى مبدأ مركزية الحكم الذى اتخذه الاتحاديون خطة

لهم والاشادة ببرنامج الحزب الذى نصت مادتاه الأولى والثانية أن الدولة العثمانية دولة دستورية نيابية وكل ولاية من ولاياتها على أساس اللامركزية الادارية . والسلطان هو الذى يعين الوالى وقاضى القضاة • وهذان يقومان كل منهما فى حدود دائرته بتعيين سائر موظفى الولاية . بعد اختيار مجلس الادارة لهم . ولا يجوز عزل موظف الا بحكم من مجلس التاديب •

وقضت مادتاه الرابعة والخامسة على أن يكون فى مركز كل ولاية مجلس عمومى ومجلس ادارة ومجلس معارف ومجلس أوقاف وتكون جميع قرارات المجلس العمومى نافذة • وأعطيت للمجالس العمومية للولايات المراقبة علىحكومتها والنظر فى جميع شئون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الدولة وأمور الأمن العام والمعارف والنافعة والأوقاف والبلدية وتقرير ما يراه فيها ومن النظام لها • وأما ماكان من أمور النافعة ويتعلق ببعض الوجوه بالأمور العسكرية أو السياسة الخارجية كالسكة الحديدية فيرفعها الى العاصمة •

وأخذ الخطيب ومعه رشيد رضا فى الطعن فى توسيع المأذونية التى وصفها الشيخ رشيد رضا بقوله انها ليست سوى توسيع لنطاق الاستبداد . لأنها عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين بأن يتصرفوا فى بعض الأمور بدون اذن من وزارة الداخلية فهى تستلزم قلة المسئولية واتاحة الجرأة على الاستبداد بأنها ليست سوى توسيع للسلطة الشخصية(٢٤) •

ويلاحظ فى برنامج الحزب انطباقا يكاد يكون تاما مع آراء البرنس صباح الدين وتماثل شديد بينه وبين برنامج حزب الحرية والائتلاف الذى تأسس فى نوفمبر ١٩١١ • كان هناك تقارب بين

---

(٢٤) المنار مجلد ١٦ ج ٤ ص ٢٧٥ نقلا عن برو ص ٤٤٨ •

محب الدين الخطيب ورفيق العظم صديقه منذ سنة ١٩٠٨ مع صباح الدين هذا ففى رســــالة من رفيق العظم اليه عندما كان الخطيب بالحديدة بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٠٨ يبدى لهرفيق تخوفه من جماعة الاتحاد والترقى بينما يبدى له ارتياحه من مسلك صباح الدين(٢٥) ٠

لكن حزب اللامركزية يزيد على حزب الحرية والائتلاف بكونه أكثر وضوحا في تحديد حقوق العناصر وفى اعطائه صلاحيات واسعة للمجالس المحلية فى ادارة شئون الولاية واعطاء مجلس الادارة حق انتقاء جميع موظفى الولاية عدا الوالى وقاضى القضاة ٠

وشرع الخطيب قلمه فى نشر المقالات التى تطلب الاصلاح على قاعدة اللامركزية وفى التعاون مع الجمعيات الاصــــلاحية العربية الأخرى وخاصة جمعية بيروت الاصلاحية فقد أرسل الحزب رسالة ، فقد وجدت فى أوراقه رسالة أرسلها حزب اللامركزية الى جمعية بيروت الاصلاحية فى ٨ يناير ١٩١٣ وفيها يبدى سروره من نشاط تلك الجمعية ويقدم لتلك الجمعية برنامج الحزب لعله يكون دليل عمل لها ويفيدها ، انه قرر انابة عبد الكريم الخليل لايصال البرنامج الى الجمعية الذى سوف يوضع تحت تصرفها ليستوضحوا ما تود الاستيضاح منه ٠

فقد أراد حزب اللامركزية أن يعمل بالتعاون والتنســـيق مع جمعية بيروت الاصلاحية حين رأى أن جوهر الدعوة فى الاثنين واحد وهو توسيع اللامركزية واصلاح أحوال الولايات وان تكون للمجالس العمومية صلاحية الاشــراف على جميع أعمال الادارة المحلية ، لكن الوقت لم يتسع أمام أعضاء جمعية بيروت فما أن انتهت من وضع لائحتها حتى قام الاتحاديون بانقلابهم فى ٢٣ يناير ١٩١٣ الذى أطاح بالحكومة الائتلافية برئاسة كامل باشا بعد عودة أنور من

---

(٢٥) أنظر الملاحق ٠

طرابلس يعلن هزيمة الدولة أمام دول البلقان • وأسرع الخطيب يكتب هذه البرقية باسم رفيق العظم رئيس الحزب الى والى بيروت « السوريون هنا مستاءون من مصادرتكم للجنة بيروت الاصلاحية المؤلفة بوجه قانونى » •

وكلف حزب اللامركزية الخطيب أن يعد الابحاث المختلفة عن أهمية الاصلاح فى ظل اللامركزية • كما عهد اليه بطبع منشورات الحزب ودعواته للاعضاء ورسائله وشرح برامجه كما عهد اليه حفظ سجل محاضر الحزب وتعاون الخطيب مع زملائه رفيق العظم وحقى العظم والدكتور شبلى شميل فى نشر المقالات بطلب الاصلاح على قاعدة اللامركزية •

لكن الخطيب كان له دور آخر هام فالى جانب عضويته فى حزب اللامركزية كان معتمد العربية الفتاة فى مصر • يقول فى أوراقه : وكنت فى الوقت نفسه معتمد العربية الفتاة فى مصر ترسل الى منشوراتها من باريس فاطبعها وأرسل اليها ما أرسله وأوزع على البلاد العثمانية ما أوزعه(٢٦) •

ومن أهم ما تكشف عنه الوثائق الموجودة عند الأستاذ الخطيب أن جمعية العربية الفتاة لم تتشكل سنة ١٩١١ كما يذكر الاستاذ محمد عزة دروزة فى بحثه حول الحركة العربية الحديثة وانما بدأت قبل ذلك بكثير(٢٧) •

فالأستاذ الخطيب يحتفظ عنده بوثيقة فيها أسماء الاعضـــاء المؤسسيين للعربية الفتاة وبلدهم وتاريخ انتسابهم وملاحظات حول كل عضو وعما اذاكان هذا قد دخل كعضو مؤسس بطريقة مباشرة أو بواسطة أحد الأعضاء على النحو التالى :

---

(٢٦) مخطوطه بعنوان الجيل الذى عاصر بعث العروبة •

(٢٧) محمد عزة دروزة حول الحركة العربية الحديثة جـ ١ ص ٢٧ •

الرقم المتسلسل	الأساس	البلدة	تاريخ الانتساب	واسطة الانتساب	ملاحظات بالرصاص
١	توفيق الناطور	بيروت	١٤ـ١١ـ١٩٠٩	مؤسس	حقوقي ليسانس باريس
٢	محمد رستم حيدر	بعلبك	١٤ـ١١ـ١٩٠٩	مؤسس	مدرسة الحقوق السياسية بباريس والتاريخ والجغرافيا بالسوربون ·
٣	مصطفى الكيلانى	حماه	١٤ـ١١ـ١٩٠٩	مؤسس	زراعى غرينوبل
٤	عونى عبد الهادى	نابلس	١٤ـ١١ـ١٩٠٩	مؤسس	

وفى هذا المخطوط الذى يحتفظ به الاستاذ الخطيب لم يكن قد درج اسم الأستاذ عونى عبد الهادى فعدل رقمه ليصبح رقمه المسلسل ٤ ويعدل رقم من بعده حسين صبرى الخوجة ليصبح رقم ٥ وكذلك بالنسبة لمحمد المحمصانى الذى أصبح رقمه ٦ قبل توفيق التميمى الذى حمل رقم ٧ ·

وهكذا تسلسل الاسماء حتى نصل الى رقم ٢٤ نجد اسم الأستاذ محب الدين الخطيب وكتب امامه دخل عضوا مؤسسا عن طريق عبد الغنى العريس بالمكاتبة ·

ويحتفظ الاستاذ الخطيب بمجموعة كبيرة من الوثائق عن العربية الفتاة ، فالى جانب هذا الدفتر السابق الاشارة اليه والذى يحمل اسماء الأعضاء المؤسسيين وتاريخ انتسابهم لديه مخطوط مكتوب بالرصاص لصيغة القسم الذى يقسم عليه الأعضاء والذى قسمه الخطيب بالمراسلة من القاهرة وأرسل بذلك الى باريس فقبل عضوا فلديه وثيقة تفيد قبوله عضوا بالجمعية والرسالة من عبدالغنى

العريس · كتب له العريس من باريس فى ٧ (شباط) فبراير ١٩١٣ يقول له :

أيها الأخ

قرىء قسمك فى جلسة ١ شباط ١٩١٣ فقبل وسجل اسمك مع الاخوان وقرر المركز أن يطلق عدد ٢٨ عليك منذ ذلك التاريخ فاقبل تحية اخوانك والسلام عليك ٠

كانت الجمعية كجمعية سرية قد اعطت لكل رقما سريا فى التخاطب والمكاتبات ٠ فعبد الغنى العريس كان يكاتب الخطيب الأول رقمه ٢١ والخطيب رقمه ٢٨ كذلك جاءته التعليمات التالية : لتكن كل مخابراتك من تحارير وغيرها هكذا العنوان : ع٠ف A.F. وألا يرسل شيئا فى البريد العثمانى وتحت هذه الكلمة ثلاثة خطوط لزيادة التنبيه بشأنها ٠

كان من شروط العضو المنتمى الى العربية أن يكون كتوما مخلصا مؤمنا بالعقيدة القومية العـــربية مطيعا لقرارات الأكثرية بدون قيد ولا شرط ٠ ولم يكن من الميسور حسبما تكشف عنه أوراق الجمعية قبول اى عضو فقد كان يقدم عنه تقريرا حتى اذا٠ما درس الدراسة الوافية واستوثقت الجمعية من أهليته صدر القرار بقبول انتسابه مبدئيا ثم عهد الى شخصين هما مقدمه واحد الأعضـــاء بدراسة كافة أحواله وملابساته ونزعاته فى مبادئه الوطنية ثم صلابة أخلاقه ومتى تم هذا كله دعى الى تأديه القســـم أمامها فقط وهو لا يعرف من أعضاء الجمعية غيرهما ٠

وكانت معظم الرسائل التى جاءت له من الجمعية فى باريس تفيده عن اخبارها اولا باول وتدعوه الى التزام السرية التامة فى مكاتباته وتعول عليه فى طبع منشوراتها ٠

كان العضو يقسم بالله ويشرفه أن يسعى فى تاييد غاية ماتصبو اليه أمته وهى الاستقلال العربى التام والسعى فى جعل الأمة العربية فى مصاف الأمم الحية ٠ وان يقسم بالله وبشرفه وكذلك ان يحافظ على أسرار جمعيته ويفضل مصلحتها ومصلحة اخوانه فيها على كل مصلحة سواها ٠ وان يطبع قانونها وأوامرها والا يحنث بيمينه والله على ما يقول شهيد ٠

وفى الوثائق التى لديه نجد الدستور الذى وضعه أعضاء الجمعية منهاجا لعملهم وان هدف انجمعية هو الاحتفاظ للأمة العربية بحقوقها الطبيعية وتقول المادة الأولى من الدستور ان هدف الفتاة هو النهوض بالأمة العربية الى مصاف الأمم الحية ويرى أعضاء الجمعية ان ذلك هو ماينبغى عليهم عمله فهم يقررون فى مقدمة دستورهم حقيقة واقع الأمة العربية وهى انها فى مؤخرة الأمم الحية وانه لكى تحافظ على حقوقها الطبيعية فذلك واجب المفكرين من أبناء هذه الأمة ٠

احست هذه الجمعية ان الأمة العربية تحتاج الى من يحركها ومن يصرخ فيها ليبعث فيها الحياة ومن هنا اخذت تصدر المنشورات التى تحمل اسم الصرخة ٠

فلقد اصدرت الجمعية ثلاث منشورات باسم الصرخات الثلاث كل منها مزيل بختم الجمعية الذى يتكون من نخلتين متعانقتين يظلان الأحرف الأولى من رسم الجمعية ج٠ع٠ف وتاريخ نشوء هذه الجمعية سنة ١٩٠٩ وظل ذلك خاتم الجمعية حتى وجهت الجمعية رسالة الى محب الدين الخطيب ان يسارع بعمل خاتم جديد لها وذلك فى ٢٥ (نيسان) أبريل ١٩١٤ وأن يجمع بين النخلة والصقر بدلا من الحرفين ع٠ف٠ وان يكون الصقر مادا جناحيه وصاعدا من الأرض الى الشجرة دليل النهوض ٠ وفى الصرخة الأولى دعوة الى ماتراه الجمعية فى نظام الحكم فجلالة السلطان يراس القوة الاجرائية وهى الصدارة والمشيخة ونظارات والخارجية والحربية والبحرية والعدلية والمالية والبريد والتجارة والسكك الحديدية والجمارك ووظيفة « المبعوثان » والأعيان والولايات يكون على رأس كل منها رئيس يعينه السلطان من أهل البلاد ومجلس نيابى ينتخبه أهلها

وتنبه هذه الصرخة الاتحاديين الى خطر تغافلهم . فنحن من العرب بالقوة المانعة والمادة المترعة تربطنا الرابطة الجميلة فى أقطار العرب ، فان نادينا كانوا درعنا الأقوى وان انتدبنا كانوا صرحنا المنيع ، فرجاؤنا من أهل الراى فى الدولة لا يضطرونا الى أن نوجه أبصارنا حيث لا يشتهون ويدفعونا الى أن نعقد حياتنا على مايرغبون ٠٠ هذا ما نقوله والعاقل من انتصف لنفسه قبل ان ينتصف لغيره

أما المنشور الثانى الذى أصدرته جمعية العربية الفتاة باسم الصرخة الثانية والمحفوظ لدى الأستاذ الخطيب فكان نداء موجها الى أبناء العرب تبث الجمعية فيهم وتثيرهم وتنبهم أن الحياة المجيدة تتطلب من العنصر لمحيد ان تكون منزلته . ان تكون له ذات ، ان تكون له خاصية ، أن تكون له جنسية فانتم لا خاصية تحفظون ولا كرامة ترعون ، تحشرون كالسوائم ان وجدت مرعى أكلت وان فقدته أنت غيا للاّبى تتجافى عليه المنازل ٠

وما فى هذه الصرخة أشبه كثيرا بما جاء فى كتابات الكواكبى التى خاطب قومه بأسلوب فى منتهى الشدة فى كتابه طبائع الاستبداد والمعروف ان كتابات الكواكبى كانت كما يذكر الخطيب هى المنهل الذى نهل منه الشباب العربى الشىء الكثير ٠

ثم يوضح المنشور اضرار الحكم المركزى فنحن نســـتحلفكم ـ مخاطبا العرب ـ بالذى ربط قلوبكم على الاخاء الصميم وعقد نيات امرائكم على الدفاع اشريف أن يتعالى كل عربى مهما انحطت درجته الى ضعف جامعته ، وان يتنزل مهما تسامت مرتبته الى نصرة جنسيته ويتبين البيان ان الغاية منه ان يفهم ابناء الأمة العربية حقيقة التاريخ الحاضر فيعلموا أن الدولة العلية أصبحت لا تستطيع أن ترد عنهم غارة المغيرين وتضرب مثلا ضياع طرابلس وفشل الدولة فى البلقان ٠

وتدعو الجمعية أبناء العرب الى تناسى الطائفية وأن النزعات الدينية أدوات كانت تتخذها العاصمة لتفريق شمل العرب اجمعين ، فليكن كل المسحيين فى هذه الحركة موحدين فى جنسيتهم مع اليهود والمسلمين فالجنسية قد أوجدتهم قبل وجود الأديان ٠

أما الصرخة الثالثة ففيها هجوم شديد على الاتحاديين والدولة التركية وكان ذلك أمرا طبيعيا ذلك أنها صدرت بعد نكث الاتحاديين بما وعدوا به من اصــــلاحات للبلاد العــــربية بعد مؤتمر باريس فالجمعية فى هذا المنشور تدعو الى الانفصال وتضرب مثلا بدولة اليونان التى انفصلت على الدولة فاصبحت أرقى من الترك بدرجات

.. والجيل الأسود فكان آية فى سرعة الانتظام ويقول المنشور : « وان ما قد كان لتلك العناصر التى انقذت نفسها من القبر التركى وجعلت لنفسها مكانة ومنزلة قد تكون لأمتنا العربية بل من المحقق ان يكون لاسيما ونحن اليوم أرقى من تلك الأمم البلقانية عندما نادت بحقها طالبا لنفسها الحياة ولا غرو فان من يتخذ من الدول الأوروبية ظهرا بالغ حقه ..

وتكشف مكاتبات الخطيب خلال هذه الفترة تالمه من الانقسام الواضح بين ابناء الأمة العربية وما سادهم من روح التعصب التى فرقت شملهم .

ولذلك يسعد الخطيب كل السعادة حين يؤسس رشيد رضا دار الدعوة والارشاد سنة ١٩١٢ فقد راى ان العمل فى انشاء هذا الدار من الوسائل الهامة لعلاج الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية التى حاقت بالمسلمين فى وقتهم الحاضر . كان رشيد رضا قد وضع فى مشروع مدرسته ان يختار طلبة هذه المدارس من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الاقطار ويفضل الذين هم فى أشد الحاجة الى العلم على غيرهم كاهل جاوه والصين وتقوم المدرسة بتدريبهم على آداب الاسلام واخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من يثبت عليه الكذب او اظهار العصبية الجنسية أو المذهب وارتكاب شىء من المعاصى .

ويدعى الخطيب الى ان يكون أحد أساتذة هذه المدرسة يقول فى مذكراته « وأسس السيد رشيد رضا دار الدعوة والارشاد واتخذوا لها مكانا فى قصر شريف باشا على يمين الداخل الى جزيرة الروضة من كوبرى الملك الصالح واختارونى مدرسا للجيولوجيا وبدأت التدريس بنمط جديد لفت نظر طلبة هذه المدرسة الدينية الاسلامية الى سرائر الله فى الكون وتكوينه وكان من طلبة تلك المدرسة الحاج أمين الحسينى ويوسف ياسين ومحمد الشريفى وآخرون صاروا فيما بعد كلهم علماء وكلهم يقولون لى حتى الآن أنت استاذنا للمحبة

التى اســتطعت أن أعقــدها بين قلبى وقلوبهم مدة الدراســة وبعدها(٢٨) .

وخلال ذلك نشطت الدعوة الى عقد المؤتمر العربى فى باريس . وقد لقيت فكرة عقد هذا المؤتمر ترحيبا كبيرا بين السوريين المغتربين ويتضح ذلك من الرسائل العديدة التى يحتفظ بها الأستاذ الخطيب يؤيد مرسلوها من أمريكا الشمالية واللاتينية فكرة عقد المؤتمر .. وكان اول ما اقدمت عليه لجنة اعداد المؤتمر التى عهد بأمانة سرها الى عبد الغنى العريسى أن ترتبط بحزب اللامركزية فى مصر وكان ذلك فى جلسة ١١ مارس ١٩١٣ ثم أرسلت فى ٤ من أبريل من نفس العام كتابا الى اللجنة العليا للحزب تعرض عليه ان تكون للجنة الحزب قيادة المؤتمر . ويجد الباحث تفصيلا لاعمال المؤتمر فى الكتاب الذى جمعه محب الدين الخطيب وطبعه فى مطبعة البوسفور سنة ١٩١٣ باسم المؤتمر العربى الأول . كاتب عبد الغنى العريسى محب الدين فى نفس التاريخ الذى قررت فيه لجنة المؤتمر الاتصال بحزب اللامركزية (٤ ابريل سنة ١٩١٩) يقول له :

نحن قررنا أن نلتحق بكم لنكون يدا واحدة فى العمل . وكان العريسى قد كاتب الخطيب قبل ذلك فى ٢٠ (آذار) مارس ســنة ١٩١٣ وهو فى الطريق الى لوزان من اعمال ســويسره ليرتاح قليلا من عناء الدرس يتعجل طبع منشور على صفحة واحدة يلتمس أن يطبع له الخطيب منه ألف وخمسمائة نسخة ، وأرسل له يرجو أن يصل النسخ سريعا .

ويقول له لا حاجة لأن اشرح لك خطورة عقد مؤتمر للعرب فى هذا البلد (باريس) فقد كتبت لاخوان فى مصر ولا أخالك الا قد اطلعت على الغاية .

وفى اليوم التالى لتلك الرسالة كان عبد الغنى العريسى قد وصل الى ديجون فى طريقه الى سويسرا مسطرا رسالة أخرى الى

---

(٢٨) مخطوط لمحب الدين : الجيل الذى عاصر بعث العروبة .

الخطيب بتاريخ ٢١ (آذار) مارس ١٩١٣ يسأله عن طبع المنشور ويقول له أوعز الينا رفيق بك (العظم) ان شفيق بك المؤيد يرغب فى حضوره فعليك بتشـجيعه ونحن سـنكتب اليه والى المركز لأجل هذه الغاية وسنربط بالحزب رسميا وسـنكتب اليه فى هذا الأسبوع ونقرر فى احدى جلسات لجنة المؤتمر ان لجنة المؤتمر هى التى تقوم به فى الظاهر وأما فى الحقيقة فهى عصابتنا التى تقوم به فى الخفاء كما تقرر فى جلساتنا الرسمية . اذا كان لديك بعض الاخوان ممن يعتمدون عليهم فى صدقهم وأمانتهم ورزانتهم فلكم ان تقدموا اسمه الى مركز جمعيتنا (ت) واسطتى سيكون لكم عونا فى أعمالها فى مصر . تقبل خالص أمانى والسلام عليك ، أخوك (٢١) وهو الرقم السرى لعبد الغنى العريسى .

كتب العريسى فى الرابع من ابريل سنة ١٩١٣ الى محب الدين الخطيب أن يشجع عبد الحميد الزهراوى فى الحضور لرئاسة لجنة المؤتمر وان يكون فى استطاعته المجىء « فعليكم بشفيق بك وآخر ينوب عن ولاية سورية كحقى بك » .

وبين أوراق الخطيب دعوة موجهة له من اللجنة العليا لحزب اللامركزية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩١٣ وتدعوه لحضور اجتماعها والمذاكرة فى خطه المندوبين (الى مؤتمر باريس) وتلتمس اللجنة أن يحضر معه سجل المحاضر لاستخراج صورة من قرار انتخاب عبدالحميد افندى الزهراوى واسكندر بك عمون كمندوبين للمؤتمر السـورى العـربى وأبرق الحزب الى المؤتمر بعد ذلك ما يفيد انتخاب هذه العضوين عنه كما أرسل رفيق العظم الى ندرة مطران من أعضاء المؤتمر يخبره عن « أن سفر مندوبى الحزب سيتم فى أول باخرة قادمة من بورسعيد أو اسكندرية بعد يوم الخميس القادم ٢٢ مايو » .

وانعقد مؤتمر باريس ثم كانت مفاوضة الاتحاديين لأعضـاء المؤتمر وصدور الارادة السلطانية بالاصلاحات التى جاءت اقل من الشروط المتفق عليها مع المؤتمر ازاء ذلك لم يسع حزب اللامركزية السكوت فأصدر بيانا الى الشعب العربى فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٣

شرح فيه حاجة الأمة الى اللامركزية وعددفوائدها مشبها النظام المركزى بوضع أسرة يعيش أفرادها على جهود رب الأسرة دون أن نترك لهم الفرصة للاعتماد على النفس ، حتى اذا توفى ربها هلك أعضاؤها . وبين كيف أن الحزب رضى بشروط اتفاقية باريس مع كونها دون برنامج الحزب ثم كيف صدرت الارادة السنية وهى أيضا اقل من الشروط المتفق عليها بل كانت صورة مشوهة عنها . وفى ٤ يناير سنة ١٩١٤ صدرت الارادة السنية بتعيين الزهراوى وستة آخرين من العرب فى مجلس الأعيان . ولعل أهم ما قام به الخطيب فى هذه الفترة هى محاولة رأب الصدع الذى أحاط بحزب اللامركزية ازاء هذا الأمر . فلقد انبرى حقى العظم سكرتير الحزب يحمل حملة شعواء على الزهراوى لكن الحزب حاول أن يلتمس للزهراوى العذر .

ولعل من أهم وثائق الحزب محاضر الجلسة التى عقدها الحزب بتاريخ الخميس ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

وبدأ رشيد رضا يعرض على الحاضرين فيها ما كتب فى الجرائد من اعتراض بعض شبان العرب فى الأستانة على قبول عبد الحميد الزهراوى عضوية الأعيان قبل تنفيذ الحكومة للاصلاح الذى وعدت به العرب . وانه جاءته عدة مكتوبات عن الأستانة وبيروت فيها بيان حقيقة الحال بعضها من السيد الزهراوى وبعضها من غيره . وجاءته رسائل الشيخ اسماعيل الحافظ الذى عين فى مجلس المعارف الأعلى ورئيسا للجنة التعليم باللغة العربية ، ومنها كتاب السيد عبد الغنى العريسى وملحقا لأخبار الأستانة وبعض أولئك المعترضين لهم أهواء شخصية قال رشيد لا حاجة الى تسجيل اسمائهم فى محاضرنا وبعضهم اعترض برأى وحسن نية . وان جماعة العرب الذين فى الاستانة لا يرجى منهم عمل للعرب .

وقال رشيد ان الرجاء فى العمل قد انحصر فى جماعة حزبنا وانما يستحسن اخواننا فى بيروت مشاورتنا للسيد الزهراوى دوام الاتصال به . ويقول أخونا الزهراوى ان رجال الدولة الاتحاديين هم الذين بيدهم زمام الدولة لا معارض لهم فيها الآن وانه ليس أمامهم

الا جماعات الشعوب وهم العرب والأرمن والروم · ويصف حالة كل منهم بما لا يخفى علينا ولاسـيما حالنا · وقال ان هؤلاء الرجال يعترفون الآن باغلاطهم وخطاهم السابق فى حق العرب ويشعرون بالخطر الذى يهددهم من أوروبا وقد عزموا علىتجديد شباب الدولة بكل ما فى الوسع وأظهروا أنهم يحبون أن يتفقوا مع عقلاء العرب وفضلائهم ويتعاونوا ويعترفوا بحقوقهم · ويقول الزهراوى لرشيد رضا فى رسالته ان لديه أدلة وبراهين كثيرة تحمله على تصديق قولهم « وأننى اذا كنت لا أصدق فلى العذر ولكن هل الصواب فى هذه الحالة أن نتركهم وشأنهم وبيدهم الدولة كلها أم الصواب أن يكون هو فى المركز يقف على حقيقة الحكم ويطالب بمالم ينفذ من الاصلاح » ·ثم قرأ كتاب الشيخ اسماعيل وفيه أنه قال للاخوان فى المنتدى الأدبى على اعتراضهم على قبول السيدالزهراوى عضوية الأعيان أنه هو والسيد الزهراوى ما قبلا المنصب الا يقصد الاصرار على المطالبة بالاصلاح الذى يطلبه العرب وانه واثق بان السـيد الزهراوى يترك منصبه قطعا اذا ظهر أن تركه خير لأمته ·

ثم قال السيد رشيد رضـا لأعضـاء حزب اللامركزية فى اجتماعهم انه يرى أن رأس مال نجاح الأحزاب هى الثقة بالرجال العاملين والتمس منهم الثقة بالزهراوى ·

وهنا قال عضو الحزب اسكندر عمون ان أعضـاء المؤتمر العربى قرروا فى باريس ألا يقبل أحد الأعضاء التعيين فى وظيفة أو منصب الا بموافقة الجمعية المنتسب اليها ومعلوم ان السـيد عبد الحميد من أهم رجالنا ومادام قد تعين فينبغى ان نعلن ثقتنا فيه ·

ثم تحدث رفيق العظم فىالجلسة نفسها فأوضح ان اتفاقية باريس نفذت كلها الا اثنين منها · ولا ريب أن المجالس العمومية اليوم غيرها بالامس وآخر اعداد جرائد بيروت التى جاءتهم وارد منها أن امتيازات عظيمة وكبيرة أعلن مجلس عمومى بيروت تحويلها الى الأهـالى وانه لم تبق ولاية عـربية الا وفيها مدارس ثانوية (سلطانية) عربية · ثم ان كل معاملات الحكومة فىولاية سوريا

وغيرها صارت بالعربية تماما · وهذا كل ما اتفقوا عليه فى باريس قد نفذوه وبدأوا فى تنفيذه الا المسائل المتعلقة بالمالية وهذا شىء هم معذورون به « وليس من الانصاف أن لا نعذرهم على ذلك الآن ، ومع ذلك ينبغى أن نقول فى نياتنا اننا لانزال نطالب الحكومة فيما يتوقف عليه سعادة بلادنا » ·

لكن الأزمة لم تنته فمضى سـكرتير الحزب فى تهجمه على الزهراوى ، فقرر الحزب أن يستدعى الزهراوى من الاستانة وان ويعقد جلسة لدراسة الموقف · وعقد الحزب جلسة فى مساء يوم الجمعة ٢٤/٤/١٩١٤ اشتد فيها الموقف وظهرت الأزمة بصـورة عنيفة فاقترح رفيق العظم رئيس الحزب حل اللجنة المركزية للحزب · وهو الأمر الذى يتبعه حل الحزب ·

اعترض محب الدين الخطيب على ذلك بقوله ان الحزب ليس هو اللجنة واذا شاءت اللجنة أن تنحل فلتدع الجمعية العمومية وتعرض عليها استقالتها ليصير انتخاب غيرها أما اذا كان الرأى حل الحزب كله فيلزم عرض الفكرة على الجمعية العمومية أيضا ·

ودعا حقى العظم الى مضاعفة الحزب لنشاطه حتى تشـعر الجماهير بنشاط الحزب ويستعيد مكانته بعد موقفه من الزهراوى وكان رأيه « اما أن نعمل وننشط أو نحل الحزب » ·

واقترح رشيد رضا دعوة مؤتمر للحزب وفروعه وأن يكتب بذلك المركز الى الفروع ويسألهم الرأى فى عقد هذا المؤتمر · ولكن الخلاف بين رفيق العظم رئيس الحزب وحقى العظم سكرتيره لم تحل وانما ازدادت تعقيدا فيذكر الخطيب انه بعد كتابة مسـودة البيان الخاص بالدعوة الى المؤتمر رفض رفيق العظم توقيعه كرئيس للحـزب ورفض حقى العظم كذلك باعتباره مسـتقيلا من أعمال السكرتارية · وهنا بذل الخطيب جهده فى لم الشمل ويقول الخطيب : عندما علمت بهذا الوضع الذى شرحه لى حقى بك وطلب منى توقيع البيان بصفتى السكرتير الثانى للحزب تأكدت أن الخرق قد اتسـع بين حقى بك ورفيق بك الذى يرى أن للعمل أوقاتا لا يصلح ان يعمل

فى غيرها ونجح محب الدين الخطيب فى ذلك حيث عقدت لجنة الحزب جلسة ثانية بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩١٤ برئاسة رفيق العظم وحضرها حقى العظم ورشيد رضا واسكندر عمون وسليم عز الدين وصالح رضا ·

ولم يعقد المؤتمر فقد دهمت الحرب العالمية الأولى العالم بعد ذلك بفترة قصيرة وعندهادخلت الحركة العربية فى طور آخر ·

كان هذا التصدع الذى أصاب حزب اللامركزية قد جعله حزبا عاجزا عن عمل تحرك جديد بعد مؤتمر باريس ·وجاءت لمحب الدين الخطيب الرسائل من أعضاء حزب العربية الفتاة الذى انتقل مركزه الى بيروت ·أرسل له العريسى يفيده بذلك ويطلب منه أن يختار أربعة عشر عضوا أعضاء لمجلس شورى الحزب ويخبره أن المركز العام سوف يتفاوت عدده بين خمسة وسبعة ويرجوه عند وصول كتابه أن يختار أربعة عشر عضوا من الأسماء المذكورة ليؤلفوا مجلس الشورى الذين سيكون عليهم امداد المركز العام بالآراء عند الضرورة بحيث تبقى بقية الأعضاء فى جهل تام ·

أما هذه الأسماء فهى : عبد الغنى العريسى ، محمد رستم حيدر ، رفيق التميمى . عونى عبد الهادى ، محمد المحمصانى · عارف الشهابى ، بشير نصار ، توفيق الناطور . توفيق البساط . رفيق سلوم ، محب الدين الخطيب ، زكى التميمى ، الدكتور أحمد قدرى ، عبد الحفيظ العريسى ، جميل مردم ، ابراهيم حيدر ، ومحمد يوسف حيدر » ·

كذلك كاتبه محمد المحمصانى يدعوه الى دعوة اللامركزية لعمل مؤتمر فى القاهرة بعدمؤتمر باريس ويشكو له سوء الحالة ·

« كل من يهتمون بالمسائل العربية يعلم ماهو عليه القوم من السكون والجمود فى هذه الايام ولذا لا أطيل بهذا المعنى · · لكنى لم أعهد بطائفتنا قبل اليوم مثل هذا الخوار فى القوى والوهن فى العزائم والتلاشى فى الافكار وقد فقدوا الثقة من نفوسهم

فاستولى اليأس عليها والقنوط من المستقبل ولايتأمل فيهم متأمل قط الا ويخيل له أنهم سكان كهف أو أنهم فى عالم الأجداث والمقابر . هذا ولو ظلت الحال على هذا المنوال نخسر عما قريب كل ما ولدته حركة العام الماضى وما قبله حتى انه أصبح اليوم من الصعب انهاض الهمم الى عمل يتعلق بالحياة العامة . نحن كما تعلم بأمس الحاجة الى التاهب لدرء مايحيق بنا من الأخطار داخلا وخارجا بلا تردد ولاتربص فقد اتسع الخرق على الواقع والا جاءنا يوم والأيام حبالى يستحيل معه كل عمل . الحكومة العثمانية لا يرجى منها شيء ولكن الأمل بمواعيدها ولو كانت صادقة فيما وعدت به فانها لا تنفذه بل بالعكس فان بعض الامارات تدل على ان كل ما فعلته يرمى الى غاية : قرعا عقد جماعة الاصلاح .. فالحكمة تقضى أن تكون على حذر من الموقف العدائى الذى لا يبعد أن تتخذه الحكومة أما النتيجة التى أحب الوصول اليها والتى هى الغاية من تحريرى فهى : أن خبر الحركة ماكان فى سكون فانا قد فكرت طويلا ولا أزال أفكر مع بعض الأصدقاء بالوسائل التى تعيد للنفوس حماسها الأول ومن جملة ما نراه وأهمه عقد مؤتمر ثان فى مصر يقوم به الحزب اللامركزى بمثل ما جرى فى عقد المؤتمر الأول (باريس) ورسم الخطط اللازمة التى يجب أن تسير عليها الأحزاب العربية فى السنة الجديدة مع الاهتمام بدرس أهم مشاكلنا الحاضرة التى تتوقف عليها حياة الأمة المستقبلة . وقد استطلعت هنا كثيرا من الأفكار فوجدتها قابلة لمساعدة مثل هذا العمل وأنا على يقين من أن مؤتمرنا الثانى سوف يكون أكبر وأكثر أهمية من الأول نظرا لقربنا من البلاد ويمكننا مع مساعدة شعبكم أن نجعل المؤتمر يظهر بأكبر مظاهرة . فنحن نرى عقد المؤتمر ضرورى لأنه فضلا عن فوائده من جهات عديدة نكون به سرنا على سنة الأحزاب الراقية سياسية كانت أو غير سياسية . فأرجوك أن تتعاون مع اخواننا بهذا الشأن ولى كل الأمل أن الفكرة سوف تكون مقبولة وأنت تبذل جميع جهدها بتأييدها حتى اذا ما تقررت تخابرنا بكيفية تحقيقه .. » .

ولكن الخطيب لم يستطع أن يحقق فكرة عقد مؤتمر ثان للأحزاب والجمعيات العربية يعقد فى القاهرة على غرار مؤتمر باريس بسبب ما سبق توضيحه من الخلاف الداخلى فى حزب اللامركزية .

وكان من الأمور الهامة التي شغلت الخطيب في هذه الفترة السابقة على اندلاع الحرب العالمية الأولى قضـــية محــاكمة عزيز المصرى وما أثاره ذلك من رد فعل قوى لدى رجال الحركة العربية . فانبرى محب الدين الخطيب يكتب المقالات فى صحيفة المؤيد منددا بهذا العمل مثل ذلك مقالة بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩١٤ بعنوان عزيز المصرى درس مؤلم وعبرة مرة وبدأها بقوله :

جزاء سنمار جزائي على الهوى
وكان يمنيني وفاء الســـموئل

وتشكلت لجنة منه ومن حقى العظم وجهت الدعوة فى ٩ أبريل ١٩١٤ الى العديد من الشخصيات فى مصر لحضور الاجتماع الذى سيعقد فى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نفسه (الخميس) فى أعلى قهوة ســـبلندر للنظر فى اتخاذ التدابير اللازمة بشأن الحكم الصادر أخيرا على البطل عزيز المصرى وتأليف الوفود التى تتولى مقابلة أولياء الأمور والتوسل بالوسائل الفعالة لانقاذه .

وانعقد المؤتمر واتخذ القرارات الآتية :

١ ـ تأليف وفد من وجـــوه وأعيان القاهرة للذهاب حالا الى الوكالة البريطانية وادارات الصحف الكبرى من عربية وأفرنجية وطلب المساعدة منها لأجل عزيز .

٢ ـ ارسال تلغراف الى الجرائد الأفرنجية الكبرى والاشتراكية فى أوروبا وطلب معونتها بالطرق المناسبة وتلغراف آخر لجلالة السلطان ولجلالة ملك انكلترا .

٣ ـ ارسال تلغراف للتيمس وشكرها على كتاباتها السابقة والتماس مواصلتها الكتابة واستلفات انظار الشعب الانجليزى الى أن الشهود على عزيز كلهم أسافل متهمون بجرائم ويعرفهم المصريون الذين كانوا فى الحرب الطرابلسية وأن الذين أبوا الشهادة أوذوا وطردوا من الجيش(٢٩) .

---

(٢٩) أوراق الخطيب : غير منشورة .

وانعقدت المؤتمرات التى حضرها شيخ الجامع الأزهر وطائفة كبيرة من أكبر علمائه(٣٠) • وأرسـلت البرقيات الى السـلطان العثمانى بامضاء الأستاذ الأكبر • ونشط فرع جمعية العهد فى العراق يصدر المنشورات الثورية التى أرسلها الى الخطيب فقد أصدر منشورا ثوريا بعنوان : عبرة بالغة للمبتلين بالتبعية التركية أن يعتبروا بها • وابتدأ المنشور يشرح قضية عزيز المصرى ويبين كيف أن الأتراك انصفوا الضابط التركى أنور بينما انتقموا من الضابط العربى الذى قدم لهم الخدمات عشرين عاما • ثم يشير المنشور الى أن الدولة العثمانية لم تقاتل أية دولة من الدول منذ مائة عام سوى الدول العربية والاسلامية ، فى اليمن والعراق والكرك وحوران وبلاد الأرناؤوط وبلاد الأكراد • أما الدول الأجانب فكانوا يحلون عليها الحرب وتقف أمامهم موقف الدفاع • والمنشور كله نداء ثورى يدعو العرب الى الثورة ويحرض المنشور على اغتيال الولاة فى الولايات العربية حتى يأبى الولاة الأتراك تعيينهم فى الولايات العربية ••

ثم يخاطب البيان السوريين : قوموا قومة رجل واحد وانفضوا الذل والمسكنة عن ظهوركم وألفوا منكم عصابات قوية واقتلوا كل من تجدونه فى بلادكم من رجال الدولة التركية الظالمة والحقوا بهم أيضا كل من يساعدها من العرب انفسهم . اقتلوهم لأنهم خربوا بلادكم افقروا أوطانكم .قتلوا رجالكم . نهبوا أموالكم ، سبوا نساءكم ، يتموا أطفالكم . ضبعوا حقوقكم وهم اليوم يسـعون لاخراجكم من أوطانكم فمثلوا بهم أنتم أيضا خير تمثيل ولكن حاذروا أن تمسوا النساء والأطفال منهم •

ونجحت المساعى وأفرج عن عزيز المصرى كما هو معروف فكان الخطيب من بين اللجنة التى نظمت حفل استقباله عند وصوله الى القاهرة وفى مقدمة مستقبليه • فقد نظمت اللجنة الدائمة للدفاع عن عزيز المصرى حفل الاستقبال فى محطة العاصـمة وأعلن فى

---

(٣٠) المنار ج ع ١٧ ص ١٢٣ •

الجرائد عن موعد وصوله ونظم له الاحتفال اللائق به كبطل عربى ·
ويوضح ذلك الأوراق الموجودة عنده فى هذا الخصوص ·

خلال ذلك كان الخطيب يصدر منشوراته التى تبث الحماس فى نفوس أبناء أمته العربية بعنوان الى الأمة العربية ـ الوطن فى خطر ـ نحن الآن فى شقاء البلاد فرغت من الرجال ومن النقود · قدمنا أولادنا للعسكرية وأموالنا للأستانة لأجل أن ترقى الدولة فكان ارتقاؤها الى أسفل ·

« والآن أمسينا وبيننا وبين رجال الأستانة سوء تفاهم · نحن نعتقد أنهم اخواننا وهم فى الظاهر يضحكون علينا وفى الواقع يرون أننا عبيدهم وأن لهم أن يمنعونا حقوقا وهبها الله · وأن يخرسوا السنة أنطقها الله ·وأن يعصروا من بلادنا خيراتها فيسقوا بها جوف الأستانة التى لا يمتلىء وبطون رجالها التى لا تشبع ··

وكان اعلان الحرب العالمية الأولى بعد ذلك ·

الفصـــل الرابـــع

اعتقــاله فى البصـــرة

من المعروف أن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب العالمية الأولى حين أعلنت مباشرة برغم أن الصلات كانت وثيقة بينها وبين الألمان سواء فى المجالات العسكرية أو الاقتصادية • فهناك البعثة العسكرية الألمانية التى وصلت اليها منذ ديسمبر ١٩١٣ تحت قيادة ليمان فون ساندرز أو مشروعات السكك الحديدية والبنوك وغيرها • وكان لأنور باشا دوره الكبير فى تقوية النفوذ الألمانى •

ود رجال الحركة العـــربية فى هذه الأثنـــاء ان تظل الدولة العثمانية على موقفها المحايد يقول الخطيب فى أوراقه : كنا نتمنى لو أنها (الدولة العثمانية) حافظت على الحياد فلم تكن مع أى فريق لتجنب البلاد ويلات الحرب من جهة ، ولأننا وهذا مهم جداً وأحب أن أسجله ـ كنا نرى أن القومية العربية فى دور المخاض ، وأنها لم تولد بعد ، وأنها تحتاج الى مدة أخرى طويلة لتستطيع ان تحبو ثم ان تقف على قدميها •

ويمضى الخطيب يوضح انه لم يكن في العرب المسلمين عاقل واحد يفكر في الانفصال عن الدولة العثمانية قبل أن يتم استعدادهم لهذا الانفصال ، لكنهم كانوا يريدون أن تعـــترف لهم الدولة بحق العرب فى الحياة • فيكون التعليم فى سوريا والعراق والحجاز وجميع بلاد العرب باللغة العربية وأن تكون العربية لغة رسمية فى البلاد العربية ، وأن يمثل العرب تمثيلا صادقا فى الوزارة ومجلس الأعيان وسائر المرافق • هذا ما كانوا يحاولون اقناع الاتحـــاد والترقى به بعد المؤتمر العربى الاول ، فى المحادثات التى كان يقوم بها الزهراوى من جانب ، وعبد الكريم من جانب ، وكل من أتيحت له فرصة الاتصال بالترك من سائر الجوانب ومن هؤلاء سليمان البستانى الذى كان وزيرا للزراعة ، وكانت المكاتبات بينه وبين رفيق بك العظم متواصلة عن محادثاته فى هذا الأمر ، ويصف الخطيب جماعة الاتحاد والترقى بأنهم كانوا مراوغين ، وحولوا هذه المعانى السامية الى ارضاء البعض ببعض الوظائف وكان العرب يتمنون لو اقتنعت الدولة بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة •

ويقول الخطيب وكنا نتساءل : لماذا لا نكون مع الترك كالمجر مع النمسويين ؟ أما الانفصال فلم يخطر ببالنا قط . لا لأن العروبة لا تستحق الاستقلال فانها أهل له أكثر من أى جنسية أخرى فى الدنيا ، ولكن لأن العروبة تخلت عن صناعة الحكم دهرا طويلا ، فهى تحتاج الى الوقت الكافى لتحذق هذه الصناعة مرة أخرى ، ولتسترد أخلاقها الأولى وثقتها بنفســـها فاذا تم ذلك تم كل شىء بنفسه بلا عنف ولا فتنة ، ولا تعرض لمشاكل أخرى داخلية وخارجية » •

وكتب الخطيب فى وثيقة أخرى لديه ، كانت الآراء متفقة ومتلاقية على أن مصلحة العالم الاسلامى والأقطار العربية ، فى ملحمة الحرب العالمية الأولى هى الوقوف على الحيـــاد ، وترك الفريقين المتنازعين على استعمار الأرض واســـتعباد الأمم يحطم بعضهم بعضا[1] •

---

(1) أوراق الخطيب وكذلك رسالة دكتوراه ، سهيلة الريماوى : الحياة الحزبية فى سوريا ١٩٠٨ ، ١٩٢٠ •

وكان الراى الغالب لدى رجال الأحزاب والجمعيات العربية سواء العربية الفتاة أو المركزية وغيرها عدم تصفية الحساب مع الدولة العثمانية فى هذه الحرب • كتب أحمد مختار بيهم أحد زعماء بيروت الاصلاحيين وعضو مؤتمر باريس العربى بتاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ أى قبل خمسة أيام فقط من دخول الدولة العثمانية الحرب ، ألغينا أحزابنا السياسية ، وتناسينا اختلافاتنا الداخلية لأن المصلحة المشتركة تقضى بذلك • وسوف يرى اخواننا الترك ولاسيما الاتحاديون من أعمالنا فى هذه الحرب ما يظهر لهم عظم اخلاصـنا للعرض العثمانى وتفانينا فى خدمة الوطن المشترك • ونحن الآن على أحسن مايرام مع حزب الحكومة الذى أظهر وطنية عظيمة فى هذه الأزمة الشديدة وسنظل كذلك ان شاء الله الى الأبد(٢) •

ويرسل رشيد رضا رسائل الى من يثق بهم فى سوريا يحثهم على الولاء للحكومة ونشر فى جريدة الأهرام فى ٢٦ سبتمبر ١٩١٤ خطابا عاما نشر خلاصته فى المنار قائلا انه يثبته فيها ليكون وثيقة تاريخية بعد أن منعت الحكومة العثمانية دخول الجرائد المصرية الى مملكتها وفى هذه الرسالة يشكر رشيد رضا السوريين على اخلاصهم وطاعتهم للدولة وكفهم عن طلب الاصلاح منها وتقديرا لأحوالها الحاضرة ، حتى انكم ساهمتم فى هذا أرقى أمم الأرض التى سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية •• »(٣) •

وبدأت الأحزاب العربية تفكر فى الوضـع القائم وتخطط لما تتبعه • فلدى الأستاذ الخطيب وثيقة من حزب العربية الفتاة بعنوان « تعليمات عمومية مؤقتة فيما يجب عمله اذا دخلت الدولة العثمانية الحرب الأوروبية وصارت سوريا عرضة لخطر احتلال أجنبى » • ويتضمن خطة الحزب فى هذا المجال أنه يجب على كل اللجان العربية وقبل كل شىء أن تتعرف بجميع من فى البلاد من ضباط العرب

---

(٢) أسعد داغر ، ثورة العرب ص ١١٥ نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربيـة ص ٩٨ أمين سعيد ـ ج ١ ص ٥٧ •

(٣) ارجع الى المنار مجلد ١٧ ج ١٢ بتاريخ ١٩١٤/١١/١٨ ص ٩٥٥ •

النظاميين والجندرمة سواء فى ذلك العاملون منهم أو المتقاعدون والمستقبلون ـ ومجموع طلاب المدارس العربية من أبناء العرب ، وأن تتألفهم وتأخذ عليهم العهود بالاخلاص للحركة العربية والدفاع الوطنى حتى نستوثق من أنهم أصبحوا قوة لها وللوطن وتأخذ الوسائل الكافية لاعتصام هؤلاء الضباط فى الأمكنة الأمينة التى تمكنهم من عمل مايجب عليهم ٠

ويرى الحزب ضرورة تأليف لجنة مركزية فى احدى البلاد السورية الآمنة من الضباط والملكيين وتضع برنامجا بكيفية قيام هؤلاء الضباط بتنظيم أمورهم العسكرية لأجل الدفاع الوطنى وحفظ الأمن فى البلاد وادارة الأحكام العرفية عند الحاجة اليها وتشكيل عصابات من البدو والنصيرية وغيرهم على حسب الحاجة التى تقدرونها والحوادث التى يحتمل حدوثها ولأجل تنظيم الحكومة المؤقتة بحيث لا تبدأ الحركة مالم يتمن الأشخاص ٠ وعلى كل لجنة أن تبذل منتهى السعى لتوسيع تشكيلاتها وتكثيره سواء الرجال العاملين فيها وتنظيم ماليتها ، واتخاذ كل ذى قوة فى البلاد نصيرا وأن تؤسس فروعا أخرى فى البلاد والعصبيات والقرى التابعة للمكان الموجودة هى فيه ، وأن يكون لها مركز أساسى فى سوريا كما يكون هو الواسطة بينهاوبين المركز العام ٠

وتضمنت توجيهات الحزب ارسال أشخاص اكفاء الى رؤساء القبائل العربية القريبة من المدن لتفهيمهم خطر الموقف والاتفاق معهم على المساعدة فى الدفاع الوطنى والاستقلال عند أول نداء يوجه اليهم(٤) ٠

أما حزب اللامركزية فكان يرى ضرورة تجنب دخول الدولة العثمانية الحرب لأنها على حد قول رفيق العظم رئيسه : لو دخلت فى هذه الحرب كانت نهاية أجلها ولاسيما اذا تحقق النصر للاتفاق الثلاثى واندفعت أطماع الروس وغيرهم من الحلفاء الى حل المسألة

---

(٤) أوراق الخطيب الخاصة بالعربية الفتاة ٠

الشرقية . وطلب الحزب من فروعه اجابة سريعة على عدد القوة الموجودة عنده والتى يمكن الارتكاز عليها عند الحاجة لعمل عام وماهى المساعدة المادية التى يمكن للفروع بها اسعاف المركز والأماكن الآمنة لفرد أو أكثر ممن يناط بهم ادارة الحركة الوطنية وتأمين معيشتهم وعما اذا كان لديهم امكانية ارسال شخص يثق الفرع فيه الى جهة يعينها المركز ليتلقى من هذه الجهة التعليمات اللازمة واذا استحال للفرع ارسال شخص للمركز لهذا الخصوص فهل لديه الاستعداد لاستقبال موفدين من قبل المركز .

وقال الحزب فى بيانه ، علينا معاشر العرب أن نفكر من الآن فى الوسائط التى تقى استقلالنا من الزوال ومن الواجب المقدس على حزبنا الذى له نوع من التشكيلات وكل أفراده من أهل الوطنية الصادقة والغيرة على الوطن والحرص على سلامة الاستقلال أن يكون فى مقدمة المفكرين فى هذا الأمر العامل على اتخاذ الوسائط الناجحة لسلامة الوطن وحياة بنيه .

لم يكن حزب الفتاة واللامركزية هما الحزبان الوحيدان اللذان بدءا التفكير فيما ينبغى عمله فقد كان هناك بالاضافة اليهما حزب الجامعة العربية .

أسس رشيد رضا هذا الحزب فى القاهرة بعد اعلان المشروطية وذهابه الى دمشق وما حدث له فى الجامع الأموى فيها من اعتداء عليه مما سبق ذكره . ووصف الشيخ رشيد لهذه الحادثة بأنها فتنة مدبرة لأسباب تتعلق بانتخابات المبعوثين وأن الحكومة بدأت تتدخل فى حرية الانتخابات ولذلك امتعض وجهاء البلدة من جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها(٥) . وأحس السيد رشيد رضا كما احس رفيق العظم وغيره من رجال الحركة العربية أن حكومة الاتحاد والترقى سوف تكون على أيديهم انحلال الدولة العثمانية ..

---

(٥) المرجع السابق وكذلك ارجع إلى المنار م ١١ – ٢٠ يناير ١٩٠٩ .

وفى المقدمة التى كتبها رشيد رضا فى كتاب لآثار رفيق العظم ذكر أن هذه الجمعية السرية أسست للتأليف بين أمراء جزيرة العرب وللتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية التى أنشئت فى الولايات العربية وفى الأستانة لمقاومة تعصب الاتحاديين وضغطهم على العرب ولحفظ حقوق العرب فى الدولة والعمل لمستقبلهم ·

ويذكر أن تأسيس هذه الجمعية كان ضروريا لأن آفة العرب المفسدة لجميع مواهبهم الفطرية هى التفرقة والاختلاف وكان الملجأ اليها انكسار الدولة العثمانية فىحرب البلقان والخوف على البلاد العربية أنتتخطفها الدول المستعمرة ، فرأى المؤسسون أن قوة العرب فى جزيرتهم وأنها لايمكن الانتفاع بهاالا بتأسيس اتحاد حلفى يجمع بين أمرائها وكان قد سبق لها تمهيد من بعض المؤسسين ثم وضع له النظام الذى يرجى تنفيذه · وذكر رشيد رضا أن عرض جمعيته هى السعى لاتحاد بين أمراء جزيرة العرب فى شكل حلف بينهم والتعاون على عمران البلاد والدفاع عنها والتعاون بين الجمعيات العربية فى سوريا والعراق وغيرهما ·

مهمة الخطيب :

حين أعلنت الحرب وقبل دخولها الدولة العثمانية أخذت وزارة الخارجية البريطانية تجمع المعلومات عن موقف العرب ومشايخهم فى الجزيرة العربية ·

وفى الوثائق البريطانية تقرير بعث به شيتام (القائم بأعمال المعتمد البريطانى) فى ٧ سبتمبر ١٩١٤ عن الحالة فى الجزيرة العربية بناء على معلومات تجمعت لدى مكتب المخابرات ووصل التقرير لندن فى ٢١ سبتمبر ·

يبدأ التقرير بالمصاعب التى لاقتها الحكومة العثمانية فى السنين الأخيرة فى تهدئة الحالة فى الجزيرة العربية ونتيجة لذلك فقد ظلت السلطة (التركية) تتدهور تدريجا فى تلك الاقاليم · وقد ظهرت بوادر تشير الى اتجاه واضح نحو التكتل من جانب كبار

عواهل العرب أمثال ابن السعود حاكم نجد والادريس حاكم عسير وشريف مكة ومن المحتمل أيضا ان يتجه ابن الرشيد في هذا الاتجاه. وهدف الجميع التخلص من السلطة التركية والعمل لأن تكون بلاد العرب للعرب • وهناك ما يشير الى أن سمو الخديوى فى مصر يقوى الى حد بعيد هذا الاتجاه ويبذل المال ويرسل الرسل وهو يرمى فى النهاية للجلوس على كرسى الخلافة فى حالة طرد الأتراك من الجزيرة العربية •

ويوضح التقرير الذى بعث به شيتام الى أنه قبل اعلان الحرب الأوروبية ومنذ اعلانها بذلت الحكومة (التركية) مجهودات ضخمة لتصل الى تفاهم مع مشايخ العرب الرئيسيين لتضمن حيادهم الذى يميل الى أن يكون حيــادا يميل نحوهم ان لم يكن معينا لهم • والاحتمال كبير فى انجاح مجهوداتهم كما يبدو على كل حال فانه قد وضح تماما أن شريف مكة اتخذ موقفه الواضح مع تركيا ويكون هذا الالتقاء كما يبدو جزءا من حركة الرابطة الاسلامية العامة التى ترسم خططها اســتانبول ويبدو أن ثالوثا يتكون من عبد العزيز (شاويش) وسليمان البارودى وشكيب أرسلان (درزى) يكون المحرك الرئيسى لهذا الاتجاه الاسلامى ، وليس هناك من شك فى أن رسلا قد بعثوا لا للجزيرة العربية وحدها بل أيضا للهند ومصــر وطرابلس والى جميع الأقطار الاسلامية لبث الدعاية وانشاء جامعة فى المدينة وتلك أيضا حقيقة تستحق الملاحظة • وقد ظل الضباط الأتراك يتوافدون بأعداد متزايدة من استنبول الى موانى الجزيرة العربية على البحر الأحمر وتدل التقارير على أن عدد الجنود الأتراك ارتفع فى حامية مكة الى ستة عشر ألفا(٦) •

تبدو أهمية هذه الوثيقة من أوراق وزارة الخارجية البريطانية الى أن لديها معلومات عن تحرك اســلامى من جــانب الحكومة العثمانية منذ أعلنت الحرب العالمية الأولى وأن القائمين على هذه

---

(٦) نقلا عن مكى شبيكة : العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ص ٢٠ •

الحركة شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش وسليمان البارودى ..
وتقول الوثيقة أيضا ان شريف مكة أخذ موقف الانحياز لتركيا . وهذا ما يدفع بعض الباحثين الى القول ان ذلك كان السبب الذى جعل كتشنر يرسل بعد ثلاث أيام من وصول التقرير الى لندن (أى يوم ٢٤ سبتمبر) تعليماته الى ستورز ان يختار رسولا يرسل بطريقة سرية الى الأمير عبد الله يسأله اذا أجبر النفوذ الألمانى المسلح فى استنبول الخليفة ضد ارادته وارادة الباب العالى للقيام بأعمال عدائية وحرب ضـــد بريطانيا ، فماذا يكون موقفه ووالده وعرب الحجاز ؟ مع بريطانيا أم ضدها وهو ما قام به ستورز(٧) حيث جاءه رد من عبد الله فى آخر اكتوبر أبرق به شيتام فى نفس اليوم (٣١ أكتوبر) ١٩١٤ ويقول شيتام ان الرسالة حذرة ولكنها ودية ومشجعة فهو (الشريف) يرغب فى علاقة قوية مع بريطانيا ولكنه يتوقع وينتظر وعدا كتابيا منها بعدم التدخل فى شـــئون جزيرة العرب الداخلية وفى حماية الأمير من اعتداءات خارجية أجنبية وعثمانية .
والشريف نفسه (كما تقول البرقية) فى محادثة سرية مع الرسول عبر عن نفسه بحرية ووضوح قائلا مدوا الينا يد المساعدة ونحن من جانبنا لا نعين بتاتا هؤلاء المعتدين .

أوردت هذه الوثائق البريطانية لأوضح أننى وجدت من بين وثائق محب الدين الخطيب وثيقة صادرة من المركز العام للجامعة وموقعة باسم رشيد رضا الذى كان الاسم المستعار له (الناموس) يصف شكيب ارسلان بالدرزى وعبد العزيز شاويش بالمنافق الذى كان يجاهر بعداوة العرب قبل أن يذهب الى الأستانة ويكون آلة للاتحاديين .

تبدأ المذكرة الصـــادرة من المركز العام للجامعة العـــربية فتوضح :

ان انجلترا وروسيا وفرنسا تجتهد فى اسقاط الدولة العثمانية وازالة استقلالها وهذا مما كان يخشاه كل مسلم لأنها كل الرجاء للحكم الاسلامى .

---

(٧) المرجع السابق ص ٢١ . F.O. 371 2104.

ثم تقول الوثيقة : علمنا عن ثقة أن انجلترا اقنعت حلفاءها بعدم التعدى على بلاد العرب الا بقدر الضرورة القاضية بمقاومة الترك المحاربين وتعترف مع حلفائها باستقلالهم واذا هم اعلنوه من تلقاء أنفسهم وحينئذ تحمى جميع سواحلهم من كل من يتعدى عليها من الترك وغيرهم واذا طلبوا منها مساعدة من الخارج تساعدهم بقدر ما يقتضيه الحال وتراه معقولا ممكنا ولا تطلب ان يكون لها فى بلادهم رأى ولا قوة عسكرية ولا غير عسكرية واذا تعرضت الآن لبعض السواحل العربية فغرضها اخراج الترك منها فاذا أقنعها العرب انهم هم الذين يتولون الملك فيها والدفاع عنها فانها تتركها فى الحال وهى لا تطلب منهم أن يساعدوها على حرب ولا غيره .

وتمضى المذكرة لتوضح ان غرض انجلترا من هذه السياسة الجديدة مع العرب اقناع مسلمى الهند بانهم حماة الاسلام والسلطة الاسلامية المستقلة وتكثير أصدقائها من المسلمين بدلا من تكثير أعدائها وكانت تكتفى من هذا المعنى بصداقة الترك والدفاع عنهم فمادام الترك القليلو العدد صاروا حربا لها ولحلفائها واضطرت للقضاء عليهم اذا قدرت صار من المتعين أن تساعد العرب بدلا منهم اذ لا يصلح غيرهم للاستقلال الاسلامى وحماية المعاهد المقدسة والقيام بالخلافة وهم يعلمون بحق أن مسلمى الهند وغيرهم اذا يئسوا من السلطة الاسلامية المستقلة وحماية الجزيرة بقوة اسلامية محصنة فانه لا يؤمن انضمامهم على انجلترا وغيرها من الدول المستعمرة لبلادهم . وقد صرح غير واحد من الانجليز بهذا الاعتقاد واذا كانو يرون أنهم كانوا ينتفعون بصداقة الترك فى الهند فى منتهى قوتهم وأمنهم فكيف لا يرون هذا فى العرب الآن .

ويرى المركز العام للجامعة العربية ان العرب قد سنحت لهم الآن أفضل فرصة للم شعثهم وجمع كلمتهم اذا هم اغتنموها وأعطوها حقها من الوحدة والاستعداد تكون هذه الحرب الكبرى من حسن حظهم وحظ الاسلام بل تكون من عناية الله تعالى بدينه وحرمه وقوم رسول عليه الصلاة والسلام وسائر المسلمين فيجب على جميع زعمائهم فى الجزيرة العربية وغيرها أن يتحدوا ويقووا أنفسهم ثان

سقطت حكومة الترك لا قدر الله تكون للاسلام دولة كبيرة مستقلة بخبرتها وان بقوا وظفروا يكون بعضهم لبعض كالبنيان يشد بعضه كما يقتضى الحق والعدل من غير أن يكون التركى سـيد العربى والعربى مسودا مقهورا ومن لم يرض بذلك يكون خارجا عن هدى الاسلام والحق والعدل فيقم ويحثى فى وجهه التراب ٠

وفى وثيقة حزب المركز العام للجامعة العربية اذا فرضنا أن الانجليز مخادعون فيما يقولون الآن أو فرضنا أن الله لم يسخرهم غيرة على دينه وحرمه وأنهم لم يقولوا اننا نساعد العرب ونحميهم من الخارج من غير أن يكون لنا دخل فى شئونهم أليس الواجب علينا حينئذ أن نكون أشد اجتهادا فى جمع كلمتنا والاستعداد للدفاع عن أنفسنا وحرمنا وسائر بلادنا ؟ بلى وقد نشرت الجامعة العربية من زهاء أربع سنوات دعوة الى وحدة العرب أثبتت فيها ذلك ٠

ثم تقول ليس من قواعد جمعية الجامعة العربية عداوة الترك ولا العدوان عليهم بل هى تسعى دائما للاتفاق معهم ما أمكن الاتفاق وانما غرضها أن تكون البلاد العربية عامرة آمنة والأمة العربية عاملة عزيزة قوية تقدر أن تحمى نفسها ولا تكون عالة على الترك متكلة على حمايتهم ويؤيد ذلك الحال الحاضرة فاذا فرضـنا أن انجلترا أو ايطاليا ارادت الاستيلاء على سواحل اليمن أو عسير ثم التوغل فى داخليتها فماذا يقدر الترك أن يعملوه للدفاع ؟

فهذه نيتنا الصالحة مع انه لم يثبت لنا أن الترك يريدون بنا خيرا الى اليوم ٠

قد قام أنور باشا ناظر الحربية العثمانية أخيرا بدعوة دينية وقد ثبت لدى الجامعة العربية أن الغرض من ذلك سياسى لا دينى وانه كان باغراء دولة المانيا وأن من أغراضهم نية خداع العرب حتى لا يعملوا لأنفسهم شيئا ولأجل أن يسهل على أنور باشا استخدام كل ما لديهم من الرجال والمال عند الحاجة اليها فى مثل هذه الحرب ومن الدلائل الكثيرة على هذا انه لم يعتمد فى بث هذه الدعوة الدينية على أحد من المؤمنين الصادقين والعرب المخلصين وانما اعتمد على

مثل شكيب ارسلان (الدرزى) وعبد العزيز شاويش المنافق الذى كان يجاهر بعداوة العرب قبل أن يذهب الى الأستانة ويكون آلة للاتحاديين ومع ذلك بقيت الجامعة العربية مخلصة للأمة التركية وللدولة العثمانية مع سـعيها لغرضها الأساسى من وحدة العرب وترقيتهم ·

ثم يقول المركز العام للجامعة العربية انه بلغه قبل هذه الحرب أن الاتحاديين فى الأستانة اتفقوا مع دولة المانيا على جعل البلاد التركية دولة مدنية على النسق الافرنجى فى كل شىء ، تابعة للاتحاد الجرمانى وان تكون البلاد العربية التى لا تترك لغتها وسـتترك مستعمرات تابعة للدولة التركية وألا يكون فيها قوة عسكرية منها بل تكون مجردة من السلاح · وان يحاشى أمراء الجزيرة الأقوياء كالامام يحيى والأمير بن مسعود مؤقتا الى أن يتم استعداد الدولة البرى والبحرى وتتمكن من معاملة العرب بالقوة وأن يقنعوهم بأنهم يماشونهم ويصالحونهم لأجل الدين والمصلحة العامة المشتركة ولما عزموا على الحرب هم والألمان صار لهم من بث الدعوة الاسلامية فى العرب مصلحة أخرى وهى استخدامهم كما تقدم — ومع هذا كله لم تعمل الجامعة العربية عملا ولم تقل كلمة ضد الترك والدولة لأن مقصدها خدمة العرب لا عداوة الترك ومضادتهم ·

ويرى حزب الجامعة العربية فى دولة المانيا انها أصحاب اثرة وطمع تستخدم غيرها بقدر حاجتها اليه ولا يرجى أن ينتفع منها أحد ولذلك كان من شروطها فى سكة حديد بغداد أن يكون جانبا الخط ملكا لها الى مسافة عشرين كيلومترا حتى لا ينتفع منه أهل البلاد نفعا يذكر فاذا انتصر الالمانيون وصار الترك والعرب عبيدا لهم وانما ساعدوا الدولة العلية فى هذه الأيام لتحارب معهم فهو مساعدة لأنفسهم وهم يدعون صحبة الدولة منذ ربع قرن ولم ينفعوها بشىء بل ساعدوا ايطاليا على امتلاك مملكة عربية كانت تابعة لها والنمسة على امتلاك البونسة والهرسك ·

ثم ينبه الحزب زعماء العرب فى الجزيرة وفى كل مكان أن يغتنموا الفرصة الحاضرة التى اشتغلت فيها جميع الدول الكبرى

بانفسها ويلموا شعثهم ويعاهد بعضهم بعضا على الوحدة والتعاون والاستعداد احفظ سلطنة الاسلام من الزوال على حسب القواعد التي وضعتها جمعية الجامعة العربية وبثها في جميع البلاد ·· وأفضلهم من يبدأ بمد يده لمصافحة غيره ومعاهدته على ذلك ·

ويوضح أنه من راعه من أمراء الجزيرة تعدى الانجليز فى هذه الأيام على شيء منسواحل البلاد العربية وخاف عاقبة ذلك فعليه أن يجتهد فى اخراج من فى الميناء المعتدى عليه من الترك ووضع بعض العمال من العرب مكانهم وتبليغ القائد الانجليزى فى البر أو البحر ان البلد فى يد العرب وبلغنا انكم تعهد تم بعدم الاعتداء علينا فالمرجو أن تتركونا وشأننا ، حتى اذ كانوا لم يحتلوا البلد فان كانوا احتلوه فعلا فيكون التبليغ من الحاكم العربى القريب منه نحو هذا · وبهذا يعرف صدق الانجليز فى وعدهم أو عدمه والمرجو تبليغ المركز العام للجامعة ما يحصل من ذلك ·

ثم ينتهى البيان الى القول أنه من قبل اعطاء عهد عليه وميثاق على قبول ما بلغته اياه الجامعة العربية من مقاصدها فليبلغها ذلك ويطلب منها ما يحتاج اليه من المساعدة لتجتهد فى القيام به بمشيئة الله تعالى ·

والمذكرة موقعة من رشيد رضا باسم الناموس ·

من دراسة هذه الوثيقة يتضح ان الجامعة العربية[٨] بدأت تحركا عربيا القصد منه التصدى لما حملته الوثائق البريطانية من أخبار الى وزارة الخارجية البريطانية أن هناك تحركا من جانب الدولة يقوده شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش وغيرهما · وتنبه الوثيقة السابقة امراء لجزيرة وخاصة ابن السعود والامام يحيى أن الدولة العثمانية ستتحاشاهم بصفة مؤقتة حتى تستطيع الانفراد

---

(٨) يذكر امين سعيد ص ٢٩ ج ١ فى كتابه الثورة العربية ان حزب اللامركزية هو الذى أرسل الخطيب ، وهذا خطأ ، فالخطيب سافر مندوبا عن الجامعة العربية ·

بهم بعد ذلك وتحمل الوثيقة على سياسة المانيا واطماعها فى البلاد العربية وتدعو الى انتهاز فرصة الحرب التى شغلت بها الدول الكبرى فيتم اتحادهم وتعاونهم وان كانت لم تبين شكل هذا الاتحاد والتعاون وان كان يتضح من الوثيقة أنه اتحاد على نحو ما نبهت اليه الجامعة العربية منذ أربع سنوات أى كما نص عليه ميثاق هذه الجمعية وهو اتحاد فى شكل تحالف بين مشايخ وأمراء الجزيرة • والواضح أن هذا الاتحاد الذى دعت اليه الوثيقة هو اتحــاد يخدم فى النهاية المصالح البريطانية وان لم ينص على ذلك صراحة لكنه منها أن هناك وعدا أعطى من قبل الانجليز لهذه الجمعية بدليل ماجاء فيها من تعليمات أن من تقع بلده فى يد الانجليز أن يسارع الى ابلاغ القائد الانجليزى فى البر والبحر انكم تعهدتم بعدم الاعتداء علينا • وبهذا يعرف صدق الانجليز من عدمه •

تلك اذا كانت المهمة التى كلف بها الخطيب من قبل جمعية الجامعة العربية وقد رجعت فى دراسة هذه المهمة الى ماكتبه الخطيب بخط يده عن مذكراته عن هذه المهمة والمدة التى قضاها فى السجن والتى يجدهاالقارىء فى ملاحق البحث • كذلك رجعت الى رسائل رشيد رضا اليه والمذكرات التى قدمها رشيد رضا للسلطات البريطانية فى مصر والالتماسات التى قدمها الخطيب ورفيقه الى السير برس كوكس وقمت بالاضافة الى ذلك بالرجوع الى الوثائق البريطانية التى اشارت الى هذا الحادث وما يخرج به الباحث منه • وقبل مناقشة الوثائق البريطانية ينبغى توضيح أن الخطيب ذكر فى أوراقه انه بينما كانت جمعية الجامعة العربية تفكر فى مهمته كانت العربية الفتاة ترى هذا الرأى أيضـــا • كانت الظروف توحى الى العربية الفتاة انه بعد اعلان الدولة العثمانية النفير العام وكانوا يسمونه (سفربرلك) ينبغى أن يتم التشاور مع الزعماء العرب فى موقفهم من اعلان الدولة العثمانية للحرب لأن الأمر اكبر من أن ينفرد به المثقفون والشباب بل أكبر من أن تنفرد به سوريا ، « وبينما كانت جمعية السيد رشيد ورفيق بك تدبر معى أمر قيامى برحلة الى ابن سعود لبسط هذه المسائل معه وأخذ رايه فيما يراه من خطة صالحة للقومية العربية كلها .، لأنه كان من مهمتى ان أصل الى البصرة

أيضا للاجتماع مع السيد طالب النقيب الذى كان على اتصال دائم بالمراسلة مع حزب اللامركزية لاتفاوض معه شفاها فيما نحن مهتمون به • وكان من مقتضى هذا التدبير أنه بعد سفرى الى ابن سعود سيسافر غيرى الى الامام يحيى وثالث الى الشريف حسين ورابع الى الادريس فى عسير لتجميع آراء جميع زعماء العرب ونرسم خطة يوافق عليها الجميع - بينما كنا فى هذا ونحن فى مصر كانت العربية الفتاة ترى هذا الرأى أيضا وترى أن يكون عن طريق جماعة مصر بواسطتى ، وكنت أنا الى يوم سفرى من مصر لا أعلم أن العربية الفتاة تشاركنا فى ذلك • وبعد سفرى بأسابيع استطاعوا فى بيروت ان يرسلوا الشيخ كامل القصاب الى مصر بجواز سفر لرجل من طرابلس الغرب حداد لأن اعلان النفير العام فى الدولة العثمانية منع سفر العثمانيين جميعا ، فلجأت العربية الفتاة الى هذه الطريقة لسفر الشيخ كامل على باخرة ايطالية كانت ايطاليا لاتزال على الحياد • وكان سفر الشيخ كامل من مظاهر شجاعته لأنه أقدم على مخاطرة لا يعرف أهميتها الا من يعرف حال الدولة العثمانية فى ذلك الحين •

وللأسف وصل الشيخ كامل بعد سفرى بمدة فاحتار كيف ينفذ رسالته لأنه مأمور بتنفيذها بواسطتى • ومع ذلك اضطر الى الاجتماع برفيق بك والسيد رشيد ومنهما على أنى سافرت لنفس الأمر الذى جاء من أجله •

فى الوثائق البريطانية نجد أن شيتام أرسل فى ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ الى وزارة الخارجية البريطانية برقية يقول فيها •• سبق أن تلقت دائرة المخابرات استيضاحات من مسئولين فى جماعة الحركة العربية ممن يقيمون فى القاهرة ، حول الموقف الذى ستتخذه الحكومة البريطانية اذا ما أعلن الأتراك الحرب ، وقد أعطيناهم جوابا حسب منطوق برقيتكم • لقد أرسلوا مندوبين يعتمد عليهم واختاروهم بأنفسهم الى الجزيرة العربية وفلسطين لكى يبلغوا الرسالة شفويا الى الزعماء العرب فى تلك الاقطار ووضعت تحت تصرف قادة الحركة مبالغ ضخمة وزيادة على ذلك بعث المشهورون من عرب مصر برسائل الى أصدقائهم أصحاب النفوذ فى الأقطار المذكورة يحثونهم

فيها على بذلك أقصى مجهود لاقناعهم بالتخلى عن الأتراك لمصلحتهم الخاصة · ويقول شيتام ان هؤلاء الزعماء فى القاهرة لا يتوقعون من بريطانيا فى الوقت الحاضر أكثر من موقف كريم نحو طموحهم للحكم الذاتى وتاكيدات للعون الأدبى عندما يحـــين الوقت لتنفيذ خططهم · ولكن بدون شك فى حالة الحرب اذا طلب منهم اكثر من المقاومة السلبية يجب امدادهم بالأسلحة والذخيرة مثلما أيد الطليان الادريس أثناء الحرب الايطالية التركية ·

والحاقا ببرقيته السابقة بعث شيتام بعد ذلك بيومين (أى فى ٢٨ أكتوبر) يقول فيها ان زعماء القومية العربية فى القاهرة بعثوا بمندوبيهم للجهات كما يلى : الى بيروت ومنها الى دمشق وحلب وحمص ومنطقة حوران والى الخليج ومنها الى العراق وابن السعود والى جدة ومنها لمكة والحجاز عموما وأيضا لجنوب وشرق فلسطين وفى النية ارسال مبعوثين للامام يحيى والادريس بعد مضى بعض الوقت ولكنه من الصعوبة العثور على الرجال المناسبين لهذه المهمة· وقد أبحر الموكول اليهم المهمة للخليج فى يوم ٢٦ أكتوبر على باخرة ايطالية من السويس الى بومباى ومن هناك الى الكويت · وعليه فيجب اخطار حكومة الهند بذلك وهما محب الدين الخطيب وعبدالعزيز العتيقى · رجاء تسهيل السلطات فى بومباى لمهمتهم وفى الكويت يتصلان بالمقيم البريطانى ويعملان سويا معه(٩) ·

وفى الوثائق المجودة لدى الأســتاذ الخطيب وجدت بطاقة اعتماد من الجمعية مكتوب فيها : حامل هذه الرقعة الأخ محب الدين الخطيب معتمد من جمعية الجامعة العربية فى العراق وشــرقى الجــزيرة العربية للدعوة الى مقاصـــدها وابلاغ دعوتها لأهلها والمستعدين لهاو التوقيع الاسم الرمزى لرشيد رضا (الناموس) ·

ثم رجعت الى مراسلاته منذ بدأ مهمته الى صديقه وشريكه عبد الفتاح قتلان فى مكتبته فى القاهرة مع رشيد رضا والمعروفة

---

(9) F.O. 371 — 2140, Cheetam 26 Oct. 1914.

باسم مكتبة المنار · فهو يكتب له من لحج يذكر أخبار ورحلته أولا بأول ·

ويطلب الخطيب فى رسالة لصديقه التى أرسلها من لحج أن يرفع له قضية ضد صحيفة المؤيد مطالبا بالمتأخر من مستحقاته طرف هذه الصحيفة ·

من المقطوع به ان الخطيب ورفيقه سافرا باذن من السلطات الانجليزية لتيسير المهمة يتضح هذا من وثيقة قدمت للسير هنرى مكماهون باللغة الفرنسية تقول الوثيقة ونصها بالكامل عند الأستاذ الخطيب :

Son Excellence Sir Henry McMahon
Haut Commissaire de Sa Majesté
Britannique
en Egypt
En ville

Excellence,

Me prevelant de la symmathie que le gouvernement de sa Majesté Britennique tenoigne aux elements non turcs de l'empire ottomen, je me parmette de vous soumettre ce que suit :

Al'issue des declerations que S. Ex Sir Edward Grey a faites en faveur des arabes vers le mois de Novembre 1914, Muheib Eddine Effendi, fut chargè d'une amission speciale en Arabie a une partie de Mesopotamie au vu de quelques miliaux officiels britanniques au Caire et au Soudan. Il s'embarque donc muni d'un sauf *conduit signè par le commandant en chef des forces britanniquesd* en Egypt.

فتوضح مقدمة الوثيقة التى قدمت للسير هنرى مكماهون فى القاهرة بالتماس التدخل للافراج عن الخطيب انه أوفد فى مهمة خاصة لمقابلة موظفين بريطانيين سياسيين وأن سفره بتصريح من القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ٠

يؤيد هذا القول ما جاء فى مذكرة الخطيب عن مدة سفره واعتقاله والافراج عنه والتى أرفقت بملاحق هذا البحث انه لم يكن يعلم شيئا عند سفره عن وقوع الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية ٠٠ فلما وصل الى بومباى صباح يوم السبت ٧ نوفمبر « علمنا أن العلاقات قطعت بين تركيا وروسيا وكذا بين الحلفاء جميعا ٠ وبالرغم من تشدد البوليس على تبعة الدول الأخرى من ركاب باخرتنا فقد وجدنا منه مساعدة واكراما ٠ ورأيناه يعرف اسمى واسم رفيقى قبل أن نعرفه نحن له ، فاستنبطنا من ذلك أن حكومة بومباى تلقت من مصر تلغرافا يتضمن التوصية بحسن معاملتنا ٠

وفى يوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر دعينا الى دائرة رسمية عالية فى بومباى فقابلنا رئيسها وكان بين يديه أوراق (دوسيه) تتعلق بى ورفيقى فكان يقرأها ويوجه الينا بعض الأسئلة عن سفرنا والمكان الذى نقصده ٠ وبعد خروجنا من هناك جاءنا البوليس بورقتين رسميتين مضمونهما التعريف بأسمائنا ومحل اقامتنا والأذن لنا بالاقامة فى بومباى لأن ذلك لا يكون بغير اذن رسمى فى هذه الأيام ٠٠٠»(١٠) ٠٠

ومن بومباى كتب الخطيب رسالة الى صديقه يصف له المدينة وأنها رغم حداثة عمرها فان الذى يطوفها يعتقد انها أعظم من القاهرة ويشكو له عدم معرفته اللغتين الهندية والانجليزية « ولو أنى أعرف لسانهم بل لو أنى أستطيع البيان والتبين بالانكليزية لاستأنست بها أكثر مما حصل لى ولأمكننى التوسع بمعرفة الأخبار من الصحف التى تصدر هنا ٠

---

(١٠) وثائق خطية لدى الخطيب ٠

وصاحبنا الشيخ عبد العزيز العتيقى استطاع أن يكون ترجمانا لى بخمسة عشر كلمة هندية تعلمها فى سفرته الماضية وسفرته الماضر .. »[11] .

ومن بومباى ركب الخطيب الى بوشهر مارا بالكويت ، ولما رست الباخرة فى ميناء بوشهر خرج اليها من ذلك الثغر بوليس انجليزى كان أول عمله أنه جاءنا وطلب الاطلاع على جواز (باسبورت) كل واحد منا ، فأطلعنا عليهما وعلى الورقتين الرسميتين اللتين أخذناهما من حكومة بومباى فأظهر رغبته فى الاطلاع على صناديقنا وأمتعتنا ، وبعد التفتيش الدقيق بمساعدة بوليس سرى أفغانى يعرف اللغة العربية مع أن البوليس الانكليزى أيضا يقرأ ويفهم هذه اللغة ـ لم يجد عندى شيئا من الأوراق يستحسن أخذه الا شهادة من جناب المستر ريتشارد سن قيس قنصل انكلترا فى الحديدة وقمران فى اليمن أعطانى اياها بعد استقالتى من وظيفة ترجمان التى كنت موظفا فيها عنده من سنة ١٩٠٧ ـ الى أواخر سنة ١٩٠٨ . وكنت أظن أن البوليس سيعدل عن تشديده علينا بعد اطلاعه على هذه الشهادة والجوازين التى فى أيدينا ، ولكن الأمر جاء بعكس ما ظننت فانه دعا أربعة من الجنود الهندية كانوا مسلحين .. كأنهم مهيأون من قبل لأن يجعلوا معنا ومنذ تلك الساعة صرنا ممنوعين من الذهاب الى الكويت التى أجيز لنا من قبل السفر اليها[12] ..

نقل الخطيب بعدها الى المحمرة على الباخرة (مجيدية) من بواخر شط العرب ودجلة وكانت غاصة بالعساكر الهنود . وفى صباح يوم الجمعة ٢٧ نوفمبر نزل البصرة حيث أخذته الجنود الانجليزية الى مكتب الماجور براونلو حاكم البصرة العسكرى « حيث يوجد عدد من كبار رجال الحملة وبعض موظفى القنصلية السياسيين فسألونا أسئلة كثيرة عن المكان القادمين منه والمكان

---

(11) رسالة من الخطيب الى عبد الفتاح قتلان مخطوطة .

(12) مخطوط للخطيب « الجيل الذى عاصر بعث العروبة » .

الذاهبين اليه وعن سبب سفرنا والمهنة التى نحن نشتغل بها فكنا نجيبهم بالصدق والصراحة ·· وانى تاجر كتب فى القاهرة ومحرر فى جريدة المؤيد ·· وطلبنا منهم أن ياذنوا لنا بارسال تلغراف الى معارفنا فى مصر وأن ذلك مفيد فى سرعة مجىء خبر رسمى الى الحكومة الانكليزية فى البصرة بأننا معروفون لدى الحكومة المصرية ورجال الدولة البريطانية هناك فرفض طلبنا·· »(١٣) ··

وأودع الخطيب مع رفيقه سجن العشار · وفى وثائق له يصف سوء المعاملة فى السجن · ويحتفظ محب الدين الخطيب برسائل أرسلت اليه من رشيد رضا فى هذه الفترة يخاطبه فيها باسم « ولدنا العزيز » ويبدى رشيد رضا قلقه لعدم وصول رسائل من الخطيب ·

ويخشى رشيد رضا أن تكون المكتوبات التى أرسلها الى الخطيب قد ضاعت وأهمها فى نظره اثنان صورة المذكرة التى تبنون على قواعدها دعوتكم أنتم ورفيقكم والذى فيه ورقة الاعتماد المختومة(١٤) ·

كما أرسل له رشيد رضا تفويضا بتحصيل اشتراكات المنار فى الهند وعمان والكويت والعراق « ويقول للمشتركين » فالمرجو اعتماده ودفع المطلوب منكم له وما عهدنا اليه بذلك مع ثقتنا التامة بأنكم ترسلون ما عليكم من تلقاء أنفسكم الا لتعذر الارسال بواسطة المصارف (البنوك) والبريد (البوسطة) فى مدة هذه الحرب التى يخشى أن يطول أجلها المزعوم مع شدة الحاجة التى ألجأنا الى تأخير أجزاء المجلة بحيث عزمنا على توزيع أجزاء السنة فى سنتين (مع حسبانها سنة واحدة) ·· وقد اشتد غلاء الورق وقل جوده وعمال المطبعة يأخذون أجورهم كل أسبوع ··· »

ويحتفظ الخطيب فى وثائقه بالتماسات قدمها الى السلطات البريطانية فى البصرة للافراج عنه ووضح فيها أن رشيد رضا طلب

---

(١٣) المرجع السابق ·

(١٤) مخطوط لدى الخطيب ·

منه أن يسافر الى جهات العراق ونجد لمقابلة زعمائها وابلاغهم عن لسان جمعية الجامعة العربية « ان ممثليها فى مصر علموا علما أكيدا من رجال حكومة جلالة الملك الذى فى القطر المصرى أن دولة بريطانيا العظمى عزمت عزما نهائيا على مؤازرة العرب فيما يطلبون من تحسين أحوالهم وجمع شملهم وخلاصـــهم من الادارة التركية المرتبكة التى يديرها موظفون فى بلاد العرب موظفون ليس لمصلحة البلاد الحقيقية أهمية عندهم وأن علينا نحن العرب ان لا ننخدع بأضاليل الألمان والمنضمين اليهم وأن نقابل بالجميل كل من يفعل جميلا معنا ·· ويذكر الخطيب فى التماس آخر أن استمرار سجنه سينتج عنه استغناء جريدة المؤيد عنه · وتوالت التماسات الخطيب ففى ٢٥ ديسمبر (قدمنا عريضة أخرى ذكرنا فيهاما هو مشهور عن عدل الحكومة الانكليزية وأننا بريئون من كل عمل يخالف قوانينها وسياستها ورجا أن يسمح له بمقابلة حاكم البصرة · »

خلال ذلك تتابعت رسائل رشـــيد رضا الى الخطيب ورفيقه وكانت ترسل الى شخص قريب للعتيقى فى الكويت وقد وصلت كلها مفتوحة ومختوم عليها « فتحت بمعرفة الرقيب » ومعظمها كما يقول صديقهما فى رسالة لهما أخذ خمسة وخمسين يوما من القاهرة الى الكويت ·

أبلغهما رشيد رضا أن مندوب الجامعة سافر الى اليمن وآخر الى عسير ومعهما مذكرة أرسلت لهما صورتهما وجاء فيها ·· لو كان يوجد من الترك فى المواقع والموانى على الســـواحل العربية منصفين ويلغهم أن الانكليز يقولون انهم لا يريدون الاستيلاء على شيء من بلاد العرب وانما يريدون طردهم منها وتركها لأهلها من العرب لبادروا فى كل موقع يرون أنفسهم فيه ضعفاء الى تسليمه لأهل الوطن من العرب ورضوا بأن تنجو البلاد من الاحتلال الأجنبى بتولى أهلها ادارتها الملكية والعســـكرية ولكن قلما يوجد منهم من يرجى فيه مثل هذا الانصاف ·

وأما العرب فان لديهم الآن ما يجربون به صدق وعد الانكليز بعدم الطمع في بلادهم وبالاعتراف لهم بالاستقلال فيها اذا تولوا شئونها دون الترك وذلك بأن يقوموا بهذا الأمر حيث يتيسر لهم ويطلبون من الانكليز ترك ما احتلوا من ثغورهم اذا اجابوا الطلب انقطعت أعذارهم وعلموا أنهم أسعد الناس حظا في هذه الحروب الذي كان شقاؤها يعم العالم . هذا وأن سواحل سوريا لم يدن منها أسطول انجليزي ولا فرنسي ونصارى السوريين هنا يسعون لاقناع معتمد فرنسا والانكليز بوجوب احتلال تلك السواحل ولكن سعينا لعدم التعدي على بلادنا لايزال هو الناجح والرسائل موقعة باسم (الناموس) وهو الاسم الرمزي لرشد رضا .

وبعد حمسين يوما من بقاء الخطيب في السجن دعاه الكولونيل سير برسي كوكس وأخبره أنه سيرسل تلغراف الى مصر ولكن مضت شهور دون طائل فجدد الخطيب شكواه . وفي شهر مايو زار حاكم الزبير السير برسي كوكس وعرض عليه أن يضمن عبد العزيز العتيقي اذاكان خلاصه من السـجن متوقفا على ضمانه فأجابه ان وقت خروجه لم يحن بعد - وفي صباح ٢٣ يونيو استدعى برسي كوكس الخطيب وأخبره ان الرد على برقيته جاءت مع البريد ولم تأت بالبرق وانه وصل مؤدنا بالعودة الى مصر . فطلب العتيقي عدم الذهاب الى مصر لأنه لا شغل له فيها بل هو يرغب في الاقامة عند والده في الزبير (البصرة) فأخبره كوكس انه سيظل بالسجن الى ان تجرى مخابرة جديدة مع مصر بشأنه « لأن الأذن جاء من مصر بخروجكما من السجن لتعودا الى مصر » . وسافرا الخطيب مساء يوم ٢٧ يونيو بينما بقي رفيقه في السجن فوصلها في ١٥ يوليو ١٩١٥ .

يحتفظ الخطيب بالشهادة التي أعطيت له من سير برسي كوكس بتاريخ ٢٧ يونيو وجاء فيها أن حامل هذه الشهادة مسموح له أن يذهب من البصرة الى القاهرة ليقدم نفسه للسلطات البريطانية على نفقة الحكومة(١٥) .

---

(١٥) نصتها طرف الأستاذ الخطيب .

وفى ١٦ فبراير أبرق نائب الملك فى الهند الى مكماهون البرقية التالية :

برقيتكم المؤرخة ٩ فبراير بشأن عبد العزيز العتيقى ومحب الدين الخطيب أبلغنى كوكس أن الشخصين المذكورين معتقلان فى البصرة .. لقد أعتقلهما ضابط المخابرات العسكرية فى بوشهر لأن أجوبتهما على الأسئلة التى وجهت لهما لم تكن مرضية وذلك المراسلات والمنشورات التى كانت معهما أنهما كانا على اتصال مع السيد طالب النقيب الذى كان موقفه آنذاك محاطا بالشكوك · وكانت هناك أيضا اشارات تبعث على الاشتباه بأنهما كانا على علاقة بالرسل الأتراك الذين اعتقلوا فى كراتشى · لقد تمت دراسة المراسلات المذكورة ، بمزيد من العناية وتبين انها تنحو اسلاميا أكثر مما تنحو عربيا وهى ضد المسيحية ويرى كوكس أنه من غير المستحسن اطلاق سراح الشخصين فى البصرة ولكن اذا كان اعتقالهما لا يحظى بموافقة سلطات القاهرة فهو يقترح ارسالهما الى بومباى بصفة أسرى حرب ومن هناك يتم تسفيرهما بعد أخذ الاحتياطات الضرورية ·

ويتضمن الملف ملاحظات على هذه البرقية جاء فيها الشخصان المذكوران غادرا مصر فى أواخر أكتوبر وكان الترتيب أن يزورا المعتمد السياسى فى الكويت الذى كان عليه أن ينسق ترتيبات سفرهما · وقد تبين أنهما كانا يحملان كتابا يتضمن خطبة طارق بن زياد وخطاب الخليفة عمر عند وفاة الخليفة أبى بكر وخطاب الخليفة على فى الحث على الجهاد وقصيدة شاعر أندلسى يتألم لمصير بلاده ازاء فتح الأسبان لها ·

عاد مكماهون فأبرق فى ١٩ فبراير اعادة الخطيب والعتيقى الى القاهرة لكنه لم يلبث أن بعث فى اليوم ذاته برقية أخرى قال فيها انه من الأفضل ابقاء الرجلين فى البصرة شريطة تزويده بالمعلومات المتوافرة عن افادتهما وموقفهما ·

وردا على البرقية الأخيرة أرسل كوكس الرسالة التالية الى مكماهون وهى بتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥ اشارة الى برقيتكم بتاريخ

١٦ فبراير الى حكومة الهند واتباعا لتعليماتها « لي الشرف أن أقدم مقطوعات مترجمة من دفترين وجدا بين أوراق محب الدين الخطيب وعبد العزيز العتيقى ٠ وهذه المقتطفات تؤلف المادة التى بنى عليها الرأى القائل بأن لهما ميولا اسلامية وعربية وبسبب ذلك لم يكن من المستحسن اطلاق سراحهما فى البصرة ٠

١ ــ يجب أن نذكر أنهما غادرا القاهرة قبل اعلان الحرب ولو وصلا الى هناك فى الأوقات المعتادة لما كان هناك شك فى السماح لهما بالذهاب لمقابلة الشخصين اللذين كانا متوجهين لمقابلتهم ولكنهما وصلا الى الخليج بعد اعلان الحرب مع تركيا ٠

« ان ضابط المخابرات فى بوشهر الذى كان له عميل على ظهر السفينة التى كانا يسافران عليها تلقى تقريرا من ذلك الرجل عند وصول السفينة مؤداه أن الشخصين يثيران الاشـــتباه ويوصى باعتقالهما ٠ وتم التفتيش وتبين انهما كانا يتراسلان مع طالب النقيب الذى كان يومذاك بمثابة عدو لهما بعد أن رفض الاتفـــاق معنـا وقد قام مفتش الشرطة فى الخليج بالتحقيق وقدم تقريرا قال فيه انه يعتقد أن الخطيب والعتيقى على علاقة برسل ســـبق اعتقالهم فى كراتشى لذلك جيء بهما الى البصرة وأبقيا فى منزل فيها رهن الاعتقال ومايزالون هناك حتى الآن » ٠

« أن والد العتيقى رجل محترم وغير مؤذ وهو من الزبير ومن الاشارات ذات الدلالة أنه لم يحاول التوسط فى قضية ولده » ٠٠ (وهذا مخالف لما ذكره الخطيب فى مذاكرته من أنه عرض ضمانة ولده فرفض كوكس وقال ان التعليمات لم تأت بعد للافراج حتى يبحث مسألة الضمانة) ٠

ثم تمضى الرسالة التى بعث بها كوكس تقول : فى الوقت نفسه أشعر أن القضية ضد هذين الشخصين الذين أحرزوا قسطا من التعليم لا تستدعى استمرار اعتقالهما فى ظروف شديدة وصعبة وطبقا لرغبتكم بعد اطلاعكم على الرسالة فاننى أقترح الطلب من

حكومة الهند أن تحتفظ بهما فى بيت ريفى فى الهند حيث يمكن أن يبقيا تحت اشراف الشرطة ويسرنى أن أتلقى جوابا برقيا منكم ٠

ثم أرسل كوكس فى ١١ يوليو ١٩١٥ الى حكومة الهند يقول فيها ان محب الدين الخطيب غادر البصرة متوجها الى بورسعيد وانه سمح للعتيقى بالعودة الى أهله فى الزبير(١٧) ٠

ومن هذه الوثائق البريطانية يتضح أن الذى دفع الى اعتقال الخطيب والعتيقى موقف طالب النقيب من السلطات البريطانية فى ذلك الوقت والاعتقاد بأن دورهما اسلامى على حد ما تزعمه الوثائق أكثر منه عربى نتيجة لما عثر معهما من خطب لطارق بن زيادة وغير ذلك من المكاتبات التى تدعو الى بعث اسلامى أو الى يقظة اسلامية ٠

ومن الوثائق البريطانية المتعلقة بموضوع طالب النقيب مع البريطانيين يتضح ما يلى :

فى ٣٠ نوفمبر ١٩١٤ كتب شكسبير الذى أوفد لمقابلة بن سعود بعد وصوله الى الكويت الى كوكس، أن السيد طالب النقيب غادر الكويت يرافقه خمسون من أتباعه بوم ١٦ الحالى قاصدا نجد لمقابلة بن السعود كما يبدو فى الظاهر ٠ ولكن من محادثة مع السيد شيخ مدارك الصباح بحضور المندوب السامى البريطانى ومن معلومات محلية من مصادر أخرى فالموقف بالنسبة للسيد طالب كما يبدو هو كما يلى : أمره الأتراك بالسفر الى نجد للحصول على تعاون بن سعود ٠ وخوفا على مركزه فى البصرة فى حالة احتلال البريطانيين لها حاول الحصول على شروط من حكومة جلالة الملك ويبدو أن أخبار مفاوضاته فى هذا الصدد علم بها الموظفون الأتراك فى البصرة وأدرك

(١٧) نقلا عن سليمان موسى : وجوه وملامح ٠
India Office L P S/11 Vol. 95.

(١٨) مكى شبيكة : العرب والسياسة البريطانية ص ٤٢ ٠
F.O. 371 2479. Shak. to Co; 9 Nov. 1914.

سيد طالب مغبة ذلك والأثر الباشر عليه وعلى عائلته أن هو بقى فى البصرة وعليه خوفا من حياته تحول الى الكويت حيث قدم عروضه مرة أخرى للمندوب البريطانى ٠

وفى ١٤ نوفمبر كتب كوكس يأمر ببقائه فى الكويت كدليل على خضوعه وكرهيته لحسن سلوك أهله فى البصرة ولذلك عندما وصلته الأخبار عن مغادرة النقيب للكويت انزعج عندما علم حسب قول الشيخ مبارك الصباح سافر سرا الى جهرة فى طريقه الى بريدة ، لمقابلة بن السعود دون أن يودع الشيخ ولو أنه كان ضيفا عليه فى منزله ٠

وتخوف الانجليزى أن تكون أحد مهام النقيب لابن السعود هى تعليمات الباب العالى الأصلية لحشد العرب ضد بريطانيا ٠

ويكتب شكسبير لكوكس أن هروبه هذا حرمه من أى وعود كانت تقدم له وأن احتجازه بالقوة سيؤدى الى اثارة شعور العرب ضد بريطانيا ٠

من هذه الدراسة اعتقد أن الخوف من اتصال بين محب الدين الخطيب وطالب النقيب كانت أحد الأسباب التى حدت ببقاء الخطيب هذه الفترة فى الاعتقال فى وقت كانت السلطات البريطانية مشغولة بحملاتها على العراق ٠

بقيت رواية سليمان فيضى الذى كان اليد اليمنى للسيد طالب النقيب وقد جاء فيها ، عدت يوما الى دارى فوجدت بطاقة — أى بطاقة بريد — باسم لأستاذ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المصرية ، وقد كتب على ظهرها ما يأتى : ان محب الدين الخطيب وعبد العزيز العتيقى قد توجها الى البصرة بمهمة سياسية فأرجو ان تروج مهمتهما » ٠ أسرعت الى محل اقامتهما ، فعلمت أن البوليس قد أوقفهما ، فذهبت الى الموقف وعبثا حاولت مكالمتهما هناك ٠ وبعد

أيام علمت أن الانجليز أعادوهما الى مصر مخفورين · وجدت بعد ذلك بعض الحوادث التى كشفت عن غطرسة الانجليز(١٩) ··

عاد الخطيب الى مصر ولم يتم مهمته ولم يستطع الاتصال بعبد العزيز بن سعود ولا بغيره وفى مصر علم الخطيب أن العربية الفتاة أرسلت كامل القصاب الى مصر كما سبق القول والذى علم بسفر الخطيب فسافر هو الى مكة وكان فيها ضيفا على الشريف حسين وأبلغه برغبة العربية الفتاة فى عمل خطة موحدة للزعماء العرب خلال هذه الحرب لكن الشريف لم يدل له برأى · وعادت العربية الفتاة فأرسلت فوزى البكرى وكان من الذين شملهم التجنيد فسافر من دمشق الى مكة لتأدية الخدمة العسكرية فى حرس الشريف فأطلعته الجمعية على مفاتحة الشريف اذا ما كان يرغب الانضمام الى الزعماء الوطنيين فى سوريا والعراق فى حركة لانهاض العرب من كبوتهم ولاستعادة مجدهم الغابر ولنيل الاستقلال فيما اذا لم تتمكن الدولة العثمانية من اصلاح الادارة اصلاحا حقيقيا يجعل البلاد بمأمن من استيلاء الأجانب الذين يتحينون الفرص لاحتلال هذه الديار واستعمارها إذ ان كل عربى أصبح مدركا غايات الاتحاديين السيئة وقصدهم الجنونى بتتريك العناصر غير التركية(٢٠) ·

وكان رشيد رضا قد قدم مذكرة الى عبد الله الصغير وكيل وزارة الداخلية فى مصر يوضح له خطأ تفكير الانجليز فى جعل سوريا والحجاز تحت حمايتهم كمصر أو يضمها الى مصر باقامة سلطان منها تحت حمايتهم ويقول فى المذكرة أذا كان اعلان الحماية

---

(١٩) سليمان فيضى : فى غمرة النضـال ، فصل بعنوان : البصرة فى عهد الاحتلال الانجليزى ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ·

(٢٠) سليمان موسى : الحركة العربيـة ص ١٠٢٧ ، فايز الغصين : مذكراتى عن الثورة العربية ص ٢٠٣ ·

على مصر لا يجعل الحرمينولا شيئا من أركان الاسلام موقوفا على رضا دولة غير مسلمة ولا ينافى وجود حكومة مستقلة كل الاستقلال تقيم شعائر الاسلام اذا ماكان ما ذكر كما ذكر ولم يرض به مسلمو مصر فهل يرضى مسلمو سوريا والعراق وغيرهم من العرب والعجم والهنود وقوع تلك البلاد المقدسة وسياج الحرمين (الحجاز) تحت سلطة دولة غير مسلمة وهم يعلمون ما يترتب على ذلك مما أشرنا اليه ؟[٢١] ٠

ثم الحق ذلك بمذكرة قدم فيها ايضاحات للسلطات البريطانية فى مصر ينصح فيها انجلترا أن مساعدتها للعرب على حفظ بلادهم واستقلالهم فيها يتفق كل الاتفاق مع مصالحها السياسية والاقتصادية ٠٠ فاذا ثبت هذا ولو فى الجملة فالمعقول أن تبدأ هى بتنفيذه دون العرب وأن يكون البدء بتصريح سياسى لا يحتمل التأويل بضمان ذلك لهم والقيام بعمل يدل على ذلك كترك ما استولت عليه من البلاد العربية للعرب أنفسهم وهذا يكون خير تمهيد لاقناع حلفائها موافقتها السياسية على هذه السياسة المثلى ٠٠

ويشير رشيد رضا فى هذه الوثيقة أن هذا رأيه ورأى اخوانه المقيمين فى مصر الذين يرون أن منتهى مايمكنهم من السعى لخدمة أمتهم وبلادهم فى هذا الزمن العبوس القمطرير هو ان يبلغوا دولة بريطانيا العظمى آراءهم وأمانيهم التى يعتقدون أنها أمانى العرب والمسلمين كافة (وقد فعلنا) فان أسعدهم الحظ بقبول طلبهم شكروا بما استطاعوا من قول وعمل ولا يكون نصـــيبهم من عملهم حينئذ كنصيب من ذهب من اخوانهم الى البصرة باذن السلطة البريطانية هنا فالقتهم الحكومة الانجليزية فى السجن هناك ولا تدرى من تقبل

---

(٢١) ارجع الى نص المذكرة فى ملاحق البحث ٠

الشفاعة بالافراج عنهم واذا لم يسعدهم الحظ بقبول طلبهم فانهم لا يشتغلون بالسياسة العربية ولا غيرها البتة بل ينتظرون تصاريف الاقدار والله يفعل مايشاء ويختار(٢٢) ٠

وليس هناك فى الوثائق ما يكشف لدور محب الدين الخطيب بعد عودته الى القاهرة وانما وجدت عنده وصايا تركها شـــهداء مشانق جمال باشا السفاح ومن غير المعروف كيفية وصولها اليه فى القاهرة وكان الخطيب من جملة الذين حكمت عليهم محاكمة جمال باشا غيابيا بالاعدام ولم ينفذ فيه بالطبع لوجوده فى القاهرة(٢٣) ٠

---

(٢٢) ارجع الى نص ملحق المذكرة فى الملحق ٠ والاشـارة هنا بالطبع الى محب الدين الخطيب والعتيقى ٠

(٢٣) سليمان موسى : وجوه وملامح ص ١٤٠ ٠

الفصـــل الخامس

خدمتـــه مع الشريف حســـين

بعد مجيء الخطيب الى مصر من البصرة أعلن الشريف حسين ثورته على نحو ما هو معروف فى ١٠ يونيو ١٩١٦ وبعد أن جاء الشريف الفاروقى الى مصر معلنا تسليم نفسه للسلطات البريطانية فى جملة الدردنيل كاتب الشريف حسين فى ٥ ديسمبر ١٩١٥ عرفه بنفسه وقال انه أحد الضباط الذين بايعوا الشريف وعرض على الشريف حسين أن يكون وكيله فى مصر ٠

ويقول الخطيب فى مذكراته أن الدار التى اختارها الشريف الفاروقى للعمل باسم الوكالة العربية كانت فى عمارة واقعة بأول شارع المدابغ ـ شارع شريف الآن ـ مجاورة لدار الأهرام وهى على الجانب الأيمن من الشارع ٠٠ وكان أنصار القومية العربية يترددون على الوكالة العربية وفى طليعتهم عزيز المصرى وكان يلذ له سماع فؤاد الخطيب وهو يترنم بقصائده البليغة عن القومية العربية ٠٠ وعزيز المصرى هو الذى أشار فى تلك الفترة باستدعاء نورى السعيد

من معتقله في الهند ، وكان قد فر من استنبول الى مصر بعد محاكمة عزيز علي في شباط ١٩١٨ ومن مصر ذهب الى البصرة فأرسله كوكس الى الهند ٠٠ ولما أخذ الشـــريف حسين يطلب من الوكالة العربية ومن الشـــريف الفاروقي الأعوان له من شـــباب العرب ورجالاتهم ، كان الشـــريف الفاروقي يرســـلهم له دون سابق علم الشريف حسين بأسمائهم أو معرفة شخصياتهم فالاختيار يقع عليهم من القاهرة ٠٠ » لكن الخطيب يوضح أن الاختيار عليه جاء بالأسم ببرقية صدرت في رمضان ١٣٣٤ (يوليو ١٩١٦) أي في الأسابيع الأولى من قيام الثورة(١) ٠

ويرجح الخطيب أن الذي زكاه لدى الشريف هو الشيخ كامل القصاب ممثل العربية الفتاة الذي وصل الى الحجاز قبل الثورة ٠

وفي الوثائق البريطانية ما يفيد أن اجتماعا عقد بين عزيز المصري وشيتام أبرق هذا الأخير للخارجية البريطانية في ١٦ نوفمبر ١٩١٤ اقترح عزيز على الانجليز التحقق من وجود ضابط عربي في الجيش التركي اسمه نوري السعيد ٠ وأبرقت وزارة الهند بذلك الى نائب الملك في ١٩ نوفمبر ١٩١٤ وردت حكومة الهند في ٨ ديسمبر ١٩١٤ بأن طالب النقيب ذهب لابن السعود ولا ثقة فيه مطلقا ٠٠ أما مزاحم الأمين ونوري الســـعيد فانهما في البصرة ٠ وأفادت الوثيقة بمقابلة نوري السعيد لبرسي كوكس وأنه لم يقتنع بما يدعو اليه نوري السعيد(٢) وتبع هذا ارسال نوري السعيد الى الهند وعاود عزيز مساعيه لدى السلطات البريطانية في مصـــر حتى استدعت نوري السعيد الى القاهرة ٠

---

(١) يقول الخطيب ان نص البرقيــة الخاصــة بذلك كل محفوظا في أوراق الشريف الفاروقي التي جمعها ابن عمه وطبعها في بغداد بعنوان (مقدرات العــراق) ٠

(٢) نقلا عن مكي شبيكة ص ٦٢ ٠
F.O. 371 — 2140. India Office 8 Dec. 1914.

يقول الخطيب انه سافر الى الحجاز مع نورى السعيد • ومن الوثائق التى نشرها أمين سعيد أن أول قافلة من الجنود العرب غادرت السويس للالتحاق مع الشريف كانت بتاريخ أول أغسطس ١٩١٦ (٢ شوال ١٣٣٥) كانت تتألف من ٧ ضباط منهم نورى السعيد(٣) •

سافر الخطيب بعد عيد الفطر كما يقول لتأسيس مطبعة أميرية لحكومة الحجاز واصدار جريدتها الرسمية القبلة •

ويحتفظ الأستاذ الخطيب بأعداد صحيفة القبلة التى كان مديرها بين وثائقه وأوراقه • وقد أختار اسم القبلة من الآية الكريمة : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » •

وقد تصدرت هذه الآية الكريمة كل أعداد الصحيفة كما تصدرها اسم محب الدين الخطيب مدير الجريدة واسم المطبعة الأميرية فى شعب جياد وأعلن أن الصحيفة جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين فى الأسبوع لخدمة الاسلام والعرب •

والشيء الذى ينبغى توضيحه أن أول عدد لصحيفة القبلة صدر بتاريخ ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ (١٦ أغسطس ١٩١٦) ومعنى هذا أن الخطيب بدأ منذ وصوله الى الحجاز يستعد على الفور لاصدار هذه الصحيفة • فقد استهدفت هذه الصحيفة بالطبع الدعوة الى الأهداف التى من أجلها ثار الشريف حسين وأخبار انتصاراته على القوات التركية والمنشورات التى كانت تصدر لتوضح مساوىء الاتحاد والترقى والتى تبرر السبب لثورة الشريف حسين • وقد عهد الى محب الدين الخطيب بالاضافة الى ادارته للصحيفة واصداره لها تحرير هذه المنشورات التى كانت توزع بين القبائل العربية فى الحجاز بهدف كسبها الى جانب الثورة • وتبين أوراقه الكثير من

---

(٣) أمين سعيد جـ ١ ص ٢١٨ •

هذه المنشورات • كان كل منشور يشير الى سابقه • « اما بعد فاننا لا نرتاب والثناء للباري جل شأنه بأن منشوراتنا السابقة قد أتت بمشيئة الله تعالى وتيسيره الغاية المقصودة من نشرها نعلم من أردنا اعلامه عن البشر عموما والمسلمين خصوصا أسباب نهضتنا ومسوغاتها الأهلية والنقلية •

والذا تيمنا بمشيئة الله تعالى واتباعا لحكمة ما أراده بقوله عز من قائل (ليزداد الذين آمنوا ايمانا) رأينا أن نلفت أنظار جميع المسلمين الى جناية أخرى من جنايات المتغلبة التورانيين تربوا على كل ما تجرأ عليه قبل الاوان وتدل على ما في نفوسهم من المروق والطغيان •• كيف لا وقد ثبتنا بالعيان والنظر ما تعدى هؤلاء المتغلبين في هذه المرة على الأموات والأحياء من أفراد العالم الاسلامي بنهبهم وسلبهم كل ما تحتويه حجرة نبيهم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من هداياهم وتركاتهم التى أرادوا بها تكريم ساحاته الطاهرة •• » ••

وتمضى المنشورات تدعو الى الثورة •

« وعلى هذا فاننا نعلن لمن بقى من مسلمى المملكة التركية وخصوصا جيشها وقوادها بأنهم اذا لم ينهضوا لاسقاط حكومة هؤلاء التورانيين الأغرار ويعلنوا براءتهم منهم فاننا نقطع آخر أمل لنا بعودة رونق الاسلام لتلك المملكة وتكون فاتحة براءتنا فيها طي اسم سلطانها من خطب الجمعة التى أبقينا اسمه فيها حتى الآن حرمة لآثار أسلافه وأملا بقيام من يخلص البلاد من المتغلبين عليها « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » « ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو ولى التوفيق » •

ولم تكن القبلة توزع فى أنحاء الحجاز فقط بل أرسلت الى العراق • فقد وجدت فى وثائقه طلبا من المقيم السياسى فى بغداد يطلب ارسال عشرين نسخة من كل عدد من أعداد القبلة ويدفع ثمنها فى المكتب العربى • كذلك جاءته رسائل من الخرطوم من ابراهيم ديمترى صديقه يقول له تحصلت فى يوم واحد على أكثر من خمسين

مشتركا • ولو كان لدى متسع من الوقت لكنت أجمع لك اسماء الكثيرين من الذين يرغبون الاشتراك • أرسلت كذلك الى مصر فمن بين الرسائل عنده رسالة من شخص اسمه « حمود جيد الايوبى الى السيد محب الدين مدير القبلة الغراء ان مسلمى مصر لمعجبون كثيرا بحسن نظام القبلة الوضاءة وجمال ترتيبها شاكرين لكم شكرا جزيلا عملكم الخالص فى خـــدمة البيت المحمدى الأعز والعرش الهاشمى •• وانهم (مسلمو مصر) يرددون بين الجوانح وصميم القلوب دامت القبلة فى ظل صاحب الجلالة العربية الهاشمية •• » •

وأرسل عونى عبد الهادى من باريس فى ٢٥ أبريل سنة ١٩١٨ يرجوه ان يكون مراسلا لهذه الصحيفة يقول له ، طلب الى بعض الاخوان أعمل وأياهم فى هذه العاصمة على خدمة بلادنا ان أسعى اليك لاكون محررا لجريدة القبلة فهم يعتقدون أن ذلك يفيدنا هنا فائدة كبيرة • اسم جريدة القبلة كبير عند الساسة الفرنسيين لانها لسان حال الأمة العربية فاذا كنت أعمل كمخبر لهذه الجريدة فانى أتوصل بفضلها الى ما يصعب الحصول بدونه » •

« كنت كتبت الى حضرة الزعيم بك العظم بهذا الصدد وشرحت له أهم الأسباب التى طلبت اليه فى مساعدتى فى أن أكون محررا لجريدتى القبلة والاهرام ورجوته مساعدتى دون أن أحظى منه بخبر الى الآن • لذلك رأيت أن أكتب اليك رأسا » •

« انى لم أزل ولن أزل على دين من قتلوا من اخواننا العريسى والمحمصانى وعارف وسليم عبد الهادى وان ارتد عن هذا الدين بعض اخواننا فى السياسة فانا لن أرتد ولن أبغى عنه عوضا » •

ويقترح عليه عونى عبد الهادى أن يرسل له مقالة او مقالتين فى الأسبوع ويلتمس ارسال ورقة اعتماد وتفويض مختوم بختم الجريدة وان تكون على نسختين بالعربية والافرنكية •

ولكن لم أجد بين اوراق الخطيب ما يفيد أنه أرســـل لعونى عبد الهادى بما يطلب وأخذ الخطيب فى صحيفته بنشر ما ترى حكومة

الشريف نشـــره من أخبار تقدم قواتها فى انحاء الحجاز مطاردة للقوات التركية أو أخبار باعفاء بعض عربان جهينه والشمال الذين بالوجه والمويلح والعقبة من الزكاة وغيرها من الموضوعات ٠

وفى المذكرات التى كتبها الخطيب خلال هذه الفترة يلمس الباحث قربه من الشريف حسين وأنه كان يلتقى بالشريف يستشيره فيما ينشره فى صحيفته ويعرض عليه كثيرا من المقالات والشريف يشير بنشرها أو تعديل فيها أو منع نشرها حتى أصبح الخطيب موضع ثقة الشـــريف فكثيرا ما كان يأخذ بما يراه الخطيب تجاه مقالات ومنشورات الصحيفة ٠

ويطلب منه الخطيب استحضار محررين للصحيفة من مصـر فوافق الشريف على استخدام الشيخ على الغاياتى وابراهيم سليم النجار ليكتبا عن الحركة براتب شهرى(٣) وكان الشريف قد كلفه فى اليوم السابق لذلك (١٩١٧/٢/٢٨) بكتابة منشور عن نقله لجوهرات الحجرة النبوية خشية أن تسرق ٠

وذكر الخطيب أنه كان من وراء استدعاء الشريف حســين لعزيز المصرى للعمل فى تنظيم جيش الشريف فقد الح هو وصديقه الشيخ محمد كامل القصاب على الملك حسين بالاستفادة من عزيز المصرى ونبوغه العسكرى وسمعته المهيبة عند الترك ، بحيث لو حضر الى الحجاز وتولى ادارة القوة العســكرية فيه فان رجال الجيش التركى يعتبرون ذلك كأنه جيش جديد أضيف الى الجيش الذى يقاتلهم فى سبيل استقلال الحجاز وبلاد العرب عن حكمهم الممقوت ٠ وبعد الحاح متكرر لم يشأ الشريف حسين ان يطلب عزيزا المصرى مباشرة وصراحة بل قال اكتبوا له ليحضر ، « فكتبت رسالة شبه رسمية الى الوكالة العربية بان نرجو عزيز على الحضـــور وان يقام له بأسباب راحته » ٠

ويذكر نورى السعيد فى كتابه ، محاضــرات عن الحركات

---

(٣) أول مارس سنة ١٩١٧ مذكرات الخطيب .

العسكرية للجيش العربى فى الحجاز وسوريا(٤) ان عزيزا وصل الى الحجاز فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٦ بعد اتصالات أجراها معه الفاروقى وتزكية المسئولية الانجليز له ٠

لما حضر عزيز الى مكة استقبله الملك (على حد قول الخطيب) ببرود ثم خلا به فى جلسة سرية طالت اكثر من ساعة وفى نهايتها أعلن توجيه لقب أمير الى عزيز المصرى وتعيينه وزيرا للحربية لكنه لم يمكنه من أى عمل ولم يجعل فى يده أى وسيلة تمكنه من تنفيذ مايراه ٠

وطبقا لرواية الخطيب فى مخطوطه السابق الاشارة اليه بعنوان « سيرة جيل » « أنه لما ضاق صدر عزيز المصرى من هذه الحال زار الملك زيارة أخرى وقال له : انه لم يحضر الى الحجاز ليحمل لقب أمير أو وزير وانما حضر ليعمل ، وقد طال أمر احتلال الترك للمدينة بقيادة فخرى باشا ، فذكر للشريف أنه يستطيع انتزاعها من يدهم بقوة خفيفة يقودها بنفسه اذا أمده الشريف بمقدار من الرشاشات والمدافع الخفيفة الحمـــل ثم تكون القوتان ـ النظـــامية واليدوية الموجودتان فى رابغوينبع ردءا له عن ورائه تلبى طلبهبالتقدم السريع اذا طلبها ، وبذلك يصل الى الغرض بعشر الوقت الذى يصل اليه لو بقوا على ماهم عليه الآن ٠ فاعتذر الملك حسين بان الانجليز لا يلبون طلباته فى الاسلحة والمهمات التى يبعثونها له ويلح عليهم بطلبها ٠ بل يرسلون له غيرها مما لا ينتفع به ٠ واســتشهد له بالمدفعين الضخمين القليلى الفائدة الذين أرســلوهما على الباخرة التى حضر عليها محب الدين ونورى السعيد وما احتاج اليه نقلهما من جدة الى مكة ثم الى رابغ من خيول استرالية صــعبة الخدمة والمئونة ،وبعد ذلك لم يكن لهذين المدفعين من فائدة غير صــوت طلقاتهما العالى الذى تكون فيه جعجعة بلا طحن ٠ فقال له عزيز المصرى : هل تأذن لى بان أذهب الى رابغ وأبحث عما ينقص فيها

---

(٤) نورى السعيد : محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربى فى الحجاز وسورية ص ١٩ نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ص ٢٩٣ ٠

من طلباتي ثم اذهب بنفسي الى مصر فأطلب رسميا باسم وزارة الحربية الحجازية هذه الطلبات ولا أعود الا وهي معي ثم أتخير من الضباط والجنود من يصلح للحملة الخفيفة التي أريد تشكيلها وأجرب حظي في عمل سريع أعتقد أنه يقتصد لنا تسعة أعشـــار الوقت فقال له الملك ببرود أعمل ما تشاء وقام عزيز المصرى من عنده متوجها مع أول باخرة قامت من جدة الى رابغ ٠ وفى رابغ انتظر أول باخرة قامت منها الى السويس وما كاد يبحر متوجها الى السويس حتى كتب الملك ارادة سنية الى محمود القيسوني أفندى اليوزباشى يومئذ فى الجيش المصرى والمعار للحجاز بأنه وجه اليه وزارة الحربية وأمره ان يباشر أعمالها وأن يتصل بالقوة النظامية التى في رابغ وينبع ويبلغها بأنها أصبحت مرتبطة به بصفته وزيرا للحربية الحجازية ٠٠ »

وهناك يوميات له كتبها عندما كان يعمل مع الشريف حسين كتب فيها بتاريخ ١٩١٧/٢/٢٢ ٠

« علمت اليوم أن عزيز المصرى سافر الى مصر بلا استئذان فعد ذلك استقالة وشاع تعيين القيسوني ولكن لم يعلم بذلك أساسا رسميا الا أن الناس أخذت تذهب لتهنئته ٠

« دعانى الملك الى القصر أنا والشيخ كامل (القصـــاب) والدكتور منير أحمد فلما استقر بنا المقام قال الملك أن منير أخبر قاضى القضاة أن لديه معروضات بخصوص عزيز المصرى ٠ فأخذ منير يذكر اخلاص عزيز فأظهر الملك تألمه وقال « اننا لم نملأ عين الرجل قد ظهر أننا غير متفقينفى الرأى وهناك أشياء كثيرة سوف تعرفونها ٠ فأجاب منيربأنه يخشى من تعلق الضباط به فأجابه الملك (من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حىلا يموت) فالنهضة باقية وان ذهب عزيز فمن كان جاء لأجل شخص فلا حاجة لنايه ومن جاء لأجل العرب ونهضتهم فلالتزال أمامه واجباته ٠ وأشار الى رأى عزيز فى السياسة المزدوجة والى أن عزيزا كان يتحرج ويتجافى وحينئذ صرحت له أنا والشيخ كامل

باعتقادنا ورأينا فى عزيز وضعف سياسته وأن خطته انحرفت بنا رسفره مفيد لنا ·

وحين ترك عزيز المصـــرى خدمة الجيش وعاد الى القاهرة وسقط الحسين عن عرشه الهاشمى كتب الخطيب دراسة له فى مجلة الزهراء[٥] بعنوان الحسين بن على كما رأيته فى ثلاث سـنوات صدر بمناسبة سقوط الحسين فقال ان موقفه من عزيز المصرى يدل على سوء ظن الملك حسين بالناس ووقوفه فى طريق العمل الجدى الصـــادق وذكر فيه بينما كان فى عمله فى الجريدة (القبلة) فى أحد الأيام وكانت علىأهبة الصدور ، اذ اتصل به الملك تليفونيا وأمر بالحضور اليه فى القصر الملكى لأن جماعة من السـوريين والعراقيين والمصريين الموجودين فى مكة يجتمعون عنده · ووصل محب الدين الى هذا الاجتماع متأخرا وكان الاجتماع أوشك على الانفضاض · فلما وصل محب الدين « قال الملك لمحمود القيسونى اطلع محب الدين على الرسـالة التى معك » ولما أطلع عليها محب الدين رأى أنها رسالة رسمية من وزير الحربية محمود القيسونى الى نورى السعيد قائد القوة النظامية فى الجبهة يبلغه فيها أن الارادة السنية الهاشمية صدرت بتوجيه وزارة الحربية اليه وأمره أن يبلغ القوة النظامية بأنها أصبحت مرتبطة به وأنه مسـتعد للنظر فى شئونها ·

ولما وصلت الرسالة الى محمود القيسونى حضر بها الى الملك وأطلعه على ما كتبه نورى السعيد وقال له أن هذا الضابط متمرد على الارادة السنية الهاشمية وصدق الملك ودعا كل من فى مكة من السوريين والعراقيين والمصريين وأطلعهم على الرسالة وسألهم ماهو جزاء الضابط الذى يتصرف هذا التصرف ؟ وكان أول من تكلم فؤاد الخطيب الشاعر وكان وكيلا لوزارة الخارجية فقال : ان جزاء مثل هذا العمل فى البلاد الأخرى الاعدام · وسكت الآخرون · وعندئذ

---

(٥) مجلة الزهراء المجلد الأول المجلد الثالث ص ١٩٠ – ٢٠٠ : الحسين ابن على كما رايته فى ثلاث سنوات ·

وصل الخطيب فذكر له الملك أن فؤاد الخطيب يقول ان جزاء ذلك الاعدام وقد أدرك محب الدين أن الموقف خطير وأن من وراء نورى السعيد كل من معه من زملائه من الضابط العراقيين والذين كانوا فى جمعية العهد التى أسسها عزيز ومعنى ذلك حدوث فتنة فى جيش الشريف فأجاب محب الدين :صدق الشيخ فؤاد فان جزاء ذلك فى البلاد الأخرى الاعدام · الآن الضابط الذى يفعل ذلك تكون خزانة الدولة قد قامت بأعباء معيشته فى سنوات السلم ، وتكون الدولة قبل ذلك قد علمته فى مدارسها وكونته لمثل هذا اليوم · والحالة التى نحن عليها لا تنطبق على ذلك ، فالضابط الذى كتب هذه الجملة المستنكرة قضى سنوات السلم السابقة فى غير حكومتنا وتعلم قبل ذلك فى مدارس غير مدارسنا ، وفى هذه السنة حضر الينا لا للمتعة والاستفادة بل لينخرط فى جبهة القتال فى سبيل حركة كان يتمناها منذ دخل فى جمعية العهد على يد قائد له مكانة عسكرية وهو عزيز على المصرى الذى ينتظرون فى الجبهة أن يعود من مصر ليشترك معهم فى قتال يعتقدون أنه مشرف لهم · وقد يكون الضابط كاتب هذه الجملة مخطئا ومنهورا ولو كنت مـــكانه لم أكن لأتصـــرف تصرفه ، ولكن اذا فكرنا فى الأمر من وجهة نظره ومن جهة رابطته بعزيز المصرى ، ثم لتقديره لعزيز المصرى لأنه قائد فنى من أركان الحرب فاننا لا نخطىء اذا عذرنا · وحملنا تصرفه على اندفاعه فى الرغبة لنجاح المهمة التى قام بها لا لخيانة الجهة التى هو يخدمها · ومايدرينا لعل له زملاء لو كان القلم بيدهم لكتبوا مثل ماكتب · وعلى كل حال فالتشبيه الذى ذكره الشيخ فؤاد الخطيب بين هذا الحادث وبين أمثاله فى البلاد الأخرى هو تشبيه مع الفارق ·

ولما انتهى محب الدين من كلامه أثنى عليه الملك ·· وبعد انتهاء الاجتماع وذهاب الخطيب الى المطبعة الأميرية فى الحجاز لمباشرة طبع القبلة فوجىء بدخول نورى السعيد عليه يشكره وعندما سأله كيف عرف بالاجتماع ومتى حضر من الجبهة الى مكة فأجابه أنه علم به من بعض العراقيين الذين حضروا آنفا وانه قبض عليه فى مكان عمله وأرسل تحت الحفظ الى جدة ومنها الى مكة ، وقد وقد مضى عليه بمكة يومان تحت الحفظ فى دار الحكومة (التى

كانوا يسمونها الحميدية) ثم أطلق سراحه فى هذه الساعة ليعود الى عمله ٠

ويستدل الخطيب على هذا الحادث أنه نتيجة نخطأ الملك فى معاملته لعزيز المصرى وسوء ظنه به وخوفه من أن القوة التى يريد أن يكون على رأسها قد يستعملها فى تكوين سلطة يزاحم بها سلطة الملك وأولادد « ولو كان يحس فى طية القلوب وقراءة ما فيها لأدرك أن عزيز المصـــرى كان مخلصـــا وأن مجيئه للتعاون على الخير والنجاح » ٠

٠ وهذا الذى يقرره الخطيب عن عزيز المصـــرى يتنـــاقض مع تصريحه للملك حسين حين أشار عليه بالاستغناء عن عزيز أن سفره معيد لنا ٠

بالبحث فى أوراق الخطيب يجد الباحث ما يفسر هذا التناقض فى رأى الخطيب فى عزيز المصرى ذلك أن النزعة الاقليمية كانت واضحة لدى المتعاونين مع الشريف حسين واخذ الحجازيون ينظرون الى السوريين والمصريين والعراقيين الذين جاءوا للعمل مع الشريف نظرة من استأثروا دونهم بالمناصـــب ومن ذلك نجد فى مذكرات الخطيب عندما كان فى الحجاز فهو يكتب بتاريخ ١٩١٧/٢/٢١ أنه لاحظ فى هذا المساء أن الشريف يحب ان يقنع الحجازيين باخلاصنا لهم ورغبتنا فى خدمتهم فقدقال للقاضى (قاضى القضاة) وكان نسيه الشيخ عابد موجودا أن تعيين محب الدين أمر ضرورى لى ان أجعل أحد عمال الدين فى خدمة هذا البلد وأهله وكان ذلك على اثر قول القاضـــى : ان عبدكم محب الدين أخبار فى مقـــالة القلب والابدال » ٠

ويكتب الخطيب بعد ذلك فى ١٩١٧/٢/٢٢ ٠ ٠قال ابى شيخ الحرم اليوم للدكتور نديم صلاح أن الشيخ على المالكى اخبره أن السوريين سقطوا من عين سيدنا فأولاد البكريين أبعدوا كل واحد لجهة وهو لا يعبأ بالآخرين وأن الشيخ كامل (القصاب) تكلم فى المدرسة على أهل مكة فأجابه أحد التلاميذ ان أهل الشـــام قتلوا

الحسين فوجم الشيخ كامل ولم يجب •• ويقول أبو شيخ الحرم ان هذه الأكاذيب وصل خبرها لجلالة الملك ٠

وقد أوضحنا فى كتابنا عن عزيز المصرى من الوثائق البريطانية ما ذكر كأسباب لابعاد الشريف لعزيز المصرى غير تلك التى أوردها الخطيب فى مذكراته وأهمها اتصاله بالكولونيل ولسن وطلبه صلاحيات لانشاء قوة نظامية وماكان من حديثه مع نيوكمب وما افضى به الكولونيل نيوكمب لعزيز عن اتفاق بريطانيا وفرنسا بشأن سورية ومانقله عزيز للشريف وتبع هذا مكاتبة الشريف يسأله عن الحقيقة وأبرق ولسون بذلك فى ١٧ مارس ١٩١٧ الى كلايتون يحيطه علما برسالة الشريف وقدم ولسون توصيته الشخصية أن يجرى اطلاع الشريف على الهدف الحقيقى لبعثة سايكس بيكو ٠ ويجد القارىء تفصيلا لذلك فى كتابنا المشار اليه(٦) ٠

وكان لمحب الدين الخطيب اليد الطولى فى اطلاع الملك حسين على أفكار رجال الحركة العربية وخططهم وأمانيهم ومن جملة ذلك فكرة الوان العلم العربى التى كانت العربية الفتاة قد أقرتها قبل الثورة ٠ وقد حدث الخطيب الأستاذ سليمان موسى فى هذا الموضوع فى رسالة منه اليه بتاريخ ٢١ مايو ١٩٦٦ قائلا :

« ولما دعانى الملك حسين الكبير لأتعاون معه فى بداية الثورة العربية الأولى ولاصدار له جريدة القبلة كان يرفع على بيته وفى المناسبات علما أحمر عنابيا يسميه علم الشريف، نمى فاقترحت أنا والشيخ محمد كامل القصاب الألوان الثلاثة للعلم العربى فاعتذر بأن عندهم علم أبى نمى ، فقلت له : يمكننا أن نستعمل اللون الأحمر العنابى فى زاوية العلم فيكون منه فى موضع القلب ٠ ومن ثم وافق وصار للعلم أربعة الوان(٧) ٠

---

(٦) نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ص ٣٩٥ ٠

F.O. 882/6, 638/33, 34.

F.O. 371/3396.

(٧) سليمان موسى : وجوه وملامح ص ١٤٠ ٠

والمعروف أن رجال الحركة العربية دار تفكيرهم قبل الحرب على أن يكون لهم علم قومى خاص بهم وبحث بعض الشبان العرب من مؤسسى المنتدى الأدبى مسألة هذاالعلم وتوصلوا الى القول بان علم المستقبل يجب أن يتألف من الوان أربعة هى الأبيض والأسود والأخضر والأحمر ثم بحثت جمعية العربية الفتاة هذا الموضـــوع فى اجتماع لاعضاء مركزها الرئيسى عقد فى شهر مارس ١٩١٤ فى مكتب جريدة المفيد فى بيروت واتخذوا قرارا لهم بان يتألف علم الدولة العربية المستقلة من ثلاثة الوان : الأبيض ويرمز للدولة الأموية والأسود ويرمز للدولة العباسية والأخضر رمز الدولة الفاطمية وفى ١٨ مارس سنة ١٩١٤ كتب محمد المحمصانى عضو الفتاة رسالة خاصة الى زميله محب الدين الخطيب وكان يقيم فى القاهرة رسالة جاء فيها ما يلى :

" قررت (اتاء) أيضا فى جلستها الأخيرة أن يكون شـــعارها الألوان الثلاثة التى تمثل الدولة العربية الثلاث : أخضر فأبيض فأسود(٨) ·

وقررت تكليفك بعمل ختم لها بحرفى ع · ف مع صورة نخلة تاركة لحسن ذوقك انتخابك شكل ذلك الختم ·

وعرض محب الدين الخطيب هذه الرسالة على زملائه فى حزب اللامركزية العثمانى فرد ســـكرتير الحزب (حقى العظم) برسالة بعث بها الى المحمصانى جاء فيها أن أعضاء اللامركزية يستحسنون الفكرة وقرروا الأخذ بها · وقد استهل حزب اللامركزية بيانه الذى نشره بعنوان (الصرخة الثالثة) ووجهه الى ابناء الأمة العربية بالعبارات التالية التى تتضمن اشارات واضحة الى الوان العلم العربى سلاما أيتها الأمة سلام بر أمين · يظلله فى (سواد) الليل (بياض) الضمير و (خضرة) الأمل اليقين ·

---

(٨) اوراق الخطيب وكذلك سليمان موسى : الحركة العربية ص ١٣٦ و (اتاء) رمز للجمعية ·

وقد أخذ الشريف حسين بوجهة نظر الخطيب فى مسألة العلم وأبلغ مواصفات العلم الى السير هنرى مكماهون وطلب اليه اعطاء التعليمات للسفن البريطانية والحليفة فى البحر الأحمر أن لا تتعرض بسوء للقوارب العربية التى ترفع ذلك العلم ، وأبلغه أيضا أن هذا العلم مؤقت وانه سوف يصبح علما رسميا تبلغ مواصفاته الى جميع الدول ٠ وقد أبرق المكتب العربى فى القاهرة بذلك فى ٧ يوليو ١٩١٦(٩) ٠

ونشرت جريدة القبلة فى ٢٨ مايو ١٩١٧ بيانا رسميا جاء فيه أنه قد تقرر رفع العلم العربى ذى الألوان الأربعة ٠ وقال البيان أن العلم الجديد يتألف من مثلث أحمر اللون (عنابى) تلتصق به ثلاثة الوان أفقية متوازية هى الأسود من فوق ثم الأخضر ثم الأبيض ٠ وأوضحت القبلة أن اللون الأسود هو رمز راية (العقاب) التى كان النبى عليه أفضل الصلاة والسلام يرفعها فى حروبه ، وهو اللون ذاته الذى اتخذه العباسيون شعارا لهم ، وان اللونين الأخضر والأبيض كانا أيضا من الشعارات التى رفعها العرب قديما ، وان اللون الأحمر العنابى هو لون الراية التى اعتاد الاشراف أن يرفعوها منذ عهد الشريف (ابى نمى) الذى عاصر السلطان سليم العثمانى وقالت القبلة أن الوان العلم الجديد جامعة لرموز الاستقلال العربى فى كل أدواره التاريخية(١٠) ٠

وقد أشار الدكتور أحمد قدرى فى مذكراته الى أن العربية الفتاة هى التى أوحت للشريف حسين باتخاذ الوان العلم العربى الأربعة المعروفة وليس فى روايته هذه تعارضا مع رواية الخطيب لأن الأخير كان عضوا معتمدا للعربية الفتاة فى القاهرة كما هو معروف أما جعفر العسكرى فيذكر فى مذكراته حسبما ذكر الدكتور زين نور الدين

---

(٩) رسالة الشريف الى مكماهون فى ملف الأرشيف البريطانى وكذلك نقلا عن سليمان موسى الحركة العربية ص ١٣٧ ٠

F.O. 141/461.

F.O. 882/4 No. 1G 851.

(١٠) ارجع الى عدد القبلة المذكور بين أوراق الخطيب ٠

فى كتابه نضال العرب فى سبيل الاستقلال(١١) فى أثناء اقامته أسيرا عند الانجليز فى مصر عرض عليه الجنرال كلابتون نموذجا للعلم العربى وقال له (هذه هى رايتكم العربية بالوانها العربية لقد أعد الملك حسين تصميمها بنفسه) ٠

وهذا يناقض ما ذكره مارك سايكس من أنه هو الذى وضع الوان العلم العربى واقترحها على الشريف حسين فهناك رسالة منه الى ريجنالد ونجت تتضمن اقتراحا بعلم عربى جديد يحل محـل العـلم الأحمـر الذى رفعته الثورة خلال عامها الاول وقد أرفق برسالته تصاميم مختلفة لكى يقع الاختيار على واحدة منها(١٢) ٠

ومن الأمر التى يستفيدها الباحث من أوراق الخطيب كذلك خلال خدمته مع الشريف حسين حديثه عن العملة التى استخدمتها حكومة الشريف فيقول فى مذكراته بتاريخ ١٩١٧/٣/١ أن : ممثل الحكومة الفرنسية فى الحجاز حظى بالمثول يدى جلالة الملك وعرض على أسماع جلالته مسألتين :

١ ـ أن تكون النقود العربية على نظام الفرنك وقيمته ذهب وفضة ٠

٢ ـ أن تعتبر الفاتورة الأصلية فى تقدير أثمان البضائع فى الجمرك عند أخذ الرسوم عليها ٠

فأجابه جلالته على المسألة الأولى بانه لاحظ فى مقاييس النقود الحجازية أتساع دائرة التعامل التجارى بين الحجاز والهند ٠

وقال فى المسألة الثانية سبق لنا تخيير التجاريين أن تجمرك بضائعهم بموجب الفاتورة الأصلية ويجبروا على البيع بحسبها مع اضافة المصاريف الحقيقية وربح قليل أو أن تجمرك بحسب سعرها فى أسواق الحجاز فاختاروا الثانية ٠

---

(١١) زين نور الدين : نضـال العرب فى سبيل الاستقلال ص ٢٥ ، نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ٠

(12) Share Leslie, Mark Sykes, His life and letters P. 274.

وأخبره ممثل الحكومة الفرنسية ان جمال باشا أمر بسحب قوات المدينة والسكة الحجازية الى جنوب فلسطين ·

وبالطبع ذلك لم يتحقق فقد ظلت قوات المدينة حتى انتهـــاء الحرب ·

ويقول الخطيب فى نفس مذكراته : فى مساء اليوم بعث الى جلالته بصورة النقود للنظر مرة ثانية فرأيتها وكتبنا حسب تعديلنا وزيدت كلمة (عاصمة الحكومة العربية الهاشمية) ·

وبعد سنتين من عمل الخطيب مع الشريف حسين التمس منه أن يسمح له باجازة يقضيها فى مصر وسافر الخطيب في سنة ١٩١٨ الى مصروقد أصدر رئيس الوكلاء قاضى القضاة عبد الله سراج قرارا بتعيين خلف له هو الشيخ عبدالملك الخطيب في ادارة المطبعة والجريدة ·

سافر محب الدين الخطيب الى مصر ومن مكاتبة لرشيد رضا يرى الباحث قطيعة حدثت بينهما فيكتب له رشيد رضا معاتبا انه عندما حضر من الحجاز لم يتصل به ويشكو له زميله فى المطبعة عبد الفتاح قتلان الذى أخذ ينشر الشائعات حول رشيد رضا وموقفه من الحركة العربية » ·· كنت أنتظر تزورنى بعد مجيئك من الحجاز فأشرح لك المسألة وأفوض لك أمر حلها وان كنت شريكا فيها متحدا بعبد الفتاح تمام الاتحاد ، ·· اننى لا ابالى بعد بعداوة أحد ولا صداقته الا فى الحق مادمت أعلم أننى على الحق ، ولا أفرط فى صداقة أحد ومودته بل لا أترك معاملة تاجر ولا صانع بتقصير منى عن عمد وسوء نية · أقول انك تعلم ذلك ان لم أكن واهما ذلك . أدركت أن أمير هذه البلاد (مصر) وأعلاها نفوذا كان معاديا لى وكان يتبعه فى ذلك أعظم ما فى هذه البـــلاد من القوى الأدبيـــة كالأحزاب والجرائد الاسلامية (ومنها المؤيد واللواء) وشيخ الأزهر ولم أكن مباليا لذلك ولا مهتما أقل الاهتمام بازالته · ولكن عبدالفتاح الذى يجهل ذلك هو ومن كانوا يجتمعون عنده فى المكتبة والبيت من أصحاب الفتن والدسائس فيطعنون فى وحدى تارة وفى حزب اللامركزية أو زعمائه تارة حتى أنهم كثيرا ما صرحوا بأننا نستحق

الاعدام وأنه هو العاقبة التى سننتهى اليها حتى سواء ذهبت بلادنا من أيدى الترك كما يرجحون أو بقيت فى أيديهم ·· وقد كان كل من يجىء من الحجاز أو غيره ويلتقى بهم ويجالسهم يصير عدوا لى وقد يخفى على ذلك زمنا طويلا كما جرى لخالد أفندى الحكيم فقد كنت عرفته عند السيد الزهراوى فى بلده معرفة مودة ولما جاء الى مصر لم أعلم بمجيئه الا بعد عدة أيام ·

ويلتمس رشيد رضا فى رسالته الى الخطيب أن يلتقى به لنسمع منه رأيه فى مسألة المكتبة وكذا فى خطتكم فى سياستكم العربية والحجازية وأن يعيد اليه المصحف الذى أخذها منه قبل سفره الى الحجاز ··

أوردت هذه الوثيقة لرشيد رضا لعلها تفسر السبب الذى من أجله لم يظهر اسم رشيد رضا ضمن الموقعين على مذكرة السوريين السبعة التى قدمت عقب اذاعة البلاشفة لاتفاق سايكس بيكو · فقد قال الخطيب انه أثناء اقامته فى مصر اشترك فى وضع المذكرة التى قدمها عدد من السوريين الى السلطات البريطانية فى مصر والتى عرفت باسم مذكرة السوريين السبعة وقال ان صاحب الفكرة هو الشيخ كامل القصاب الذى كان رفيقه فى السفر من الحجاز الى القاهرة · وأن الذى وقعها معه عبد الرحمن الشهبندر ، فوزى البكرى ، خالد الحكيم ، مختار الصلح ، رفيق العظم ، كامل القصاب ·

فلم أجد بين أوراق الخطيب مايثبت عودة العلاقات بينه وبين رشيد رضا الى ما كانت عليه قبل الحرب ولعل فى عدم رضا الشريف حسين عن رشيد رضا عندما زار الحجاز بعد اعلان الثورة وخطبته أمام الحسين وعدم رضاه عن تلك الخطبة ما لم يشجع الخطيب وهو يعمل مع الحسين على ازالة الجفاء بينهما خاصة وأن الخلاف دب بين رشيد رضا وشريك الخطيب فى المكتبة (عبد الفتاح قتلان) ·

وبعد اقامة الخطيب فى مصر فترة أجازته عاد الى الحجاز ليستأنف عمله كما كان من قبل وقد أشاد الملك عبد الله به فى فى

---

(١٣) أوراق الخطيب ·

مذكراته بعنوان الأمانى السياسية نشرت سنة ١٩٣٨ فقال : « ومن الذوات الذين سبقت لهم خدمات جليلة للقضية العربية والذى أحب على ما يظهر أن يتوارى لتكون خدمته خالصة لا لغرض ذاتي الرفيق المحترم السيد محب الدين الخطيب الذى تركته بمكة سنة ١٣٣٤ ولم أره الى اليوم والذى كان الوالد (الشريف حسين) له فى منتهى الوفاء • وقد استمرت جريدة القبلة تحمل اسم صاحب الامتياز محب الدين الخطيب حتى آخر عدد منها(١٤) •

والى جانب صحيفة القبلة أصـــدر الخطيب جريدة الارتقاء جريدة علمية ادبية تاريخية صدرت أسبوعية وكان أول عددها فى نوفمبر سنة ١٩١٧ (الخميس ١٨ شوال ١٣٣٥ هـ) فى مكة المكرمة يكتب فى أعلاها لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ـ صحيفة لخدمة النشء الجديدة من الشعب العربى وأنصار الأدب •

الدراســـة التى أصـــدرها الخطيب فى ٢٥ أكتوبر ١٩٢٤ فى مجلة الزهراء بمناسبة سقوط الحسين بعنوان : « الحسين بن على كما رأيته فى ثلاثة سنوات » قال فيها ان الحسين عندما تولى (امارة الحجاز) رسم لنفسه خطة أساسية وهى أن يستعين بقوة الدوله العثمانية على خســـف شـــوكة جيرانه أمراء الأقطار العربية الأخرى ، ولاسيما السيد الادريسى والامام بن سعود ليقنع الأستانة باخلاصه لها ، وليوسع نطاق امارته بعصا الترك ، وليجعل لنفسه هيبة بين القبائل •• ان الاتحاديين لم يحفظوا للشريف حسين باشا هذا الجميل ، بل كانت لهم أيضا خطة فى الحجاز يترقبون الفرص لتنفيذها ـ وهى أن يزيلوا امارة الأشراف نهائيا ويجعلوا البلاد ولاية تدار بما يشبه ادارة المستعمرات •• وهو (الشريف) يمتاز بذكائه النادر فى فهم شئون الحجازيين واستكشاف ضمائر المكيين •• » وقص الخطيب فيها كثيرا مما لاحظه من عادات الشريف أو نظام حياته مما يجعلها من الوثائق الهامة تفيد الباحث الذى يتناول الشريف حسين خلال توليه أمر الحجاز بالدراسة •

---

(١) الملك عبد الله : الأمـانى السياسـية نقلا عن سليمان موسى : وجوه وملامح ص ١٤٤ •

الفصـــل السادس

دورة مع الحكومة العربية فى دمشق

ظل الخطيب يعمل مع الشريف حسين مديرا لصحيفة القبلة وعطبعة الحكومة العربية الهاشمية حتى دخل الجيش العربى دمشق بقيادة الأمير فيصل فاستأذن محب الدين حسين أن يزور دمشـــق لرؤية أقاربه وأسرته هناك فأذن له الشريف على أن يعود فى أول فرصة . وأوصى ابنه فيصلا عليه بكتاب كتبه الشريف بخط يده يقول الخطيب أن الشريف كان قلما يكتب بخط يده بل يكلف كاتبه السيد أحمد السقاف بكتابه ما يريد لكن امعانا فى اظهار الحب للخطيب والثناء عليه كتب الشريف توصية للخطيب موجهة لابنه فيصـــل بوصيه بالخطيب خيرا ويثنى عليه .

يذكر الخطيب فى مخطوط له أن سفره من الحجاز الى الشام كان برفقة الأمير على شقيق الأمير فيصل حيث قضيا مدة بالمدينة المنورة الى أن تم الاصلاح المؤقت لسكة حديد الحجاز فسافرا عليها مغادرين المدينة في يونيو ١٩١٩ .

فبعد سفر فيصل الى باريس وعرضه للقضية العربية أمام مؤتمر الصلح جاءت لجنة كنج كراين كما هو معروف ٠

فى هذه الفترة الحاسمة عينت الحكومة العربية فى دمشق محب الدين الخطيب مديرا لمطبوعاتها ٠ فقد وجدت فى أوراقه أنه بعد عودته الى مصر طلبا قدمه لقيد اسمه فى نقابة الصحفيين فى مصر ذاكرا فيه تاريخ حياته الصحفية ٠ جاء فيه « عينته حكومة سوريا مديرا للمطبوعات مع جريدتها الرسمية (العاصمة) ومطبعة الحكومة بأمر رقم ٣٠٢٣/٧٥٦٣ فى ٣٠ يوليو ١٩١٩ ٠

قرر الخطيب اصدار صحيفة العاصمة مرتين اسبوعيا على غرار ما كان يفعل فى صحيفة القبلة التى كان يصدرها فى الحجاز ودراسة هذه الصحيفة (العاصمة) يرى الباحث صورة واضحة ومفصلة للأحداث التى مرت بها الحكومة العربية فى دمشق ٠ رغم أن جريدة العاصمة حملت اسم جريدة الحكومة الرسمية (١٣٣٧ هـ) الا أن الدارس لها يحس بفرق كبير بينها وبين القبلة لهذه الأخيرة كانت أشبه ما تكون بصحيفة وقائع تصدر الأخبار التى يسمح الشريف حسين بنشرها ٠ أما صحيفة العاصمة فكانت أشبه ما تكون بصحيفة حزبيه للعربية الفتاة التى كانت المسيطرة على دفة الأمور فى سوريا خلال تلك الفترة ٠ وامتلأت بالمقالات الحماسية التى أخذ الخطيب فيها يذكر اعتزازه بعودة الحكم العربى الى دمشق بعد أن حرمت منه مئات السنين فيقول مثلا تحت عنوان عروسى بلاد سام : استيقظى ياعروسى بلاد بنى سام والماسة ربوع الشام ٠ فالزمان قد استدار مرة أخرى ٠ استيقظى فان النوم قد مضى ودور السكينة والتراخى قد انقضى(١) ٠

وفى أعداد أخرى يخاطب علم سوريا يكتب يقول : النجمة البيضاء(٢) لقد خفقت منذ عشرة أيام فى أجواء سوريا فخفقت لك

---

(١) صحيفة العاصمة أول مارس (آذار) ١٩٢٠ ٠

(٢) العلم هو علم الثورة التى قادها الشريف حسين مضافا اليه نجمة سباعية بيضاء فى وسط مثلث احمر ٠

قلوب السوريين سرورا ٠٠ هى رمز الارتقاء ٠٠ هى رمز الثبات ٠٠ تلالىء أيتها النجمة البيضاء شعاعك فى الأفئدة الكثيرة(٣) ٠ وفى الأكواخ الفقيرة وفى الأدمغة الصغيرة والكثيرة وفى الجموع الفقيرة الى أن يعم النور مواطن النور ٠٠

وحين وصل الخطيب الى دمشق دعته جمعية العربية الفتاة لتكون عضوا فى لجنتها المركزية التى تشرف على ادارة الدولة من وراء ستار ونيط به ادارة تحرير الجريدة الرسمية للحكومة واسمها العاصمة وأبيح له أن يكتب فيها المقالات التوجيهية كما يشاء بلا مراقبة ٠

صدرت العاصمة فى وقت حاسم من تاريخ الحركة العربية وهو وقت زيارة اللجنة الدولية « لجنة كنج كراين الى سوريا » فكان دورها هاما فى تعبئة الشعور القومى وموافاة قرائها بتطور الحوادث أولا بأول ٠ كانت هذه الصحيفة مع صحيفة المفيد الدمشقية ورئيس تحريرها خير الدين الزركلى وهو زميل الخطيب فى العربية الفتاة يؤديان دورهما فى حملة التوعية الصحفية ومن ذلك ما كتبه عثمان قاسم فى جريدة المفيد فصلا حول تعيين الجنرال غورو مندوبا ساميا وقائدا للجيوش الفرنسية فى سوريا يقول :

وليعلم كل مستعمر جاس خلال هذه الديار أن سوريا غير مراكش وأن دون سوريا فرط العتاد وليثقوا بأن اليوم الذى يتعين فيه مصير سوريا على غير رغائب أهلها لهو يوم عصيب وفاتحة حرب تشب لظاها فى العالم العربى من أقصى أفريقيا الى أقصى آسيا ، فحذارا يا أبناء سوريا حذار فان الموت الشريف خير من حياة ملؤها الذل ، وضعوا نصب أعينكم غاية واحدة هى الاستقلال التام(٤) ٠

---

(٣) صحيفة العاصمة ١٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ ٠

(٤) المفيد : ٢٠ أكتوبر ١٩١٩ ٠

كانت الصحافة هى المجال الذى رأى الخطيب أن يعطيه قدره الكبير من الاهتمام وقد سئل الأستاذ الخطيب عما اذا كانت المقالات التى يكتبها يتفق على عناوينها ومضامينها بقرار حزبى أم كانت تعبر عن رأيه الشخصى فقال ، بالطبع لم تكن هذه المقالات تعبيرا عن رأى شخصى فقط ، لأنها كانت تمثل رأى الأحزاب والشعب ولكن عناوينها لم تكن بقرار حزبى لأن وحدة الهدف كان متفقا عليها وهى الاستقلال التام • فتحت عنوان وظيفة الارشاد كتب يقول :

ليس سواد الأمة قاصرا على طبقة المتعلمين والاعيان وتجار الحواضر الذين يقرأون الصحف اليومية ويراقبون سير السياسة العلمية والاختراعات الصـــناعية بل ســواد الأمة هى المتكون من جماهير العمال وسكان القرى والعمال والعاكفين على شق الأرض واستنباتها ، فهؤلاء الذين يجب على المتعلمين أن يصرفوا همهم الى تنوير قلوبهم وعقولهم ، وترقية مواهبهم ومداركهم ليتكون للأمة رأى عام بواسطتهم(٥) •

ولذلك لم يقصر الخطيب جهده على العمل فى مجال الصحافة فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الحركة العربية فقد رأى ضرورة تأسيس معهد علمى يقوم بتثقيف الناشئة فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ مؤسسة علمية أطلق عليها اسم المعهد العلمى وجاء فى البيان الذى نشره بهذا الخصوص : .

« ان الأمة التى عقدت عزيمتها على الأخذ بأسباب الحياة ، والتحلى بصفات الرجولة لا ينتظر أن يدوم لها صفاء الأيام بين الأنام أو يجلو لها الدهر عن ثغره حسن الابتسام الا اذا اعتمدت فى تكوين قوتها على جانب التربية والتهذيب وغرست مسائل استقلالها فى روض العلوم الخصيب •

ومضى الخطيب فى بيانه يقوم « ولقد بدأت ناشئة دمشق تدرك هذه الحقيقة وتعمل بمقتضاها ، وفى جملة ذلك شروعها بتأسيس

---

(٥) العاصمة : ١٦ اكتوبر ١٩١٩ •

غرف للقراءة وقاعات للدراسة العملية على نحو الذى يرى القارىء تفصيله فى نظام هذا المعهد العلمى الجديد ٠

« وبما أن هذا العمل النافع قد حصل بمساعدة كثير من أهل الفضل رأت اللجنة الادارية للمعهد العلمى أن لهم فى ذمتها حق التنويه بفضلهم والاشادة بذكرهم فنشرت هذه الكراسة ذاكرة فيها هؤلاء المحسنين باحسانهم ، مضيفة الى نظام المعهد بيانات تفصيلية لوارداته ونفقاته جامعة لكل ما يتعلق بالمعهد العلمى من ساعة التفكير بتأسيسه الىساعة نشر هذا البيان ٠ وسننشر بعد هذا كراسات أخرى لكل ما يتجدد من شئون هذا المعهد معلنين أسماء من ينضم الى أعضائه العاملين على ترقيته وبيانات مفصلة بما يهدى اليه من كتب وصحف ومجلات وما تجود به نفوس المحسنين اليه من قليل أو كثير والله من وراء القصد ٠

وقد صدر هذا البيان بتوقيع كاتب لجنة المعهد العلمى محب الدين الخطيب وفى أوراق الخطيب التصريح الذى حصل عليه من رضا الركابى بصفته حاكم سوريا العسكرى فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩ » ٠

نوافق على ما جاء فى تقريركم عقد النية مع رفقائكم الأماثل ــ على تأسيس غرف قراءة ومدرسة ليلية باسم المعهد العلمى طبق البرنامج الذى رسمتوه لنا طى التقرير المذكور راجين لكم التوفيق والنجاح فى هذا المشروع الذى يعود على الأمة والوطن بالترقى والفلاح على أن تبتعدوا كل البعد عن الأمور السياسية والتوقيع حاكم سوريا العسكرى العام رضا الكابى ٠ وكان السبب فى هذا التنبيه الى ابتعاد المعهد عن الأمور السياسية أن النظام الذى اقترحه الخطيب له كان يتضمن انشاء مؤسسة ثقافية دون أن يكون لها أهداف سياسية ٠ فقد تضمنت لائحته :

١ ــ افتتاح غرف للقراءة لمطالعة الصحف والمجلات والكتب العلمية والأدبية المنورة لأذهان الناشئة والموسعة لمعارفهم ٠

٢ ــ تأسيس قاعات دراسة تعطى فيها دروس فنية لمن يريد الاستعداد لدخول المدارس العليا ٠

٣ ـ تخصيص دروس للشبان في الانشاء العربي والخطابة ·

٤ ـ تعلم بعض اللغات الغربية ·

٥ ـ القاء دروس ليلية للأميين يتعلمون فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب وتلقى عليهم فيها مواعظ اخلاقية ·

وتضمن بيان لجنة المعهد كذلك أنه لا مانع من انضمام أي شاب وطني اليها مهما كان مذهبه والحي المنسوب اليه ، واللجنة تعد نفسها متضـــامنة مع كل فئة تسعى وراء هذه الغاية العلمية والتهذيبية ·

وقال البيان الغرض من هذا العمل علمي تهذيبي محض وليس له أدنى علاقة بالأمور السياسية والمذهبية · وكل مساعدة تسدى الى هذا العمل مادية كانت او معنوية ، وكل هدية تهدى للمعهد من كتب أو صحف أو غيرها تقبل مقرونة من اللجنة بالشكر · ونصت المادة السابعة من نظام لجنة المعهد أنه لما كان نشـــر اللغة العربية أولا وتنوير أذهان العامة ثانيا هما الغاية المقصودة بالذات من هذا العمل فانهما يكونان مجانا ونقـــرر أن يقوم كاتب اللجنة (محب الدين الخطيب) بدعوة اللجنة الى الاجتماع في الأحوال الطارئة ولا رئيس لهذه اللجنة وانما ينتخب الأعضاء واحدا منهم في كل جلســـة لادارتها ·

ووجدت بين أوراق الخطيب قوائم الذين فازوا بالانتخاب للجنة الادارية لهذا المعهد واحتفظ الخطيب في هذه الانتخابات الشهرية بوظيفة كاتب اللجنة ·

رأى محب الدين الخطيب أن دوره في تثقيف الشباب العربي في هذه المرحلة الحاسمة دور هام وخطر والاجتماع به وتنويره واجب قومي ·

لكن الخطيب بالاضافة الى دوره في الصحافة وفي هذه الحركة التثقيفية كان له دوره السياسي كذلك فحين وصل الى دمشق ـ كما يذكر ـ فسعى ليكون عضوا في اللجنة المركزية لجمعية العربية الفتاة وشاهد الأحداث عن كثب وشارك فيها ·

أسس الخطيب مع زميله الشيخ محمد كامل القصاب اللجنة الوطنية العليا فى دمشق على أن يكون فى البلاد الأخرى من سوريا لجان وطنية فرعية · ونشر قرار اللجنة العليا فى جلسة يوم الاثنين ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩١٩ يتضمن ما يلى :

المادة الأولى : يتألف فى كل حى من أحياء العاصمة السورية الثمانية والأربعين وفى كل بلد من البلاد السورية التابعة لها لجنة وطنية مرتبطة باللجنة الوطنية العليا من مندوب لجان الأحياء ·· وقوام كل لجنة من اللجان الفرعية من ستة أعضاء الى اثنى عشر عضوا ينتخبون انتخابا قانونيا من افراد الحى او البلد الذى تنتسب اللجنة اليه ·

نادت اللجنة أن غايتها اتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية والذود عن استقلالها التام ومقاومة كل مبدأ يرمى الى تأسيس قومية غربية تهدد كيان البلاد السورية والوحدة السورية ·· كما اخذت على عاتقها تنمية كل قوى البلاد المادية والمعنوية وتنظيم تلك القوى وحسن الاستفادة منها فى سبيل الذود عن سوريا ويقتضى ذلك انعاش الروح القومية العربية وتوثيق روابط التضامن والتعاون فيما بين الأفراد والجماعات والطوائف كذلك قررت اللجنة الوطنية العليا تعضيد اساعى العلمية والفكرية والاقتصادية والتوسل بكل ما من شأنه ايصال سوريا الى مصاف الأمم المحترمة ·

وصدرت التعليمات الى كل لجنة فرعية فى كل حى أو بلد أن يقوم بارشاد أهل الحى أو البلد الى ما يجب عليهم نحو وطنهم بحسب الظروف والأحوال وتوثيق الألفة والمحبة والتفاهم بين أهل الحى حتى يكونوا كعائلة واحدة وتقوية الروابط الوطنية والقومية بين أبناء الوطن الواحد كلهم على اختلاف طوائفهم وأحيائهم وبلدانهم وتضع نصب عينيها تحويل الأمة كلها الى كتلة واحدة قوية تشعر بشعور واحد وتسعى لمصلحة واحدة ·

وفى قرار اللجنة العليا الذى نشر فى دمشق مطبوعا فى الحى الذى كان يقيم فيه الخطيب بدمشق (القيمرية) تضمنت المادة الرابعة

أن على كل لجنة فرعية استعمال الاساليب الحكيمة للأمتزاج بأفراد الحي أو البلد المنسوبة اليه وتوثيق الروابط معهم وجعلهم منقادين لها في كل المصالح والمشاريع العامة بحيث لا يقوم الأهالي بعمل له علاقة بالحي أو البلد الا بمشورة اللجنة وبقرار منها ولا يعمل أعم من ذلك الا بقرار عن اللجنة العليا وعلى اللجنة الفرعية أن تنفذ قرارات اللجنة العليا التي اعتبرت نفسها واسطة الارتباط بين كل اللجان الفرعية الوطنية المؤسسة في كل الأحياء والمرجع الأعلى لها وهي تبلغ كل اللجان الفرعية القرارات اللازمة لتوحيد المساعي وتهتم بكل ما يرد عليها من اقتراحات الفروع سواء أكانت مرسلة من الفرع رأسا أم بواسطة المندوبين الموجودين في اللجنة العليا والذين يحضرون نيابة عن كل حي(٦) • ونظمت اللجنة نفسها بحيث لا يكون لها رئيس دائم بل خصصت لكل جلسة رئيس بأكثرية الأصوات •

كان الهدف من عمل اللجنة الوطنية العليا كما يقول الخطيب في مذكراته تحويل دمشق وسائر المدن السورية الى تكتلات عسكرية والأمة الى أمة مسلحة • وجاء ذلك عقب اذاعة نبأ اتفاق انجلترا وفرنسا على احلال الجيوش الفرنسية محل الجيوش الانجليزية في النطقة الغربيه من سورية وكذلك كيليكية وأذاع المؤتمر السوري بيانا الى الشعب أعلن فيه أن واجب الأمة التي يمثلها في أمانيها ورغائبها يقضي عليها بالدفاع عن وحدتها واستقلالها وشرف قومها الى آخر نسمة فيها تأييدا لرغبانها التي ابدتها وتأمينا لوحدة بلادها التي هي فرصة للتقسيم واستقلالها وهو عرضة للضياع(٧) •

وكان عدد ممثلي الأحياء في ابتداء أمرهم ٤٨ ممثلا وكانوا يجتمعون كل أمسية في حي من الأحياء وطبقا لقرار يتخذونه من قبل • فكانت اجتماعاتهم أشبه ببرلمان شعبي محلي متنقل يجتمع

---

(٦) المادة الخامسة من نظام اللجنة الوطنية العليا) من أوراق الخطيب وقد طبع قرار اللجنة في مطبعة الترقي دمشق سنة ١٩١٩ (•

(٧) أمين سعيد : جـ ٢ ص ٩٤ •

كل يوم في حي من الاحياء بدلا من اجتماعه في دار خاصة وأخذ عدد أعضاء اللجنة يزداد تدريجيا حتى بلغ المائتين في شهور ديسمبر ١٩١٩ وما قررته اللجنة في جلسة عقدتها يوم ١٨ نوفمبر في منزل عبد الرحمن اليوسف تأليف لجان فرعية لجمع المال اللازم للحركة الوطنية بنسبة اثنين في المائة من ثروة كل فرد من أفراد الأمة(٨) ٠

وقد امتاز الاجتماع الذى عقد في ٣ ديسمبر في النادي التجارى بدمشق باشتراك بطريرك الروم الأرثوذكس ومطران السريان والمفتي والعلماء وبعد المناقشة والأخذ والرد تقرر باتفاق الآراء لزوم الدفاع عن الوطن ودعوة كل طائفة من الطوائف الوطنية بواسطة رئيسها الروحي وزعمائها للاشتراك في الدفاع ٠ وأهم ماقدرته اللجنة تأليف كتيبة من المتطوعين يبلغ عددها الألف تتولى تجهيزهم وارسالهم الى ميدان القتال كما قررت ارسال وفود الى البلاد السورية للاتفاق على توحيد الخطة ٠ وفي ١٠ ديسمبر ١٩١٩ أعلن الشيخ كامل القصاب في جلسة عقدتها اللجنة أنه قابل رجال الحكومة وأنهم على وفاق مع الشعب وأن الأمة قررت الدفاع وأن بعض رجال حي الميدان قد تطوع فعلا وسيضربون خيامهم غدا في المزة وكذلك سيفعل أهل الشاغور وأن الأخبار الواردة من بعلبك والبقاع تقول أن أهلها على استعداد للانضمام الى الحركة الوطنية ٠

وتطورت الأحداث باتفاق فيصل كلمنصو وعودته الى دمشق ويذكر الخطيب في مذكراته أنه لما عاد فيصل الى دمشق وخرج المستقبلين فسأل عنه فقال له أخوه الأمير زيد ان محب الدين أصيب برصاصة في فخذه وهو يقلب مسدسه وهو الآن في منزله تحت العلاج فقال له فيصل بصوت خافت « ياليتها كانت القاضية » سمع ذلك أسعد داغر منه وأخبر الخطيب بذلك ويفسر الخطيب سبب العداوة التى أبداها فيصل نحوه أنه (فيصل) باتفاقه مع كلمنصو أصبح في موقف يتنافى مع ايمان الرأى العام السورى ومع الاتجاه الصريح الذى ذهب فيصل من سوريا الى أوروبا ليدافع عنه وليتكلم باسم الأمة بما لا يخرج عنه ولا يخالفه ٠

---

(٨) المرجع السابق ص ١٠٢ ٠

ومن المعروف ان فيصلا سبقته الشائعات انه اتفق مع الفرنسيين وسلم لهم فى جزء من سوريا واعترف بهم كأمر واقع محتل لجزء من بلاده فأخذ موقف الدفاع عن نفسه يتضح ذلك من خطبته في مساء الخميس ٢٢ يناير ١٩٢٠ فى النادى العربى بدمشق « أنا والله لا تخفينى قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات وانما أخاف التاريخ والمستقبل وأخاف أن يقال فلاننا عمل عملا لا يليق بآبائه وأجداده الذين كانوا يسعون وراء الاستقلال وأرجو الأمة ان تعلم باننى فى الغرب مثل ما أنا هنا لا أبدل كلامى سواء كنت أمام السياسيين أو فى احرج المواقف ومبدئى هو أن تكون بلادى مستقلة .

ويحس فيصل بازدياد المعارضة ضده فيقول نحن فى حاجة الى التعاون . الى التعاضد الى التكاتف الى العمل ، الى الود .. » .

ويصف الخطيب موقف فيصل بعد عودته وتوقيعه لاتفاق فيصل كلمنصو أنه موقف المذبذب لا يغطى عواره كل ما أوتيه من ذكاء ومرونة . ويذكر الشيخ رشيد رضا أن فيصلا صب جام غضبه على اللجنة الوطنية العليا وعلى الشيخ كامل القصاب وباعتباره المحرك لهذه اللجنة وجاهرت العربية الفتاة فيصلا – على حد قول الخطيب بالمعارضة الصريحة(٩) . فقد عقدت هيئتها الادارية الثانية اجتماعا سريا فى منزل الدكتور أحمد قدرى وحضر فيصل الاجتماع ومعه مشروع اتفاقه مع كلمنصو فلما عرضه تم الاقتراع ضده فدافع عنه فيصل وقال ان رفض المشروع معناه اعلان الحرب على فرنسا فقالت الهيئة باستعدادها لاعلان الحرب على فرنسا وانجلترا معا وانتهى الاجتماع باصرار الجمعية على رفض المشروع . .

وحاول فيصل اقناع أعضاء العربية الفتاة بمشروع اتفاقه فقابل بعضهم منفردين يحاول اقناعهم بمشروعه ثم استشار رضا الركابى الذى أشار عليه بأن يعمل لاقالة الهيئة الادارية للجمعية

---

(٩) المنار : م ٣٢ جـ ٩ ص ٧١٣ – السيدة سهيلة الريمادى : الحياة الحزبية فى سوريا رسالة دكتوراه .

واستبدالها بأخرى ويوافق فيصل مبدئيا ويتم عقد لقاء فى منزل رضا الركابى ٠

ويقول الخطيب « جاهرته العربية الفتاة بالمعارضة الصريحة وفى اجتماع لها فى منزل الحاكم العسكرى الفريق على رضا باشا الركابى سمع تصريحات متعددة بأنه فرد فى جماعة وأنه ينبغى له أن لا يقطع أمرا الا بموافقة من يتكلمون باسم الأمة ومن يحملون أماناتها » ٠ كان توفيق الناطور أحد أعضـــاء الجمعية قد خاطب فيصلا فى عنف وحدد بهذه الصيغة فأجابه فيصل : أنا لا اكون ملكا ختاما أى لا يكون ملكا بالاسم مهمته أن يختم على ما يقرره غيره فأجابته الجمعية أن الأمة تعيش فى عصر الشـــورى والملك الذى لا تؤيده جمهرة الممثلين للأمة لا يتمتع بالقوة التى يحتاج اليها فى سلطانه ٠ وبدأ فيصل يتصدى لهذه الحركة المناوئة له ٠ فأصدر أمره بتعطيل عدد من الصحف منها جريدة الدفاع الدمشقية التى كان يصدرها الزركلى والتى تعكس وجهة نظر اللجنة الوطنية العليا ثم استعان ببعض من أسماهم الخطيب بالرجعيين فى تأسيس الحزب الوطنى الســـورى ٠

وقد تشكل هذا الحزب فى ٢٥ يناير ١٩٢٠ اثر اتساع الانشقاق بينه وبين العربية الفتاة فانضم الى فيصل عدد من أعضاء هذه الجمعية وعدد من الأعيان والوجهاء ولذلك أطلق عليه حزب الذوات فكان منهم الشريف ناصر ، عبد الرحمن اليوسف ، فوزى البكرى وكان رئيس هذا الحزب عبد الرحمن اليوسف وســـكرتيره محمد الشريقى(١) ٠

وكان الهدف من تأسيس هذا الحزب مواجهة اللجنة الوطنية العليا والعربية الفتاة على نحو ما يقرر محب الدين الخطيب فى مذكراته ولم يطل عهد المشادة فقد وضع لها الجنرال غورو من بيروت حدا بالانذار الذى وجهه الى فيصل بعد أن مرت بالحكومة العربية فى سوريا التطورات المختلفة التى لا مجال لسردها ٠

---

(١٠) عزة دروزة : الحركة العربية الحديثة جـ ١ ص ٨٦ – ٨٧ ٠

ويصف الخطيب أحداث هذه الفترة فى مذكراته ٠ كانت العربية الفتاة قد أودعت فى منزله عددا من الأسلحة والبنادق تسلمتها انجمعية من ياسين الهاشمى قبل أن يخطفه الانجليز فى سيارة عسكرية تأخذه الى مدينة الرملة فى فلسطين ٠ وقام الخطيب بتوزيع هذه الأسلحة على أفراد الحى الذى يسكن فيه فى دمشق وهو حى التيمرية دفاعا عن النفس ذلك أن الآمن أصبح مختلا فى العاصمة السورية الرصاص يسمع فى أنحائها احتجاجا على قبول فيصل للانذار الفرنسى وبادر الأهالى بإرشاد اللجنة الوطنية العليا الى حمل السلاح والخروج الى ميسلون وفى مقدمتهم يوسف العظمة وكانت النهاية للدولة العربية فى سوريا ٠

وتوارى الخطيب فى أحد منازل ذوى قرباه بعد يوم ميسلون الى أن تمكن من تغيير مظاهره واتفق بعض أقاربه مع تاجر جمال من أعيان النجديين من آل البسام فى دمشق على أن يسافر محب الدين برا مع قافلة من الابل ورعاتها وكانت على أهبة السفر من دمشق عن طريق فلسطين وسافر الخطيب متنكرا فى زى تاجر جمال ووصل الى بحيرة طبرية ومدينة صفد ثم واصل سفره مع القافلة حتى بلغ يافا ٠ وفى يافا تمكن من استخراج جواز سفر باسم مستعار هو عبد الله أبو الفتح واستطاع بهذه الوسيلة أن يسافر منها الى القاهرة بالقطار ٠

وفيها كان مستقره عرض عليه نجيب الارمنازى أن يحل محله فى تحرير الأهرام ولبث يعمل فيها نحو خمس سنوات الى أواخر سنة ١٩٢٥ وكان فى خلال ذلك قد أسس الى جانب المكتبة السلفية ومطبعتها ــ مجلة الزهراء وهى مجلة أدبية اجتماعية شهرية استمرت مدة خمس سنوات بدأت فى أغسطس ١٩٢٤ ٠

ثم أسس صحيفة الفتح فى مايو ١٩٢٦ الى نوفمبر ١٩٤٨ وعن طريقها مضى يكمل رسالته فى خدمة أمته العربية فقد حفلت بالدفاع عن القضايا العربية المختلفة وتصدى لها الاستعمار فى بعض البلاد العربية بمنعها من الدخول ومثال ذلك ما حدث فى سوريا ابان الحكم الفرنسى لها ومضى الخطيب يكمل رسالته حتى وافته المنية فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ٠

فائمــة المصــادر

(عــــــربية)

وثائق غير منشورة :

اعتمد البحث على الوثائق العديدة التى يحتفظ بها ابن المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب فى مكتبته والتى اشرت الى بعضـــها أثناء فصول هذا البحث ٠

وفى مقدمة هذه الوثائق :

١ ـ سيرة جيل مخطوط كتبه المرحوم محب الدين الخطيب ٠

٢ ـ الجيل الذى عاصر بعث العروبة ٠

٣ ـ وثائق جمعية النهضة العربية ٠

٤ ـ وثائق مراسلاته مع رفيق العظم حول جمعية الشـــورى العثمانية ٠

٥ ـ وثائق اعلان الدستور (مكاتباته مع رفيق وحقى العظم) ٠

٦ ـ وثائق حزب اللامركزية ٠

٧ ـ وثائق حزب العربية الفتاة ٠

٨ ـ وثائق حزب الجامعة العربية ٠

٩ ـ مذكرات رشـــيد رضا التى قدمت لرجال الدولة البريطانية ١٩١٥ ٠

١٠ ـ رسائل الخطيب فى مهمته الى الخليج ٠

١١ ـ مذكراته عن اعتقاله فى البصرة والالتماسات التى قدمت للسلطات البريطانية بخصوص الافراج عنه ٠

١٢ ـ مذكراته أثناء عمله مع الشريف حسين ٠

١٣ ـ مذكراته مع اللجنة الوطنية العليا ـ ولجنة المعهد العلمى ٠

وثائق غير منشورة :

(أوروبيـــة)

F.O. 371 — 2140 — 2143

F.O. 371 2479 — 2480 — 2481 — 2486

F.O. 882/4/882/14 —

882/12/882/16

882/13

المراجع العـــربية :

١ ـ أحمد أمين

زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ٠

٢ ـ امين سعيد

الثورة العربية الكبرى مجلدان مطبعة الحلبى بدون تاريخ ٠

٣ ـ امين الريحانى

ملوك العرب ٠

٤ ـ توفيق برو

العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ ٠

٥ ـ رجب جراز
الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب . محاضرات فى معهد الدراسات العربية ١٩٧٠ .

٦ ـ رفيق العظم
آثاره مقدمة بقلم رشيد رضا .

٧ ـ سليمان فيضى
فى غمرة النضال بغداد ١٩٥٢ .

٨ ـ سليمان موسى
الحركة العربية بيروت دار النهار ١٩٧٠ .

٩ ـ سليمان موسى
وجوه وملامح مطبوعات وزارة الثقافة والشباب ، الحكومة الاردنية ١٩٨٠ .

١٠ـ ساطع الحصرى
نشوء الفكرة القومية بيروت ١٩٥٦ .

١١ـ ساطع الحصرى
البلاد العربية والدولة العثمانية مطبوعات معهد الدراسات العربية ١٩٥٧ .

١٢ـ سهيلة الريماوى
الحياة الحزبية فى سوريا ١٠٥٨ ـ ١٩٢٠ رسالة دكتوراه .

١٣ـ صلاح القاسمى
آثاره مقدمة بقلم محب الدين الخطيب ١٩٥٩ .

١٤ـ عبد الكريم غرايبة
سوريا فى القرن التاسع عشر .

١٥ـ محمد أنيس
الدولة العثمانية والشرق العربى ، الانجلو بدون تاريخ .

١٦ـ محمد بهجة البيطار
بحث عن الشيخ احمد النويلاتى الفتح المجلد الرابع عشر ·
١٧ـ محمد عبد الرحمن
برج عزيز المصرى والحركة العربية ، الأهرام ١٩٧٩ ·
١٨ـ محمد عزة دروزه
حول الحركة العربية الحديثة ج ١ صيدا ١٩٥١ ·
١٩ـ مصطفى الشهابى
القومية العربية مطبوعات معهد الدراسات ·
٢٠ـ منير شبيقة
العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى بيروت ١٩٧١ ·
٢١ـ محب الدين الخطيب
المؤتمر العربى الأول القاهرة ١٩١٣ ·
٢٢ـ محمد ظاهر العمرى
تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ١ بغداد ١٣٤٥ هـ ·

مراجع أجنبيـــــة :

Bremond : Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale Paris 1931.
Khedourie (Elie) England and the Middle East (London) 1956.
Khedourie (Elie) In the Anglo-Arab labyrinth 1976.
Philip Magnus : Portrait of an imperialist
Stein, Leonard : Syria London 1926.
Storrs, Ronald Orientations Lord· 1937.
Zeine The struggle for Arab independence Beiruit 1960.

الدوريات :

أعداد القبلة : ويحتفظ بها الأستاذ الخطيب .

العاصمة : وهى موجـــودة كذلك بعض أعدادها فى مكتبة الأستاذ الخطيب .

المنار : ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ .

المفيد

المؤيد : الأعداد من أكتوبر ١٩١١ الى ديسمبر سنة ١٩١١ .

المقتبس

الفتح

الزهراء

مــلاحق البحث

الملحـق الأول

صـــــورة تقـــرير

عن شـــهر اكتوبر ونوفمبر ١٩٠٧

جزيرة قمران (اليمن) ليلة الجمعة ، ٦ ديسمبر ، ١٩٠٧

اخوتى الأفاضل :

أظن أنا قد مر على الفتنا واخائنا من الزمن ما يكفى لأن نكون من الشجاعة بمكان لانتزحزح فيه عن الثبات على الأســاس من مبادئنا ولو مهما اعترض ســـيرنا من العقبات وناب أقدامنا من العثرات ، نحن ثابتون فالصدقة والثبات راس مالنا وعدتنا على هذه الحياة الجليلة الوعرة ليس الا .

كنا فى أول ارتباطنا (نرش على الموت سكرا) لأجل أن تحلو الحياة لنا ، لأجل أن نرتبط وها قد ارتبطنا .

يجب بعد الآن أن نتكلم بالحقائق ، يجب أن نعرف كل شىء ويجب أن لا نتغافل عن شىء . نعم ، يجب أن نتجرأ فنتجرع كل ما يلزمنا شربه مما يسمى حقيقة ؛ لأنها دوائنا وان كانت مرة فى بعض الأحايين ، فاذا نحن قبلناها واذا نحن شربناها فهو هو الثبات هذا ، وهو هو الذى سيكون راس مالنا وحذار من خسارته ، لأن مدفع الافلاس ــ والعياذ بالله ــ من خلفه ، لأننا نكون عندئذ أدنى من الدنيئين . ويصدق على الشرقى قول الغربى عنه انه لاثباب له وليس لحضارته أيضا ثبات ، يريد بذلك اننا أوضـــع درجة فى الانسانية منه .

نريد أمة جديدة فاضلة ـ تتطلب المنفعة المشتركة ، وتحب الدأب على العمل والاعتماد على النفس ، مركبة من حكومات متحدة، جنديتها ، ماليتها ومعارفها واحدة • تدار كل واحدة منها فى باقى فروع الحكومة حسب ما تقتضيه بلادها وتاريخها ، على أن تكون كلها ديموقراطية نعم نريد ذلك غير متعجلين ، ولا نحن مقيـــدون بزمن •

وكلنا يعلم ان للعمل الذى يتحصل منه هذه النتيجة أدوات مهمة مثل (المدارس) (والصحافة والطباعة) و (التمثيل) و (الجمعيات والخطابة) و (الشركات المادية) وغير ذلك وكلنا يعلم أن لا معمل لهذا المحصول اذا لم تكن هذه الأدوات •

ولما كان من المقرر لدينا جميعا أن قوة الفرد ليست كقوة الجمع وان من الاتحاد قوة أعظم من قوة الانفراد ، اجتمعنا مساء الاثنين ثامن ذى العقدة عام أربع وعشرين وثلاثمائة ألف • ومازالت الجمعية ترتقى وتنتظم ويزداد أعضاؤها حتى أصبحت اليوم ومنها خمســة عشر عضوا بعد الستة أعضاء وفى صندوقها ٢٥ جنيها عثمانيا ذلك الأمر الذى لم يكن ليخطر يوم تأسيسها على بال اذن فنحن بالنسبة الى ضعفنا على تقدم وان كان بطيئا •

ولكننا فى حاجة الى معرفة مركزنا الحاضر أكثر مما نعرفه وهى حاجة أيضـا الى التفكير فى الطـــريق التى تزيد قوتنا بكل أنواعها •

قلت ان كعبة الآمال التى نحث السير مجدين اليها لا تكون الا بوجود المدارس والصـــحافة والطباعة والتمثيل والجمعيـــات والخطابة والشركات المادية الى غير ذلك من ماكينات الحضارة ولكن ما هى درجة أمثال هذه الأدوات عندنا بالنظر الى ما يجب أن تكون عليه ؟

سؤال صعب جدا الجواب عليه • أما أنا فقد كنت قبل الشهرين الأخيرين أنظر الى هذه الماكينات ودرجتها فى التقدم كما أنظر الى

المطبعة التى تديرها أيدى الرجل بالنسبة الى المطبعة التى تديرها أيدى البخار • ولكن مالبثت بعد الاختبار المحزن الذى حصل لى فى المدة المذكورة حتى صرت أريد أن أراها أو أننى أراها كالمنجنيق أمام المدفع والأسطول الفينقى فى مقابل الأسطول البريطانى : حالة محزنة ولكن يجب أن نتشجع •

مدارسنا أتعلمون ماهى مدارسنا ، نحن ليس لنا مدارس • أن مافى بلادنا من هذه المعامل هى أما لخورى أو لشيخ أو لسائس أو لادارى وكلهم غيرنا ، لأنهم يأخـــذوننا الى غير الكعبة التى نحن ذاهبون اليها • صحافتنا ، آه ، ماذا أقول عن صحافتنا ، أنتم تعلمون صـــحافة سوريا ، وأقول لكم عن صحافة وادى النيل ان محورها الأساسى (المنفعة الشخصية) وكفى لهذه الصفحات القليلة التى اكتبها كلمة كهذه فى وصف صحافة مصر ، أحزاب متباينة ومشاغبات وليس فى أعمدتها مع ذلك ما يفيد فائدة تمسك وتلمس بالأيدى •

وبكل آسف أذكر لكم أنه ليس للمجلات فى القطر المصرى رواج ولا تعدو التافة من الجرائد • ومع ذلك فلا بأس من أذكر هنا كلمة للأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى بشأن المطالعة والرواج وهى : أن الأمة لاتزال الآن فى سن الطفولية ، ودعوتها الى مطالعة النافع يجب أن تكون بالاحتيال عليها وباستعمال الوسائط لنشر ماينفع بينها أو ما يقال من أن الأمة لا تقرأ النوع الفلانى من الكتابات هو حديث خرافة ، اذن فمن الممكن اذا أحسنت اشاعة النافع واعلانه أن تقبل عليه الناس • أما التمثيل فانه أدنى بكثير من الصحافة • وعندى أن سامى أفندى الذى يمثل فى دمشق اليوم أهم بالنظر الى سنه من كل من رأيت من أهل هذه الصناعة بين الناطقين بالعربية والشيخ سلامة حجازى معهم هذا مع نقد الروايات التمثيلية فى لساننا • وقد أثنوا على عزيز أفندى عيد • ولكن لم يسمح لى الوقت بمشاهدة تمثيله وهو لا يمثل فى هذه الأوقات الا المضحكات (كوميديا) •

هذا وانى أرى أن الجمعيات والخطابة عندنا من نوع الصحافة من حيث الرقى • وأدنى من ذلك شركاتنا المادية لأننا لا نرى مثلا

سكة حديدية حتى الآن وما أشبه هذا ، اجتمع على انشائها جمع من تجارنا واغنيائنا . هذه هى المعامل الحضارية عندنا ، ولكن الأمة لا تخلو على ما يظهر من نبضات بين عروقها ، وأن المتحرقة أكبادهم من الشبان ليسوا بالقليلين كما أنهم ليسوا أيضا كثيرين فعن هؤلاء يجب أن نبحث وحال هؤلاء يجب أن يدرس وهؤلاء يجب ان تكاتبهم ونصادقهم .

اذن فالخطة التى يجب الجرى عليها فى الوقت الحاضر هى متابعة السـير الأول من حيث مطـالعة كتاب نافع فى ليلتين من الأسبوع ، والقاء خطبة أو خطب فى ليلة منه والاشتغال بدرس اللغة ، ما أمكن هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان صندوقنا سيقوى أكثر لأن اثنى عشر واحدا منا يضع كل واحد منهم ريالا مجيديا فى كل شهر وثلاثة يضع واحدهم ثلاثة بشالك هذا وان على للصندوق عشرة جنيهات عثمانية وقد استرددت من محمد أفندى كرد على خمسة جنيهات فرنسوية التى كنا ارسلناها اليه للطبع عمران دمشق وللصندوق فى ذمتى من زكى الخطيب وصلاح العظم وعثمان مردم بك وعلى له أيضا ما يجب على من شهر رجب الى شهر ذى القعدة وله أيضا ما يقرب من نصف مجيدى وربما كان له أشياء غيرها لا أتذكرها الآن وله غير ذلك فائدة هذه الدراهم أو صار لها عندى خمسة شهور تقريبا . من أجل ذلك اقر للصندوق بعشرين ليرا عثمانية دينا على أفيها له فى أول فرصة وقد أصبحت تقريرى هذا بسند على فيما ذكرت .

اذا تقرر هذا يكون كل منا على يقين من أنه سيتجمع لدينا فى آخر السنة الثانية للجمعية خمسون أو ستون جنيها تقوم بنفقات طبع كتاب (الحرية) لجول سيمون فى ثلاثة أجزاء من تعريب صاحب المقتبس وربما كان يزيد ما معنا ان نشاء الله .

قدمت لكم أن أمتنا على غاية من الانحطاط والتأخر فى جميع مايلزم لنهضتنا وانه لا أمل الا بتلك النبعثات الخفية الا وهى الشبان الذين هذبتهم الطبيعة ومواهبهم وعوامل الضغط . وان على هؤلاء

اعتمادنا فقط اذا كان يجوز لنا أن نستعين بالاعتماد على شيء آخر بعد الاعتماد على النفس · في خطتنا الجديدة ــ اذن ــ على ما أرى ــ أن نراقب حال المحترقة أكبادهم والمستعرة ضمائرهم لما سقطت فيه هذه الأمة من التدني والانحطاط · من ١ كتابنا و ٢ كاتباتنا و ٣ ــ أن ندرس أيضا حالات جمعياتنا ومقاصدها وقواتها وتراجم أعضائها وذويها ·

هذا وقد اتخذت لي دفترا صغيرا أكتب فيه اسم كل من أقرأ له شيئا ينطبق على مبادئنا وخطتنا وانك ترى فيه الآن مثلا من أسماء ·

(وهنا ذكر اسماء كتاب وكاتبات وجمعيات في أمريكا)

سوف أدرس مبادىء هؤلاء النافعين وأكاتب من اختار منهم بمواضيع حياتية مهمة ·

أما أحوال أمثال هؤلاء ممن في مصر فسوف أكتب لكم عنها في فرصة أخرى · ومما آسفت له كثيرا أي قبل سفري من القاهرة بليلة واحدة كان قدم كرد علي من الاسكندرية وطنطا وواجه مصطفى صادق الرافعي فتمنى له الرافعي اجتماعي به في القاهرة وأرسل لي معه سلاما ولكن بكل آسف غادرت القاهرة لأني كنت يومئذ قد أزمعت السفر وكتبت الى السويس بمجيئي فلم يمكنني التريث ··

هذا وأني سوف أعمل للجمعية هنا دفاتر مخصوصة أحفظ فيها صورة كل مايصدر من هنا ونص مايرد في ما يتعلق بالجمعية وكل ذلك بقيود مخصوصة لأجل التسهيل والانتظام ·

وانني اقترح على كل واحد منكم أن يفكر كثيرا ويكتب بنفسه قانونا للجمعية في جميع ما يخطر له ويرسل لي ذلك وأنا استخرج من مجموعة الكل قانونا أرسله لكم لترون فيه رأيكم وانما أحببت أن ترسل لي هذه الأوراق لأن عندي يكون كل شيء أسهل وأأمن ·

وبعد فان ما ذكرته لكم من خطتنا هو لأجل هذه السنة وقد بحثت يوم كنت في القاهرة أنا وأخي صلاح العظم في حالة الطباعة والصحافة والعلم في تلك الديار وقررنا مايأتي :

أعمالنا بعد ثلاثة أعوام فما بعد : .

١ ــ نؤسس شركة مساهمة تبتدىء برأسمال ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف جنيه مصرى تكون مائة سهم ثمن كل سهم ثلاثون جنيها اذا كان راس المال ثلاثة آلاف وخمسون اذا كان خمسة آلاف ويسمح لمن يريد أن يشترك بنصف سهم فقط فأكثر اذا أرد ولا يدخل فى هذه المساهمة الا من كان من جمعيتنا ٠

٢ ــ المبدأ الأساسى لهذه الشركة هو أن تشرع دائما بما يمكن الزيادة عليه فى المستقبل بمعنى انها ترقى باتيان ماهو قليل فى حد ذاته اذا كانت دراهمها قليلة بشرط أن يكون فى الدرجة الاولى من الاتفاق وترجح ذلك على أن تأخذ شيئا كبيرا أو وافرا ولكنه دنىء فى حد ذاته وتكون ملجأة بعد الى خسارته فهى اذن ستبتدىء بشراء ما كان جيدا متقنا من الزم حوائجها ثم تسعى لاستعمال ذلك فى السنين الآتية الى أن يكون لها فى القطر المصرى مجموعة من أدوات العلم ونشره لا يتسنى لغيرها الحصول عليه مجتهده وانما فى أن يكون لها من الاتحاد قوة تسبق قوة الأفراد بفراسخ ٠

٣ ــ يجب التأنى وعدم التسرع فى عظائم الأمور وأن لا نحمل أنفسنا مالا طاقة لها به مادة كان ذلك أو أدبا وسيضمن لنا المستقبل اذا نحن سرنا على هذا الطراز بالرقى الاكيد ، ولا خير برقى عاجل. وكل ما ينشأ سريعا يضمحل سريعا وحسبنا دليلاً فى ذلك صاحب الجامعة وحاله يوم كان صاحب مجلة فقط ما صار اليه بعد اصدارد جريدته السياسية من التأخر لأنه أصبح لا يستطيع القيام بالتحرير والنفقة فهبطت المجلة حتى كانت نسختها الأخيرة عددين فى ملزمتين لا يوجد فيها من قلمه الا بعض أسـطر له وحتى كانت الجـريدة أسبوعية بعد أن كانت يومية ولا ندرى ماذا سيكون حال هاتين ايضـا ٠

٤ ـ يلزمنا ابتياع (مطبعة) من الطراز الأول مثل مطبعة المؤيد واصطناع حروف) مثل حروف مطبعة المعارف في القاهرة واسم المطبعة (مطبعة النهضة العربية) ٠

٥ ـ اصدار جريدة بنصف قطع الجرائد العربية ولكن في ١٦ صفحة نصفها يكون على ورق بسيط كورق المؤيد مثلا ويكون للأخبار الوقتية والاعلانات والنصف الثاني على ورق جيد مثل ورق الهلال مثلا ويكون للمقالات والقصائد والأقوال والأخبار الخالدة ٠

هذه الجريدة ستكون يومية وسيكون اسمها (النهضة العربية) ونحررها أنا وجميع من يقدم القطر المصرى من جمعتنا والأحسن أن تصدر في القاهرة كجريدة سياسية مصورة ٠

٦ ـ اصدار مجلة سياسية اجتماعية تنتشر في اول كل شهر عربي وفي نصفه في خمس ملازم أتولى أنا تحريرها ويشاركني فيها الباقون وستكون على أجمل ورق مصورة ، وتسمى مجلة النهضة ٠

٧ ـ اصدار مجلة علمية احتماعية على رأس كل شهر عربى تكون في عشر ملازم يتولى تحريرها صلاح الدين القاسمي ويشاركه فيها الباقون وخصوصا زكى الخطيب وتدعى (العلم والاجتماع) وتكون مصورة ٠

٨ ـ اصدار مجلة أدبية تنشر في منتصف كل شهر عربى ، تكون في عشر ملازم يتولى تحريرها عارف الشهابى ويعينه عليها صلاح القاســـمى ورشــدى والباقون ، تدعى (الأدبيات) وتكون مصورة ٠

الملحق الثاني

مصر ١٧ يونيو ١٩٠٨

صديقنا الفاضل

وصلتى كتابكم الكريم وتلاه كتاب ثان تبشروني فيه باستثمار غرسكم الطيب جزاكم الله على جميل سعيكم خيرا الجزاء ٠

وقد سرني أن وقع اختياركم على الأخ الفاضل الدكتور (ح) الذي أعرف والده من أفاضل ابناء الوطن فلا جرم أن نحب مثل الدكتور الهمام وأنا لا أشك أيضا في أن الدكتور (ب) الذي أختاره الأخ المومأ اليه هو من خيرة العثمانيين لأن الخـــير لا يختار الا الخيرين ٠ أيدكم الله بعونه جميعا ورفع بكم منار الحرية المنير في تلك الأرجاء المظلمة بالظلم ٠

عما قريب نرسل اليكم قانون الجمعية كي تكونوا على بصيرة في اللائحة الداخلية التي أخذتم بوصفها لشعبتكم الا أني انبهكم الان الى أمرين مهمين وهما كيفية الدخول والمرتب الشهري الذين شرحتم لنا فكركم عنهما ٠ أما المرتب وهو ريال مجيدي كل شهر فكثير وليس على الداخل أن يدفع الا ثلاثة قروش صاغ وما يزاد على ذلك فلمطلق اختياره سواء شرع به دفعة واحدة (وجعله على نفسه مرتبا شهريا أو بالجملة يراعى في هذا الأمر حال الداخل وثروته) ٠

أما كيفية الدخول فهي كما ذكرتموها الآن الداخل لا ينبغي له معرفة أحد من الجمعية الا من فوقه أو من تحته اى الذى ادخله والذي دخل بواسطته ثم ان لكل مؤسس شعبة أن يكون رئيسها الا اذا وكل داخل توضع نمرته الفوقية من فوق ونمرة شعبته تحت ٠

تنازل عنها لغيره ٠ ولذا فأنتم الآن ١/١٤ فشعبتكم هى الشعبة ١٤

ثم ان هناك شرطا لم نضعه بالقانون لأنه قانون عام لجمعية حرة ٠٠ وهذا الشرط هو عقاب كل من يخون الجمعية بالموت والشعبة هى التى تكلف باجراء العقاب على كل من يخون منها اما بالاقتراع أو بانشاء فرع لكل شعبة من الفدائيين ٠٠ يولج بامثال هذه الأعمال والأمر الثانى الى الآن لم نتوقن اليه فبقى الأمر الأول وهو الذى ينبغى أن يعرفه كل داخل فى الجمعية ويقبله على نفسه اذ لايخفاكم ان جماعات الفدائيين لا يكونون الا من الطبقة النازلة وهؤلاء هم الذين تتألف منهم شعب السيف والنار وحبذا لو أمكنكم العناية بهذه النقطة اذا كان ثمة من يوفق به من هذه الطبقة وأكثرهم على ما أعتقد يعتادون الصدقة فهم أهل للثقة أكثر من الطبقة العالية ففاوضوا الأخ (ح) بهذا الأمر ٠

صديقى العزيز

أخذت كتابكم وعلمنا انكم الفتم شعبة لجمعية الاتحاد والترقى واستحسنتم رأينا بانضمام جمعيتنا الى الاتحاد والترقى ثم وصل الكتاب التركى الممضى من الضباط وغيرهم فى شأن فيضى باشا وقد كنا أخبرناكم أنا كتبنا الى الجمعية فى أمر الانضمام وقدمنا الكتب المرسل من جهتكم وما وصلنا الكتب من عدن وغير ذلك أيضا من معـــلوماتنا المتعلقة باليمن والى هذا اليوم لم نأخذ جوابا عن شيء من ذلك قط مع أن بعض الأتراك المتمصرين ارادوا الدخول بالجمعية فى الاستانة فحولوهم علينا بداعى أن جمعيتنا ستكون بمصر تابعة للاتحاد والترقى والى الآن لم يرد منهم اقرار رسمى على هذا الانضمام لذا فقد صار عندنا شك فى الجماعة وانه لايهمهم سوى المركز او جمعية تناشد المركزية وهو خطأ كبير سيعلمون حقيقته اذ ظهر أدنى باعث على تحرك حزب الاستبداد فى الولايات الأخرى وهو ما يخشاه وندعو الله أن يدفع أذاه عنا خصوصا فى هذه الآونة التى اشتدت فيها الأزمة الخارجية وكثر حزب الفساد فى الاستانة ٠

على أننا قد حولنا وجهة مخابراتنا الآن الى البرنس صباح الدين بك واليه أرسلنا الكتاب الأخير المرسل من اخواننا فى الحديدة وقد عمل الناس على تثبت دعائم جمعيتنا بسفر حقى بك الى الاستانة

والراجح انه يسافر بعد الغيبة ولولا شدة البرد فى الشتاء هناك لسافرت أنا أيضا لكن الخوف على صحتى المعتلة منعتنى من ذلك كما منعتنى عن ترشيح نفسى لعضوية مجلس « المبعوثان » مع رغبة فريق كبير من أهالى سوريا بانتخابى لذا أرى أن أؤجل سفرى الى أوائل أيام الربيع وسنصدر جريدة شوراى عثماني التى أوقفناها هنا وربما يصدرها حقى بك قبل وصولى الى الآستانة ولذا كان بودى لو تريثتم قليلا فى تأليف شعبة الاتحاد والترقى ولكن تعجلتم ولعله الخير ان شاء الله ·

بلغنا منذ يومين اقالة فيضى باشا من اليمن ولم نتحقق الخبر فعساه يكون صحيحا ان شاء الله ·

مر علينا الدكتور عزيز وأبلغنا تحياتكم وأخذنا المعـــلومات اللازمة وقد توجه فى الأسبوع الماضى الى الآستانة ومن المؤسف ان جريدتنا التى تسمع صوتنا متوقفة الآن وألا لكنا نشرنا فيها ماعلمناه منه ومنكم وكل آت قريب ·

كنا نظن ان ابن عمنا شوقى بك فى داخلية اليمن لا فى الحديدة لأنكم لم تذكروا لنا اسمه قبل أعلان الدستور قط ولذا لم نذكره لكم نحن أيضا فبلغوه سلامنا الكثير وثنائنا على شهامته التى نعهدها فيه وقد جدد لنا ذكرها الدكتور فلم يذكرنا بشىء جديد بل هو شىء نعهده فى ذلك الشهم منذ نشاته · أخبار الدولة تسوء كل محب لها ومع ذلك فرجاؤنا جميعا أن لا تكون حرب بينها وبين الاعداء الآن لأن انجلترا واقفة وقوف السد فى وجه أوروبا وهى منة لها لا ينساها العثمانيون قط بقطع النظر عما تخدم به مصلحتها وفى المحافظة على كيان الدولة اذ المصلحة متبادلة والنفع مشترك فلها الشكر على كل حـــال ·

بلغوا تحياتنا الى كل الاخوان والسلام عليكم ورحمة الله ·

١٩ اكتوبر ١٩٠٨

رفيق العظم

كنتم أشرتم فى أحد كتبكم الى عزمكم على الاستعفاء لأجل الاشتغال بالصحافة والطباعة واذا اصررتكم على هذا الرأى فحبذا لو جعلتم هذه الخدمة قاصرة على اليمن الآن لانها فى حاجة شديدة الى ذلك والى مثلكم ·

والرأى الأعلا لكم ·

عزيزى ، رفيق

صديقنا الفاضل

وصلنى كتابكم اليوم بعد ان كنت أرسلت لكم كتاب بالتركية عن طريق عدن صباح هذا اليوم والعجيب أن كتابكم مؤرخ ٢٤ الماضى وهو اليوم الذى عيد فيه العثمانيون فى انحاء تركيا عيد الدستور الذى صدر فى ذلك اليوم اعلانه من قبل السلطان ولعل الحكومة بطرفكم تباطأت باعلان الخبر عليكم لذلك لم تتلوه لنا ·

مكتوبكم فهمت مضمونه وشكرت همتكم والمكتوب التركى الذى سيصلكم فيه الجواب الكافى ·

قلتم ان عزت باشا فر نعم ولكن ليس فى اليوم الذى ذكرتموه بل أول أمس وقد ألح الأحرار بانزاله من الباخرة الانجليزية ماريه فلم يفلحوا أما بقية الجواسيس والحاشية فلم ينج منهم سوى سليم ملحمة واما الباقون فباقون وسيحاكمون ·

وقد أرسلت اليكم آخر ملحق الأهرام صدر أمس ضمن ظرف أسأل عنه بالبوستة لأنى أرسلته عن طريق الجريدة مع هذا الكتاب لأن المراقبة الغيت فاغرقوا المراقبين والجواسيس اذا شئتم ولاتبالوا نحن نهار غير متوجهون الى الشـام لغرض يتعلق بأمورنا وأمور الانتخابات ولا يغيب اكثر من أسبوعين ان شاء الله فلتكن مكاتباتكم لمصر وان أمكننى الفرصة اليوم أرسل لكم بروغرام البنك فاعذرونى · الشورى بعد يومين تصدر وترسل لكم عدة نسخ سلامنا للجميع وفى الختام لتحى الحرية والمساواة ليحى الجيش ·

٥ اغسطس ١٩٠٨

رفيق

مصر ٣١ أكتوبر ١٩٠٨

حضرة الأديب الفاضل

وصلنا كتابكم ثم وصل كتابكم الثانى وضمنه كتاب الجمعية لاسم حقى بك وكتابكم الثالث لاسمه أيضا وهذا وصلنا اليوم وقد علمنا كل ما شرحتموه وشرحته الجمعية وكتب بعد ذلك تقرير مطول الى مركز الجمعية سلانيك وضمنه خطاب الشعبة الأخير المختوم بختم الاتحاد والترقى وبينما كان حقى بك ينقل التقرير .. جاء كتابكم الذى ذكرتم فيه اخراج الشعبة لتعرف الحديث بالقوة فأخذ حقى بك بترجمته لأجل ارســـاله ايضا مع التقرير وقد كتبنا الى سلانيك تقريرا مطولا عن احوال شعبة اليمن وعن حادثة دمشق التى حدثت فى آخر رمضـــان ومحدثوها هم من حزب التقهقر وجريدة المشايخ هذا بعد ان أرسلنا تلغرافا مطولا بالحادثة الى ســـلانيك ونشرنا الحادثة فى المقطم الذى أرسلناه اليكم خصـــيصا مع هذا البريد لتقفوا على مجرى الحادثة ولعن الله مثيريها الأشرار .

الذى علمناه أن فيضى باشـــا أقيل وتعين فى مكانه الفريق تحسين باشا وأظن أنه سبقت له خدمة فى الجيش فى اليمن وأنا لنعجب من بقاء الرجل الى الآن على استبداده وظلمه ولا عجب من ذلك تراخى حكومة الآستانة ومركز الجمعية فى شأنه وقد حيرنا هذا الأمر مع كثرة ماقدمناه من الكتابات بهذا الخصوص .

لو وجد عند الشعبة فى صنعاء من الحزم ماوجد عند الشعبة فى الحديدة لما تركوا الرجل يمعن فى غلوانه ولم يكن هو أقوى وأشد شكيمة من راتب باشا والى الحجاز ومع ذلك فقد ساقه الضباط لما عزل الى جدة سوق الغنم ..

نحن نقدر عمل الشعبة فى طرد متصرف الحديدة حق التقدير ونرجو أن تستعمل الصبر والتأنى فى الأمور بحيث لا توجب اهراق دماء أو ايجاد أدنى مسئولية على الحكومة ولسوء الحظ أن الظروف الخارجية جعلت مركز الدولة حرجا والداخلية لا تســـر كلها ابدا فنرجو الله أن ينقذنا من هذا البحران وأن يوفق الحكومة لتغير خطة التراخى فى الولايات واستعمال خطة القوة والا فقد تسوء الحال على ما ترى من ضعف الحكومة ..

رفيق

صديقي الفاضل

كتابكم الأول والثاني وصلاني الى الشام حيث أرسلا الى من مصر وكان في صدري كلام كثير أريد أن أقوله لكم لكنكم قيدتموني بعنوانكم الأول ولم يكن موجودا عندي بالشـــام وكنت عرفتكم عن عزمي على السفر الى سوريا بآخر كتاب ارسلته اليكم لأني رأيت السفر ضروريا لاخبار انتهت الى فسافرت طائفا في بيروت ودمشق وبعلبك وحمص وحماه وحيثما حللت كنت ألقى الخطب في وجوب التآلف بين القلوب وتفســـير معنى الحرية ووجوب المحافظة على الدســـتور بالنفس والمال وأرجو أن أكون نفعت وطني والدولة ·

ويمكني أن أقول لكم ان غيابي هذا الشهر كان كله تعبا وعمل حتى كاد التعب الفكري والجسمي يؤثر على صحتي فعدت في الحال الى مصر فوجدت كتابكم وضمنه كتاب أخينا عوني بك بالتركية وأني لا أصف لكم مقدار شكري لما بذلتموه والاخوان الكرام من الهمة في ازهاق باطل المستبدين والمجاهرة بالحق في وقت كانت اليمن محتاجة الى من يصدى بالحق فجزاكم الله خير الجزاء ·

وقد أدهشني انكم لم تتعرضوا لقطع الأعضاء الفاسدة من جسم الحكومة في الحديدة مع أنه كان يكفي أن لو توعزوا الى بعض الأهالي بأن يطلبوا من المتصرف باسم الجمعية عزل الذين ساءت سيرتهم وأعمالهم من المأمورين ويظهر أن سطوة فيضي باشا لاتزال مؤثرة في اليمن لذا فقد كتبت الى مركز جمعية الاتحاد والترقي في الآستانة كتابا أخبرتها فيه عن حقيقة الحال وضمنه كتاب آخر وصلني من عدن وكذلك سيرسل حقي بك الكتاب التركي الى مركز الجمعية أيضا ولابد من نتيجة حسنة ·

جمعية الاتحاد والترقي قديمة كما تعلمون وأنا عضو قديم فيها منذ تأسست أي من ١٣ سنة ولما رأينا العمل الآن قد تم على يدها ·· تراءى لنا أن نضم جمعيتنا الى جمعيتها كما انضم اليها البرنس صـــباح الدين اليها بجمعيته الا أنه بلغنا أنها لم تقبل أفرادا من جمعيته أو أفراد جمعية لم تزل مجهولة عندنا ومع هذا فقد رأى حقي

بك بسفره الى الآستانة هذه المرة ميلا من الجمعية فى ضم جمعيتنا اليهم خوفا من الانشقاق لذا فقد كتبنا لهم بهذا الخصوص وها نحن ننتظر الجواب وقد رأينا أيضا أن نستأذن الشعب التابعة لجمعيتنا فكتبنا اليكم منتظرين الجواب وربما ترسل جمعية الاتحاد والترقى دعاة الى اليمن كما أرسلت الى بقية الولايات فافهموا أعضاء الجمعية انه لا يجوز دخول شخص منهم فى جمعية الاتحاد والترقى أبدا مالم يكن فرعنا منها قائما بنفسه ومركزه مصر ومتى تم الاتفاق بيننا وبين الجمعية المركزية بالآستانة نخبركم عن ذلك وعن كيفية الدخول وصيغة اليمن ..

٩ سبتمبر سنة ١٩٠٨

رفيق العظم

الملحــق الثــالث

يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ سافرت من القاهرة عن طريق السويس متوجها الى بومباى فثغر الكويت فى الخليج (الفارسى) ومعى باسبورت من محافظة القاهرة مصدقا عليه من مندوب جيش الاحتلال يومئذ ، وبيدى ورقة اذن خاصة بامضاء جناب الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى القطر المصرى تجيز لى هذا السفر لأنه كان ممنوعا الا عن الانجليز والهنود .

وفى مساء ٢٧ أكتوبر ركبت الباخرة Firenze فرنزا الايطالية من السويس أنا ورفيقى عبد العزيز افندى العتيقى من أهالى الزبير التابعة لمركز ولاية البصرة الذى يحمل من أوراق الاذن بالسفر مثل ما أحمل . ولم تكن نعلم شيئا عن قرب وقوع الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية ، فلما وصلنا الى بومباى صباح يوم السبت ٧ نوفمبر علمنا أن العلاقات انقطعت بين تركيا وروسـيا وكذا بين الحلفاء جميعا . وبالرغم من تشديد البوليس على تبعة الدول الأخرى من ركاب باخرتنا فقد وجدنا منه مساعدة واكراما . ورأيناه يعرف اسمى واسم رفيقى قبل أن نعرفه نحن بهما . فاستنبطنا من ذلك أن حكومة بومباى تلقت من مصر تلغرافا يتضمن الوصية بحسـن معاملتنا . وفى يوم الاثنين ١٠ نوفمبر دعينا الى دائرة رسمية عالية فى بومباى فقابلنا رئيسها وكان بين يديه اضبارة أوراق (دوسيه) بى وبرفيقى فكان يقرأها ويوجه الينا بعض الأسئلة عن سـفرنا والمكان الذى نقصـده . وبعد خروجنا من هناك جاءنا البوليس بورقتين رسميتين مضمونهما التعريف باسمائنا ومحل اقامتنا والاذن لنا بالاقامة فى بومباى لأن ذلك لا يكون بغير اذن رسمى فى هذه الأيام .

وبعد ظهر يوم الخميس ١٢ نوفمـبر ركبنا الباخرة دوراكا Dwarka الانجليزية متوجهة من بومباى الى الكويت ، فمرت

الباخرة على ثغور كثيرة وابطأت في سيرها التي وصلنا لثغر بوشهر يوم الاثنين ١٣ نوفمبر ٠

لما رست الباخرة في ميناء بوشهر خرج اليها من ذلك الثغر بوليس انجليزي كان أول عمله أنه جاء وطلب الاطلاع على جواز (باسبورت) كل واحد منا ، فاطلعناه عليها وعلى الورقتين الرسميتين اللتين اخذناهما من حكومة بومباي فاظهر رغبته في الاطلاع على صناديقنا وأمتعتنا ، وبعد التفتيش الدقيق بمساعدة بوليس سرى أفغاني يعرف اللغة العربية ٠ مع أن البوليس الانجليزي أيضا يقرأ ويفهم هذه اللغة لم يجد عندى شيئا مع الأوراق يستحسن أخذه الا شهادة عن جناب المستر ريتشارد سن فيس قنصل انجلترا في الحديدة وقمران في اليمن أعطاني اياها بعد استقالتي من وظيفة ترجمان التي كنت موظفا فيها عنده من سنة ١٩٠٧ الى أواخر سنة ١٩٠٨ ٠

وكنت أظن أن البوليس سيعدل عن تشديده علينا بعد اطلاعه على هذه الشهادة والجوازات التي في أيدينا وعدم ظهور شيء عندنا يستدعي ارتيابه فينا ، ولكن الأمر جاء بعكس ماظننت فانه دعا أربعة من الهنود الذين كانوا مسلحين كانوا حاملين لزنادهم وحوائجهم كأنهم مهيأون من قبل لأن يجعلوا معنا ٠ ومنذ تلك الساعة صرنا ممنوعين من الذهاب الى الكويت ٠٠ وأصبحنا تحت سلطة هؤلاء العساكر الأربعة فكلما تحركنا من مكاننا رافقنا واحد منهم بسلاحه ٠

دامت هذه الحال من صباح يوم الاثنين ٢٣ نوفمبر الى مساء يوم الخميس ٢٦ منه وكنا قد وصلنا الى المجمرة فانزلونا هنالك الى الباخرة (مجيدية) ٠ ٠وكانت غاصة بالعساكر الهنود فصرنا فيها تحت ضغط ماكنا فيه في الثلاثة الأيام السابقة ٠

وفي صباح يوم الجمعة ٢٧ نوفمبر نزلنا الى البصرة فاخذتنا جماعة من العساكر الايطالية الى مكتب جناب الماجور براونلو حاكم البصرة العسكري حيث يوجد عدد من كبار رجال الحملة وبعض موظفي القنصلية السياسية فسالونا أسئلة كثيرة عن السكان

القادمين منه والمكان الذاهبين اليه وعن سبب سفرنا والمهنة التى نحن نشتغل بها فكنا نجيبهم بالصدق والصراحة وهى اننا قادمون من مصر وذاهبون الى الكويت ومعنا باسبورتات كافية أخذها منا بوليس بوشهر ٠ وانى تاجر كتب فى القاهرة ومحرر فى جريدة المؤيد ٠ وكنت قبل ذلك ترجمانا للقنصلية الانجليزية فى الحديدة (اليمن) وأخبرتهم بشهادة القنصل التى أخذها البوليس منى ، وأخيرا قلت لهم انى معروف فى مصر ولكن السؤال عنى من رجال الحكومة البريطانية فيها وان بوليس بومباى لديه توصية بى وبرفيقى مرسلة من مصر ويمكن السؤال عنا منه أيضا ٠ وطلبنا منهم أن يأذنوا لنا بارسال تلغراف الى معارفنا فى مصر وان ذلك مفيد فى سرعة مجيىء خبر رسمى الى الحكومة الانجليزية فى البصرة بأننا معروفون لدى الحكومة المصرية ورجال الدولة البريطانية هناك فرفض طلبنا ظنا أن هذه البيانات كافية لاطلاعنا ٠ ولكن النتيجة كانت صدور الأمر بارسالنا الى قشلاق ٠٠ حيث بتنا ليلة ٠ ثم دعيت أنا وحدى فى اليوم الثانى لمقابلة جناب الماجور ريكسن كوميشنر بوليس البصرة فاعاد على الأسئلة الأولى نفسها ٠ وكانت أجوبتى عليها كأجوبتى على أمثالها لدى جناب الحاكم العسكرى ٠ وفى المساء أرسلنا الى منزلى أمام القشلاق استأجرته الحكومة لتجعله سجنا فوضعنا فى حجرة طالما شكونا ما نناله فيها من الأضرار الصحية مدة الشقاء وما يصـــيبنا من أذى البراغيث والهوام الكثيرة فيه وأبدينا اندهاشنا من بقائنا فى السجن المذكور بين اللصوص والجناة ونحن لا نعرف لنا ذنبا أو سوء تصرف ٠

وفى يوم الاثنين ٢٠ نوفمبر زارنا فى السجن جناب الماجور جريكسن ومعه بعض الضباط وطلب منى أن أكتب له تقريرا بالكلام الذى عرضه عليه وعلى جناب المستر بونارلو قبل يومين ، فأجبته حالا الى ذلك وبعد مضى ساعة قدمت له التقرير وانى لم أترك شيئا من الحقائق التى تبعث على اطمئنان الينا الا ذكرتها فيه ٠ وفى هذا اليوم نفسه سألت جناب المستر جريكسن هل أرسلت الحكومة تلغراف الى مصر تسأل عنا فقال نعم أرسلنا تلغرافا ولم يرد جوابه من مصر ٠

وفى ١٩ ديسمبر قدمت للحكومة الانجليزية فى البصرة عريضة طلبت فيها اعادتى الى مصر وذكرت فيها أن استمرار تعطيلى سينتج عنه استغناء ادارة جريدة المؤيد عنى ، فأفقد وظيفتى التى أعيش منها ، وأن عندى بعض المطبوعات والأعمال فى ادارة المكتبة التى أنا شريك فيها وسيلحقنى ضرر من طول مدة اهمالها . وكذلك كتب رفيقى الشيخ عبد العزيز فى ذلك اليوم عريضة ذكر فيها ان والده مقيم فى بلدة الزبير التابعة للبصرة وطلب أن يسمح له بالذهاب الى منزله واذا كان ذلك يتوقف على تقديم ضامن يضمن اقامته فى المكان الذى تريده الحكومة وعدم مبارحته الا بعلم منها فهو مستعد لتقديم ضامن ترضى الحكومة به .

وفى يوم عيد الميلاد (٢٥ ديسمبر) قدمنا عريضة أخرى ذكرنا فيها ماهو مشهور عن عدل الحكومة الانجليزية وأننا بريئون من كل عمل يخالف قوانينها وسياستها ورجونا من جناب حاكم البصرة أن يسمح لنا بمواجهته عسى أن يكون ما نعرضه عليه سببا فى ازالة سوء التفاهم الذى حصل فى مسألتنا العجيبة .

وكنا قد علمنا ونحن فى القاهرة أنه ربما أرسلت وصية الى قنصل الكويت بشأننا كما أرسل الى بومباى مثل ذلك فأرسلنا فى ٢٨ يناير ١٩١٥ رسالة الى جناب القنصل المشار اليه ذكرنا له فيها أننا مسجونون بلا سبب نعلمه وأنه اذا كانت قد وردت عليه الوصية التى ذكرت لنا فرجاؤنا أن يتفضل بتعريف حكومة البصرة بذلك عسى أن تكون وساطته سبب فى خلاصنا .

ومن العجيب أن كل ما قدمناه وأرسلناه من عرائض ورسائل لم نحصل منه على جواب ما .

***

بعد مضى خمسين يوما كاملة من اقامتنا فى ذلك السجن دعانا جناب الكولونيل السير برس كوكس الوكيل السياسى فى البصرة — وكان ذلك صباح يوم السبت ١٥ يناير ، فذهبنا صحبة بعض

الجنود المسلمين الى الباخرة كميت Comet من بواخر النهر حيث كان متأهبا للذهاب عليها الى جهة القرنة فاعاد علينا نفس وقلنا له ان المستر جريكسن أخبرنا بأن الحكومة أرسلت تلغرافا الى الأسئلة التي كانت توجه الينا من قبل فكنا نجيبه عليها بحقيقة الواقع. مصر تسأله به عنا ، ولكننا بالرغم من ذلك بقينا فى السجن طوال هذه المدة وشكونا له أشياء كثيرة عن حالة السجن وان طعـــامنا نشتريه من السوق وهو طعام ردىء لعدم وجود مطاعم حسنة فى البلد ، فكان جوابه لنا انه سيرسل الآن تلغرافا الى مصر • وعلى ذلك عدنا الى سجننا مع الجنود التي جاءت بنا فأقمنا فيه واستمرت اقامتنا أشهرا أخرى ، فاضطررنا لأن نقدم عريضة أخرى رفعناها هذه المرة لجناب السير برسى كوسى بتاريخ ١٥ مارس كررنا فيها شكوانا المرة ورجوناه أن يكون وجدانه الظاهر كاميا عنا اذا لم يكن فى هذا البلد من يرى قيمة لآلامنا • وهذه العريضة أيضا بقيت كأخواتها بلا جواب •

وفى أواخر شهر ابريل اشتد مرض الأمعاء والضعف العمومى على رفيقى حتى صار لا يقدر أن يمشى ، فأرسل للسير برسى كوكس عريضة عرض له بها ماهو فيه من سوء الحال فمالبث ان جاءه طبيب عسكرى اعطاه بعض العلاجات • وبعد بضعة أيام نقلنا من ذلك المكان القبيح الى مكان أحسن فى مركز بوليس العشار • ومهما يكن هذا السجن حسنا فان طول مدة غيابى عن مصر جعلتنى فى قلق على اشغالى فيها فقدمت عريضة لجناب كومشنر بوليس البصرة طلبت فيها ارسالى - ولو تحت التحفظ الى مصر - وانه اذا كان هناك ما يوجب اقامتى فى السجن أكون فى سجن مصر لا فى سجن البصرة لأستطيع أن أتغذى غذاء جيدا على الأقل • فلم أحصل على اجابة لهذا الطلب •

وفى أثناء شهر مايو زار الشيخ ابراهيم الذى هو حاكم الزبير من طرف الحكومة الانجليزية - جناب السير برسى كوكس فسأله جنابه عن والد رفيقى عبد العزيز وعن ولده عبد العزيز وهل يعرفه فكان جوابه خيرا وعرض على جناب السير أن يضمن عبدالعزيز فى

أى أمر اذا كان خلاصه من السجن متوقفا على ضمانة · فأجابه جنابه أن وقت خروجه لم يحن بعد ·

وفى صباح ٢٣ يونيو استدعانى جناب السير برسى كوكس الى دار الادارة السياسية وأخبرنا أنه كان ارسل تلغرافا الى مصر عندما قابلنا أول مرة ـ أى فى ١٥ يناير ـ وكان جواب التلغراف لم يرد على السان البرق بل مع البريق وذلك وصـــل الآن مؤذنا بعودتكم الى مصر فشكرته أنا على ذلك وقال له رفيقى أنه لا شغل له فى مصر بل وهو يرغب فى الاقامة عند والده فى الزبير (البصرة) أو عند زوجته فى الكويت · فسأله هل يضمن الشيخ ابراهيم حاكم الزبير اقامتك عند والدك وعدم خروجك من هناك الا بعلم الحكومة · أجاب نعم · فقال له جنابه اذن فأنت تبقى فى السجن الى أن تجرى مخابرة جديدة مع مصر بشأنك لأن الاذن جاء من مصر بخروجكما من السجن لتعودا الى مصر · ووعد جنابه بارسال تلغراف الى القاهرة للسؤال عن ذلك ·

وعلى هذا عدت أنا ورفيقى الى سجننا أنا أنتظر اول باخرة تسافر الى بومباى لأسافر الى القطر المصرى عن طريقها ورفيقى ينتظر جواب تلغراف السير برسى كوكس · وقد سافرت مساء يوم ٢٧ يونيو ورفيقى لايزال محبوس · وقد جاءنى منه رسالتان فى ٢ ، ٩ يوليو يقول فيه انه لايزال فى السجن ولا يرى علاقة تدل على قرب الخروج منه ·

هذه حكاية سفرى هذا الذى غبت فيه عن القاهرة من يوم ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ الى يوم ١٥ يوليو ١٩١٥ وهى مدة تسعة أشهر الا اياما ·

الى الامة العربية

« الوطن في خطر »

نحن الآن في شقاء

البلاد فرغت من الرجال ومن النقود

قدمنا أولادنا للعسكرية وأموالنا للاستانة لاجل ان ترقى الدولة فكان رنقاؤها الى أسفل

والآن أمسينا وبيننا وبين رجال الاستانة سوء تفاهم نحن نعتقد انهم اخواننا وهم في الظاهر يضحكون علينا وفي الواقع يرون اننا عبيدهم وأن لهم ان يمنعونا حقوقا وهبها الله وان يخرسوا ألسنة أنطقها الله. وان يعصروا من بلادنا خيراتها فيسقوا بها جوف الاستانة الذي لا يمتلئ وبطون رجالها التي لا تشبع. يرون من اسهل الاشياء وابسطها ان نموت نحن لاجل ان تحيا الاستانة حياة غير طيبة ولا هنيئة، وأي حياة للرأس اذا مات جسد صاحبه ؟ واي هناء للجسد اذا طال رأسه هكذا عليلا فاسدا ؟

بني قومي ! يا أبناء لغة عدنان وسكان مملكة عمر بن عبد العزيز والمأمون بن هارون - ان عبر الزمان ناديكم وكوارث الدهر تعظكم فاستمعوا لها : وطننا في خطر ذهب جاويد بك الى أسواق أوربا ليدلل على مرافق بلادنا. وذهب حقي باشا الى وزارات أوربا ليدلل على البلاد نفسها. ويريد رجال الاستانة أنهم اذا خرجوا من ربوعنا - كما خرجوا من ربوع غيرنا - بسوء سياستهم وسخافة عقولهم تكون موارد عيشنا وأماكن زرعنا وضرعنا قد بيعت الى أناس أشد منا قوة وأكثر مالاً يمتلكون أرضنا وبحار بوتنا بهذه الامتيازات التي يحصلون عليها من جاويد وحقي واحزابهما بثمن بخس ثم هم لا يرضون بنا أجراء في بلادنا

بابي أمي وبني عمي هبوا الى تلافي الخطر كونوا مع الحق ثم لا تخافوا. الله معنا وقوة الامة لا يستهان بها ويكفي القائمين بالاصلاح أن تكون قلوبه

معهم . هم رفعوا أصواتهم بطلب الحق للامة والخير للبلاد ورد عاديات الشر الذي صار منظورا بالعيون وملموسا بالايدي فأدوا بذلك ما يجب عليهم . ونحن على ما يجب علينا من ضم أصواتنا الى أصواتهم نطالب الحكومة من هذه الساعة بأن لاتعطي لأحد امتيازا بمشروع في بلادنا العربية الا بعد أن يتقرر الاصلاح ويصير المجالس العمومية في ولاياتنا سلطة تشريعية كسلطة مجلس الامة وأن تسرع ما أمكن باجابة مطالب الامة في هذا الباب

أيها الاخوان . لاريب في أن آباءنا العرب كانوا حكاما وأن الاوربيين حتى في هذا العصر الراقي معجبون بعدل اولئك الآباء الكرام وحسن سياستهم وادارتهم . ونحن أبناء اولئك الآباء لاينقصنا الا ان نتمرن على صناعة الحكم . ولا شك اننا متى مارسنا ذلك على غير طريقة الظلم والارتشاء والاضطراب والفوضى التي تعلمناها من الاستانة فانه لايمضي علينا زمن قليل حتى تعود الينا تلك المزية الفائقة ويصح فينا قول الشاعر « ومن يشابه أبه فما ظلم »

وبعد فان الحق بيّن والباطل بيّن ولكل قلب وجهة هو موليها . وهذه دعوة الى الشبان والشيوخ الى ناشئة البلاد وأعيانها تدعوهم جمعا - ونحن من اجزاء هذا الجمع بالطبع - ان نكون كلنا يدا واحدة فيما تناجينا به الجدود في لحودهم والاحفاد في اصلاب الاولاد ان ثوبوا الى رشدكم وانظروا في موقف بلادكم قبل ان يسلمكم تيوس الاستانة الى ذئاب اوربا ثم لاتفلتون من بين ايديهم

اليوم يوم اتحاد القلوب ونبذ الفروق الحقيرة والاختلافات الصغيرة . اتحدوا على طلب العدل قبل أن يتحد بكم الظلم . اليوم يوم احتقار المال في سبيل انقاذ الوطن من الخطر المقبل عليه وهو بيع أرضه ومرافقه ورهن ما بقي للحكومة من امواله حتى يتعذر ان تقوم له قائمة او يوجد فيه عمران او صلاح

هذا بلاغ الى أعياننا وأغنيائنا خصوصا في أول عواصم الخلفاء بعد الراشدين في أن يساعدوا هذه الحركة المباركة بأموالهم وأنفسهم فيجتذبوا بذلك أبناءهم اليهم قبل أن يكونوا اعداء لهم وقبل ان يتعلموا من الارمن كيف يضطرون الاغنياء لمساعدة المشروعات النافعة والعمل على خدمة المجموع الذي ينتسبون اليه ان لم يكن بالرصاص فبالديناميت

(ميم)

محب الدين الخطيب

THE WAR.

[October 26.]

CONFIDENTIAL.

SECTION 16.

[63581]

No. 1.

Mr. Cheetham to Sir Edward Grey.—(Received October 26.)

(No. 223.)
(Telegraphic.) P.

Cairo, October 26, 1914.

IN reply to your telegram No. 269 of 18th October. The Intelligence Department had already received enquiries from responsible adherents of the Pan-Arab movement living in Cairo as to the attitude which His Majesty's Government would adopt should the Turks declare war, and an answer has now been given them in the sense of your telegram. They have sent reliable agents of their own selection to Arabia, Syria, and Palestine to communicate the message verbally to Arab chiefs in those countries, and a considerable sum of money has been placed at the disposal of the promoters of the movement for their use.

In addition to this, prominent local Arabs have addressed letters to influential friends in the above-mentioned countries urging them to do their best to dissuade the Arabs from joining Turkey against their own interests. Leaders here have given us to understand that for the moment the Arabs do not expect more from Great Britain than a benevolent attitude towards their aspirations for self-government and an assurance of her moral support, should the time come for putting their plans into execution. But there is little doubt that in case of war, if anything more is expected from them than passive resistance, we should have to provide arms and ammunition,—just as the Idrisi was supplied by the Italians during the Turco-Italian war.

[2266 cc—16]

THE WAR.

CONFIDENTIAL.

[October 28.]

SECTION 13.

[64467]

No. 1.

Mr. Cheetham to Sir Edward Grey.—(Received October 28.)

(No. 228.)
(Telegraphic.) P. *Cairo, October* 28, 1914.

IN continuation of my telegram No. 223, I have to report that agents have been despatched by the leaders of the pan-Arab movement in Cairo as follows :—

To Beirout for Damascus, Aleppo, Homs, and the Hauran.

To the Persian Gulf for Mesopotamia and Ibn Saud's district.

To Jeddah for Mecca and the Hedjaz, and also for Southern and Eastern Palestine.

It is also intended to send agents to Imam Yahia and the Idrisi before long, but it has not been easy to find men suitable for the mission.

The agents destined for the Persian Gulf sailed on the 26th October in an Italian steamer from Suez for Bombay; from there they intend to go to Koweit.

I think the Indian Government should be warned of the coming of these men, whose names are Moheb-ed-Din-el-Khatib and Abd-ul-Aziz-el-Atiki. They could then instruct the authorities at Bombay and Koweit to give them all assistance.

At Koweit they will go to see our Resident, and they will thus be able to arrange to work in unison with him as regards any instructions he may have received in this connection.

[2266 ee—13]

الفهـــرس

الفصل السادس :

رقم الايداع ٣٢٦٢/١٩٩٠

الترقيم الدولى ٣ ـ ٢٤٢٧ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

●● هذا الكتاب دراسة عن شخصية من الشخصيات التى لعبت دوراهاما وواضحا فى الحركة العربية منذ بـدايتها ، وظلت بصماتها واضحة على الحركة فى أدوارها المختلفة .

محب الـدين الخطيب هـذا العلم الشهير على مستـوى العالم العربى أعـطى لأمته مـا وسعه من الجهـد حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٦٩ م . فلا أقل من أن نسجل له هذا التاريخ وننشره فى ذكراه .